

قادة لفتح الإسلام

قادة في الشمال ومصر

تأليف

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

عضو المجتمع العلمي العراقي

الناشر

دار الفتح - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

قَادَةُ فَتْحِ الشَّامِ وَصَرِّ

الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

” إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ
النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ
كَانَ تَوَّابًا “

(الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ)
سُورَةُ النَّصْرِ

الافتتاح

إلى أول مَنْ بَعَثَ ابْجُوشَ لِفَتْحِ الشَّامِ تَنْفِيذًا
لِمَخْطَاطَاتِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ (عَلَى أَفْضَلِ الصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ) فِي الْفَتْحِ ؛

إلى ثَنَائِي أَشْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ؛

إلى الصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛

أَهْدِي سِيرَ بَعْضِ قَادَةِ الَّذِينَ جَاهَدُوا تَحْتَ لَوَا
الْإِسْلَامِ لِتَكُونَ كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلَمَاءُ .

محمود شيت خطاب

الرُّومُ

في أرض الشام ومصر وليبيا

قبيل الفتح الإسلامي وفي أيامه

« ألم ، غلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون . في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ،
ويومئذ يفرح المؤمنون : بنصر الله »

(القرآن الكريم)

المقدمة

- ١ -

نحتل (أرض الشام) ^(١) مكانة فريدة في تاريخ العالم ، وقد كان لها فضل في رقي العالم من الناحيتين الفكرية والروحية أجلّ شأنًا من فضل أي بلد آخر ^(٢) .

وتاريخ أرض الشام قبل الإسلام يمكن تقسيمه الى : عصر ما قبل التاريخ ، ثم الدور السامي الذي بدأ بالأموريين (حوالي ٢٥٠٠ ق . م) وانتهى بسقوط الامبراطورية البابلية الجديدة أو (الكلدانية) في (٥٣٨ ق . م) ، وتبعه سيادة الفرس ، ثم العصر اليوناني الروماني الذي بدأ بفتوح الاسكندر الكبير في (٣٣٣ ق . م) وانتهى بالفتح الاسلامي في (٦٣٣ - ٦٤٠ م) ^(٣) .

(١) أرض الشام : غربيها بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، وشرقيها البادية من (أيلة) الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم ، وشمالها بلاد الروم وجنوبها حد مصر وقيته بني اسرائيل .
أنظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٤٣) ، وأرض الشام تشتمل على سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن في الوقت الحاضر .

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (٤/١) .

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (٦١/١) .

وقد شهدت (أرض الشام) قبل ظهور الإسلام وانتشاره ثلاث دول عربية هي : دولة الأنباط في الجنوب ودولة (تدمر) في الشمال ودولة الغساسنة بينهما (٤).

ولسنا بصدد ذكر تاريخ الروم (٥) في أرض الشام ومصر وليبيا ، إذ ليس هناك مجال لبحث ذلك في هذه المقدمة ، ولكننا سنقتصر على ذكر أوضاع الروم التي كانت سائدة في تلك البلاد قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه ، لإعطاء (فكرة) واضحة عن حالتهم السياسية والاجتماعية والعسكرية حينذاك .

- ٢ -

استهل القرن السابع الميلادي سنواته الاولى بنشوب صراع عنيف بين أعظم قوتين في العالم يومذاك : دولة الفرس ودولة الروم ، وبلغ ذروته عندما تولى الامبراطور (هرقل) العرش سنة (٦١٠ م) ، وكان سبب تلك الحروب أطماع أكاسرة الفرس التوسعية التي ساعد على إذكاء أوراها ما ساد دولة الروم من اضطراب وما تفشى فيها من حوادث القتل والدس والمؤامرات .

(٤) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (١/٤١٧) .

(٥) تأسست روما سنة (٧٥٣) قبل الميلاد وتأسست معها الدولة الرومانية ، وظلت روما عاصمة تلك الدولة عشرة قرون ونصف قرن ، وقد فتحت العالم المعمور يومئذ كله . وفي سنة (٣٢١ م) نقلت العاصمة الى بيزانتيوم وانتقل اليها قسطنطين الكبير وسماها : (القسطنطينية) وهو اسمها الى اليوم . وبعد وفاته سنة (٣٣٧) للميلاد انقسمت المملكة أولاده الثلاثة . وبعد مدة انفصلت المملكة الرومانية الى مملكتين إحداهما شرقية عاصمتها القسطنطينية والاخرى غربية عاصمتها روما . وكانت حدود المملكة الشرقية في القرن الخامس للميلاد تنتهي في الغرب بالبحر الأدرياتيكي ، وفي الشرق بصفاف دجلة ، وتمتد حدودها الشمالية الى أعالي بلاد التتر ، وتنتهي في الجنوب الى بلاد الحبشة .

كانت الحرب الدائرة بين هاتين الدولتين قد نشبت قبل اعتلاء (هرقل)
الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم عرش الروم ، فأوغلت جيوش الفرس
في بعض أقاليم آسيا الصغرى حتى وصلت الى مشارف القسطنطينية على
الشاطئ الآسيوي ، كما وصلت قوات فارسية أخرى الى أرجاء الشام
سنة (٦٠٧ م) .

واستمر زخم زحف التيار الفارسي في تقدمه عندما تقلد (هرقل)
منصب الامبراطور على الدولة الرومانية الشرقية ، إذ استولى الفرس على
(إرمينية) سنة (٦١١ م) وتقدمت جيوشهم الى (حمص) فاستولت
عليها في تلك السنة أيضاً .

ورأى (هرقل) أن الأمر يحتاج إلى إعداد وتطهير أجهزة جيوشه
قبل مواجهة الفرس ، فأدخل تغييراً جذرياً في قادة جيوش الروم في الميدان
الفارسي ، وأخذ يعدّ الجيوش لملاقاة الفرس في جبهتين ، إذ بعث جيشاً
الى (إرمينية) ، على حين نصب نفسه قائداً عاماً لجيوش الميدان الثاني
في أرض الشام ، ولكن الجيوش الفارسية لم تقف ساكنة فرحفت كسرى
(برويز) بجنده على سورية سنة (٦١٤ م) ففتحها واستولى على (إنطاكية)
و (دمشق) وبيت المقدس و مدن أخرى من سورية وفلسطين ، ثم
أباح لجنده نهب (اورشليم) فنهبوا وأحرقوا القبر المقدس وكنيسة القيامة
وسلبوا خزائنها وحملوا بطيريكها والصليب الحقيقي الى بلادهم وواصلوا
القتل والنهب في أرض الشام الى سنة (٦١٤ م) (٦) .

وفي سنة (٦١٩ م) غدا الفرس سادة بحر الشام وأكملوا سيطرتهم
على مياه البحر الأبيض المتوسط باستيلائهم على مصر ، ولم تقف اطماعهم
الى هذا الحد بل هاجموا القسطنطينية فأنقذتها منعته الطبيعية وموقعها

(٦) انظر الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣١-٣٢) الطبعة الثانية ، والتسديد الاسلامي
(٣٩/١) الطبعة الثانية .

الجغرافي المتبع من التردى في أيدي الفرس (٧).

ولكن اتساع الخطر الفارسي وابتلاعه ولايات الروم الكبرى وتهديده للقسطنطينية نفسها أثار شعور الروم وامتثلوا حماسة للدفاع عن كيانهم . ووقفت الكنيسة على رأس هذه الحركة تشد أزر الأباطور لتخليص الأراضي المقدسة من أيدي انفرس وأضفت على مشروعات (هرقل) الحرية صبغة دينية ؛ وضربت الكنيسة مثلاً عملياً على تعصيدها لـ (هرقل) بأن قدّمت له كل ما لديها من ذهب وفضة ليسكنها نقوداً على أن يتعهد بردها فيما بعد ؛ وهكذا وقفت الكنيسة والدولة صفّاً واحداً في سبيل تخليص بيت المقدس وتخليص صليب الصليبوت ؛ وانكب (هرقل) على إعداد خطته الحربية التي انتهى منها سنة (٦٢١ م) (٨) .

وقضى هرقل ثلاث سنين متوالية حتى أوغل في بلاد الفرس واضطر (برويز) أن يسحب جنده للدفاع عن قلب مملكته .

وفي سنة (٦٢٧ م) حارب (هرقل) الفرس مرة أخرى ، فأجهز على قواتهم وبلغت جنود الروم الى (نينوى) عاصمة الآشوريين القديمة ، وهي أول مرة وطىء الروم تلك المدينة ؛ وكان (برويز) قد أصبح شيخاً طاعناً في السن ، فأوصى بالملك لابنه (مردانشاه) ، وكان له ابن آخر اسمه (شيرويه) حسد أخاه وعمد الى الكيد به وبأبيه ، فاستعان ببعض الناس حتى قبض على من بقي من أولاد (برويز) وهم ثمانية عشر ولداً ، فقتلهم جميعاً بين يدي أبيه ، وزجّ أباه بالسجن حتى مات .

وبموت كسرى (برويز) إنقضى مجد الدولة الساسانية ، ولم يعش ابنه (شيرويه) بعده إلا ستة أشهر ، فأصبحت حكومة الفرس فوضى ، وادعى الملوك تسعة ملوك خلال أربع سنوات ، فساد الفساد والفوضى وتمكن الاختلال

(٧) الدولة الاسلامية واطورية الروم ص (٣٢) .

(٨) الدولة الاسلامية واطورية الروم ص (٣٢-٣٣) .

فيها ، فجاءها المسلمون وهي في تلك الحال (٩) ..

لقد ظفر (هرقل) على الفرس سنة (٦٢٨ م) في حرب تخللتها عدة انتكاسات ، فاستعاد أرض الشام بعد أن كانت في أيدي الفرس وبعد أن كان (خسرو الثاني) قد اجتاحتها سنة (٦١١-٦١٤ م) ، وفي ١٤ أيلول سنة (٦٢٩ م) أعاد امبراطور بيزنطية الظافر الصليب الأعظم الى القدس فنادوا به محرراً للمسيحية ومعيداً لمجد الامبراطورية الرومانية الشرقية (١٠) .

- ٣ -

خرج (هرقل) من الحروب الفارسية شديد الاعتداد بنفسه ، يؤمن بأنه قدبر على حل المشاكل المذهبية المزمته التي بلغت ذروة تعقدها في عهده ؛ فأقبل بكليته بعد انتصاره في الحروب الفارسية على إنهاء الخلافات المذهبية التي تفشت في أقاليم دولته (١١) .

كان الامبراطور وأهل دولته يقولون : إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وأما رعيته في مصر و (أرض الشام) ، فكان أكثرهم يقولون بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهم اليعاقبة . وفي أيام (هرقل) سعى البطريك (أثناسيوس) بطريك اليعاقبة في (منبج) في التوفيق بين الطائفتين ، فخطب الامبراطور في ذلك وذهب مذهباً متوسطاً بين القولين ، وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ؛ فوافقه الامبراطور واستمهله ريثما يخبر البطريك القسطنطيني (بيروس) وهو سوري الأصل . وكان (أثناسيوس) قد اتفق معه على ذلك قبل مخاطبة الأمبراطور ، فنشر بهذا المعتقد منشوراً قَبِلَ به أكثر الأساقفة الشرقيين إلا (صفرونيوس) البطريك

(٩) التمدن الاسلامي (٤١/١) وانظر كتاب : قاذق فتح بلاد فارس ص (٦٠) .

(١٠) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (٣/٢) .

(١١) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣٥) .

الأورشليمي وبعض الأساقفة وفي مقدمتهم أسقف (عمان) وسائر أهل الكنيسة الملكية ، فشق ذلك على الامبراطور وعمل على الانتقام من الذين لم يقبلوا بمنشوره وفيهم جانب عظيم من الروم ، فأصبح الانقسام مزدوجاً : الامبراطور والبطريرك القسطنطيني والاسكندري والانطاكي حزب يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة ، واليعاقبة ومنهم الأقباط وأهل (حوران) وسائر أهل سورية الداخلية حزب آخر (١٢) الخ ..

لقد اعتقد (هرقل) ان الخطوة التي أقدم عليها كفيلة بحل المسألة الدينية المزمنة المعقدة التي عانت منها دولة الروم كثيراً ، فقد داعبه الأمل في قبول رعاياه لمذهبه الجديد لأنه محاولة للتوفيق وفيه من الآراء والعقائد ما يقبله كل من الفريقين المختلفين ، فأخذ يدعو الى مذهب (التوحيد) ، وبعث رسله الى سائر أقطار دولته لتفهيم الناس حقيقة الوضع الديني الجديد وحشهم على قبوله . غير أن هذا المذهب جاء بنتيجة على غير ما يهوى (هرقل) ، إذ قال المعاصرون سواء كانوا من الملكانيين أو من أصحاب الطبيعة الواحدة (الذين أطلق عليهم أيضاً اسم اليعاقبة نسبة الى زعيمهم يعقوب براديوس) : إن الامبراطور ما أراد بهذا المذهب إلا ليضل الكثيرين ، ورفض كل منهما التخلي عن مذهبه واتباع مذهب ثالث يعدونه زيفاً وبهتاناً . واشتدت المعارضة لهذا المذهب ولا سيما في مصر ، حيث لجأ (قيرس Cyrus) وهو (المقوقس) المبعوث الامبراطوري هناك لحل المسألة المذهبية الى العنف وجميع وسائل التعذيب لحمل الناس على اتباع المذهب الجديد ، فاضطر البطريرك القبطي (بنيامين) الى الهرب والقيام بحركة سرية ، فأصبح فرار هذا البطريرك ايذاناً باندلاع حركة مقاومة في البلاد ، وغدا القبط يتمنون زوال الامبراطورية والامبراطور صاحب المذهب الجديد (١٣) .

(١٢) التمدن الاسلامي (٤١/١-٤٢) .

(١٣) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣٩-٤٠) .

وكان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السياسة ، لاختلاط السياسة عندهم بالدين ، حتى آل ذلك أحياناً الى خروج أمم بأسرها من حوزة الروم الى الفرس ، كما حصل بالأرمن مثلاً ؛ فقد شدد الامبراطور النكير عليهم لئلا يمسكهم بعقيدتهم وعدم رضوخهم لعقيدته ، فأفضت بهم الحال الى تسليم بلادهم الى الفرس (١٤) .

- ٤ -

كيف كانت الحالة الاجتماعية في أرض الشام ومصر وليبيا ؟

كان الرومان في أرض الشام وغيرها يعدّون البلاد وأهلها (وهم العامة) ملكاً لهم يتصرفون بهم كيف شاءوا ، وكان الفلاحون في كثير من البلاد يعدّون من توابع العقار فينقل العقار من مالك الى آخر وفلاحوه معه ، وكان بعض سكان البلاد يحاولون التقرب الى الروم بالصناعة أو الأدب أو التجارة وهم قليلون ؛ فكان الناس طبقتين : طبقة الخاصة وهم الملك وأهله وأعوانه ورجال الدين ، والعامة وهم أهل البلاد الأصليون وأكثرهم الفلاحون والعمال .

وكان (الخاصة) من أهل (أرض الشام) في العصر الروماني هم البطارقة ، (والبطريق غير البطريك) ، وكان البطارقة عند الرومانيين جماعة من أشراف المملكة الرومانية نشأوا مع مدينة روما وكان لهم نفوذ عظيم في الدولة الرومانية فانحط شأنهم بعد انقسامها الى شرقية وغربية ولم يبق لهم عمل ؛ فلما امتدت سطوة الروم الى المشرق عهدوا بحكم تلك البلاد الى البطارقة وولّوهم حكم المستعمرات الشرقية ومنها الشام ومصر ، فكانت (أرض الشام) ولاية واحدة تقسم الى إحدى عشر إقليماً على كل إقليم

(١٤) السدن الاسلامي (٤٢/١) .

(بطريق) معه الجند كأنه حاكم مستقل (١٥) .

وكان في (أرض الشام) عند ظهور الإسلام بقايا الآراميين الأصليين وهم السريان في الشمال والشرق ، واليهود والسامريون في الجنوب ، وبقايا الأنباط في الغرب والغساسنة ، يتخلل هذا المجموع شتات من أمم أخرى ، كالجراجمة في جبل (اللكام) (١٥) وأخلاط من مولدي اليونان والرومان على الشواطئ ، وكانت جامعة الدين قد تغلبت على جامعة النسب أو الجنس أو اللغة ، فأصبحت الطوائف تنسب الى مذاهبها الدينية كاليهود والنصارى والسامريين ، وينقسم النصارى الى ملكيين ويعاقبة ونساطرة وموارنة وغيرهم ، وكانت الديانة والسياسة مرتبطتين ، والحزب الديني عبارة عن حزب سياسي يستخدم في تأييد الدولة ، وكانت كنيسة أم الكنائس في المشرق ، وشعوب تلك الكنائس تنقاد الى تلك الكنيسة لتأييد سلطة القيصر صاحب العرش فيها (١٦) .

أما سكان مصر ، فكانوا أقل اختلاطاً من سكان أرض الشام والعراق ، ومع ذلك فقد توالى الهجرة إليها من أقدم أزمنة التاريخ قبل زمن الفراعنة . والفراعنة أكثرهم من الفاتحين الغرباء ، فكانوا إذا احتلوا مصر واستقام لهم الأمر فيها ، هاجر إليها أهل عصبيتهم لاستثمار ذلك الاحتلال ، فيأتون عازمين أن تكون إقامتهم في مصر وقتية ريثما يجتمع لهم المال ، ولكن أكثرهم لا يرجعون الى مناطقهم الأصلية فلا تمضي بضعة أجيال عليهم حتى يختلطوا بالسكان ويصيروا جزءاً منهم كما حدث في زمن (الرعاة) (١٦) والفرس واليونان والرومان وغيرهم ممن احتلوا مصر قبل الإسلام .

(١٥) التمدن الاسلامي (١٢/٥ - ١٣) .

(١٥) اللكام : جبل لبنان .

(١٦) التمدن الاسلامي (١٢/٥) .

(١٦) الرعاة : هم الهيكسوس .

وكان المحتلون يترفعون غالباً عن الاختلاط بسائر أفراد الشعب ، فيكون منهم الجند ورجال الدولة والكهنة ونحوهم من أهل السيادة ، ويجعلون مقامهم في المدن الكبرى ، ويبقى للشعب الفلاحة والصناعة والخدمة .

لقد حكم البطالسة مصر نحو ثلاثمائة سنة ، وتقاطر اليونان في أيامهم بكثرة ، وكانوا يقيمون في الإسكندرية أو غيرها من العواصم ، وكان أكثرهم من التجار والجند ورجال الدولة . كذلك كان شأن الرومان ، فإنهم تولّوا وادي النيل ستة قرون ، والروماني يمتاز عن المصري لغةً ومذهباً وخلقاً ، وكانوا يقيمون في المعازل والحصون والمدن الكبرى كما كان حالهم في (أرض الشام) .

ولما ظهر الإسلام ، كان سكان مصر طبقتين : الرومان أو الروم وعاصمتهم الاسكندرية ، ومنهم رجال الدين ؛ والسكان وهم الأقباط الأصليون يخالطهم بعض المولودين من اليونان والرومان وغيرهم من النازحين للتجارة أو الخدمة أو غيرهما من أهل الشام واليمن والعراق والنوبة وإفريقية ؛ وكان بين الحكومة والأهالي فاصل آخر مذهبي ، فكان الروم على مذهب الملك وهم الملكيون ، وكان الأقباط على مذهب يعقوب البرادعي وهم اليعاقبة (١٧) .

أما ليبيا فقد انتشرت فيها النصرانية خلال القرن الثاني للميلاد على يد رهبان أتوا إليها من مصر ، ومع أنها لاقت قبولاً طيباً فقد كان انتشارها محدوداً ، وأخذ الرهبان ينتشرون بين البربر ، فكانت المسيحية بذلك سبيلاً للاتصال بين الرومان والسكان الأصليين (١٨) ، وقد استمرت النصرانية في ليبيا حتى بعد زوال الحكم البيزنطي (١٩) .

وبعد ان فتح الروم ليبيا ، ومع طول الزمن وتعاقب السنين ، اندمج

(١٧) التمدن الاسلامي (١٣/٥-١٤) .

(١٨) ليبيا بن الماضي والحاضر ص (٩٤) وانظر تفاصيل ذلك في مقدمة قادة فتح المغرب .

(١٩) ليبيا من الاستعمار الإيطالي الى الاستقلال ص (٢٧) .

سكانها الأصليون من البربر بالروم ونسي بعضهم قوميتهم وعاداتهم وأصبحوا روماً في كل مقومات الحياة حتى زالت الفوارق بينهم وبين الروم ؛ وبهذا الاندماج أمكنهم أن يتولوا أكبر المناصب في الدولة . وكان هذا الاندماج في بربر السواحل وما قاربها . أما البربر الذين يسكنون الجبال وما وراءها فقد احتفظوا بقوميتهم وعاداتهم ولم يتأثروا بعادات الروم ، ولذلك نراهم كثيراً ما قاوموا الروم وحاولوا إجلاءهم عن وطنهم ، ولم يتركوا فرصة للثورة إلا ثاروا عليهم للتخلص من حكمهم^(٢٠) .

لقد كان معظم سكان البلاد الاصيلين من البربر ، يعتصمون بالجبال دأبهم النهب والسلب ، وقد وجد الرومان أهل تلك البلاد طبقتين : أحدهما حضرية تستوطن السواحل يتعاطون التجارة والصناعة ، والأخرى تسكن الجبال والبادية . وكان سكان ليبيا عند الفتح الاسلامي طبقتين أيضاً : الأولى أهل المدن وهم الموريتانيون ومن اختلط بهم من الأمم الفاتحة من الروم والفندال ، وقد اعتنقوا المسيحية وتحضروا ؛ والثانية النوميديون الذين يسميهم العرب : قبائل البربر ، وهم لا يزالون على بدائنتهم وظلّوا ممتنعين في جبالهم^(٢١) الى الفتح الاسلامي حيث اعتنقوا الاسلام .

- ٥ -

كيف كان جيش الروم قبيل الفتح الإسلامي ؟

لقد تطوّر جيش الروم بالتدريج أسوة بالجيوش العالمية الأخرى ، فقد كان الناس في أوائل أديوار تمدنهم قبائل يدافع عنها القادرون على حمل السلاح من رجالها ، فاذا تهدّد القبيلة خطر عسكري اجتمع رجالها بلا ترتيب

(٢٠) تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص (١٨) .

(٢١) تاريخ التمدن الاسلامي (١٥/١٤-١٥) .

ولا نظام .. ثم ينال كل واحد من الغنيمة ما يستطيع الحصول عليه بنسبة شجاعته وقوة شكيته ، فلما تحضر الناس وتقاسموا الأعمال ونشأت الدول كان من أقدم المهن عندهم الكهانة والجندي .

وأول دولة نظمت الجند هي الدولة الفرعونية في مصر ، فقد جندت جنداً من الزنوج والأحباش حوالي القرن العشرين قبل الميلاد ، أخضعت بهم سكان سواحل البحر الأحمر ؛ ثم انتشر أمر التجنيد في الدول القديمة : الآشورية والبابلية والفينيقية واليونانية والرومانية والفارسية ...

لقد كان الفراعنة أسبق الأمم الى تنظيم الجند ، وكان نظامه عندهم هو نظام الصفوف المتعاقبة المتراسة ، والمشهور أن (رعسيس) الثاني هو منظم الجند المصري على النظام المعروف .

أما اليونان ، فقد اقتبسوا نظام الجند المصري ونوعوه ، فأنشأوا الكتائب وهو أن تتراس الجنود صفوفاً متعاقبة ، وكانت الكتيبة تتألف من أربعة آلاف رجل يصطف رجالها الواحد بجانب الآخر على بضعة أقدام في صفوف متعاقبة الواحد وراء الآخر ، فجعلها (فيليب المقدوني) ضعفي ذلك ، ثم جعلها ابنه الاسكندر أربعة أضعافه وقارب ما بين الرجال حتى كادت تنماس أكتافهم وتربط تروسهم ، واصطنع لهم رماحاً طول بعضها أربعة وعشرين قدماً . وفي هذا النظام تكون رماح الصف الأمامي قصيرة ، ورماح ما وراءه أطول فأطول حتى تبرز رماح الصف الخامس ثلاثة أقدام نحو الأمام ؛ وكان فيليب قد نظم فرقة من الفرسان ، فأضاف ابنه الاسكندر إليها آلات الحرب ومن جعلتها المتجنين ، وبهذا النظام تغلب الاسكندر على العالم في القرن الرابع قبل الميلاد .

فلما نشأت دولة الروم ، اقتبست نظام الكتائب عن اليونان وأدخلته في جندها ، وكان الجيش الروماني في إبان الدولة مؤلفاً من فرق ، عدد رجال كل منها ستة آلاف رجل تتألف من ثلاث طبقات من المقاتلين : الشباب

ومنهم يتألف الصف الأول من الكتيبة في الحرب ، والكهول في الصف الثاني ، وأهل الدربة والحنكة ويتألف منهم الصف الثالث ، وكان يُلحق بكل فرقة عندهم كوكبة فرسان تتقلد السهام والمقاليع والمزاريق لمشاغلة الأعداء في حرب المشاة ولأجراء الاستطلاع قبل الاصطدام .

ثم قسّم الروم الفرق الى كراديس بلا تقييد بالصف ، فجعلوا الفرقة عشرة كراديس ، كل كرادوس ثلاثة أقسام ، كل قسم فصيلتان عدد رجال كل منهما مائة رجل ... وهذا النظام يخالف نظام الكتائب المتقدم ذكره ، وذلك بأن لا يتقيد الجند بصف واحد أو كتيبة واحدة ، بل يكون تنظيم كل كتيبة مؤلفاً من كراديس ، وقد ظل نظام جند الروم في حروبه على هذه الصورة الى الفتح الاسلامي .

ولما ظهر الاسلام ، كانت جنود الروم يقود كل عشرة آلاف منها قائد يغلب أن يكون بطريقاً^(٢٢) وبإمرة البطريق ضابطان يسمى كل منهما (طومرخان)^(٢٣) يتولى قيادة خمسة آلاف جندي ، وبأمر كل (طومرخان) خمسة ضباط مرووسين (طرنجارية^(٢٤) Drungrü) كل واحد يقود ألف رجل ، وبإمرة كل ضابط من هؤلاء خمسة ضباط مرووسين أيضاً (قومس^(٢٥) Comes) يتولى كل واحد منهم قيادة مائتي جندي ، وبإمرة كل ضابط من هؤلاء ضباط صف (قمطرح^(٢٦) Cemturiones) وبإمرة كل واحد منهم عشرة رجال^(٢٧) .

لقد كان الجيش الروماني مرتكزاً على الحكم الاقطاعي ، وذلك أن

(٢٢) يشابه قائد فرقة في الوقت الحاضر ، والبطريق أحد أشراف روما كما ذكرنا سابقاً .

(٢٣) يشابه آمر لواء في الوقت الحاضر .

(٢٤) يشابه آمر فوج في الوقت الحاضر .

(٢٥) يشابه آمر سرية في الوقت الحاضر .

(٢٦) يشابه آمري الحفائر في الوقت الحاضر .

(٢٧) انظر التمدن الاسلامي (١ / ١٤١ - ١٤٣) .

كل بطريق (نبيل) يعد قائداً لجماعته ، وكان هؤلاء النبلاء يمنحون الأراضي والعقارات الشاسعة للقيام باعاشة أتباعهم ، وقد أدى ذلك الى حدوث حروب داخلية بين النبلاء خاصة عندما تضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية ، فقد كان كل نبيل يطمع في توسيع ملكه وسلطته على حساب غيره من النبلاء ، بل كان بعض النبلاء ينقضون حتى على الحكومة المركزية في بعض الأحيان (٢٨) .

ويؤخذ من رسالة (فجيتيوس Vegetius) في علم الحرب ، أن نظام الجيش الروماني في الغرب والشرق كان قد تعاوره التحلل قبل ظهور الاسلام بأكثر من قرنين ، فقد قال : « إن الجيش الروماني قد وهن واضمحل » ، ويذكر من أسباب وهنه واضمحلاله : « أن مناصبه الكبرى أصبحت تمنح للمحاباة والصنيعة بعد أن كانت وفقاً على الكفاءة والخدمة الطويلة ، وأن عامة جنوده يهربون منه ويؤثرون الخدمة في الفرق المتطوعة لأنهم يستقلون تمريناته وأسلحته ويستقلون جزاءه ويضيقون ذرعاً بوطأة نظامه (٢٩) » .

لقد استفدت الحرب الفارسية قوى الجيش الروماني في المال وفي السلاح ، كما أهمل الروم لإدامة حصونهم ، وأبطلوا الجراية التي كانت توزع على قبائل الحدود ، كما تضعضع الضبط داخل صفوف جيوش الروم وكثرة التمرد والفوضى (٣٠) .

- ٦ -

لقد كانت علل الفناء قد اصطلحت على بناء الدولة الرومانية الشرقية قبيل ظهور الاسلام وفي أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت تلك الدولة تعيش في محنتين ماحقتين : محنة العقيدة ، ومحنة النزاع على الملك والولاية .

(٢٨) الرسول القائد ص (٤٦) الطبعة الثانية .

(٢٩) عبقرية خالد - عباس محمود العقاد ص (١٣٥-١٣٦) طبعة دار الهلال .

(٣٠) الروم (٢٤٨/١) .

فقد ضُرب المثل بالجلد البيزنطي في التاريخ القديم والحديث من جراء الخلاف على المذاهب الدينية في الدولة الرومانية الشرقية ، وكان معظم أبناء الولايات من النساطرة واليعاقبة يخالفون مذهب الدولة الرسمي ويعتقون رجاله ويرمونهم بالهرطقة والوثنية .

وابتذل عرش الملك بالقتل والاعتصاب ، فضعف الولاء له في نفوس الشعب وقادة الجيوش ، وقد استقر الأمر زمناً للقيصر (هرقل) الذي حضر عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه شقي بالفتن في أخريات عهده ، وركبته الوسوس في شيخوخته ولا سيما بعد بنائه بينت أخته ، فاعتقد أنه مغضوب عليه مستحق لعقاب السماء (١٣١) .

وكان الذين لا يعتقدون المسيحية من رعايا الدولة الرومانية الشرقية كاليهود والوثنيين ساخطين ناقلين ، لأن رؤساء الكنيسة والدولة اتهموهم غير مرة بالتواطؤ على فتح البلاد مع المغيرين عليها من الفرس والبرابرة ، فأُتخِوا فيهم قتلاً وتشريداً ، حتى قيل : إنهم كانوا يفتكون في المذبحة الواحدة بعشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال (١٣١) .

وكان رد الفعل في محنة العقيدة ومحنة اختلال الملك والسلطان ، ظاهراً غاية الظهور في الجيش الروماني : ارتباك في القيادة ، واضطراب في الأهداف ، وإخلال في الضبط ، وفساد في القضايا الإدارية .

وفي تلك الأيام كان النبي الكريم صلوات الله وتسليمه عليه قد استطاع بفضل رسالته أن يخرج العرب من جاهليتهم التي جعلت دولة الروم تنظر اليهم دائماً على أنهم جنس قليل الخطورة ، متخبط في نظمه الجاهلية بما فيها من أحقاد وترات وغارات وطعان .

في تلك الأيام ، أخذ يفوح شذا الدعوة الإسلامية بالكتب التي بعثها

(١٣١) عبقريّة خالد ص (١٣٤ - ١٣٥) .

الرسول صلى الله عليه وسلم الى (هرقل) و (المقوقس) وغيرهما من قادة العالم ، فلم تقدر دولة الروم تلك الدعوة التي وصلتها ، ولم تدرك ما انطوت عليه من عقيدة جديدة سوف تزلزل أركانها ، كما لم تعر موطن العقيدة الإسلامية اهتماماً ، لأنها لم تتصور أن بلاد العرب سوف تصبح بفضل تلك العقيدة الجديدة وحدة لها خطرها ونفوذها (٣٢) .

ولكن الأسباب التي قضت على الروم بالهزيمة كائنة ما كانت ، ليست هي الأسباب التي قضت للعرب بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لأن استحقاق أناس للزوال لا ينشئ لغيرهم حق الظهور والبقاء .

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى ، فقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام المسلمين وهم أوفر في السلاح والعدد وأغنى بالخيول والابل والأموال ، فهي نصره عقيدة لا مرأى !

ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول ، فالواقع أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالاً أولي خبرة وقدره يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائها (٣٣) .

والواقع إن الاسلام عقيدة منشئة بناءة زاد عنها حماة قادرون ، لذلك انتصر العرب المسلمون على الروم ، ولم يكن انحلال الدولة الرومانية حينذاك إلا من عوامل اندحارهم وانتصار العرب عليهم ، ولكن هذا الانحلال لم يكن هو العامل الوحيد لانتصار العرب على الروم .

وقد كان الرسول القائد على رأس الحماة القادرين الذين خططوا لفتح الاسلامي ، فهو الذي رسم بنفسه الخطة التمهيدية التي حملت الجيوش العربية على فتح (أرض الشام) وتأسيس أول ركن في دولة الاسلام خارج بلادهم على شواطئ البحر الأبيض الشرقي ؛ وذلك أن الرسول صلى الله

(٣٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٤٢) .

(٣٣) عبقرية خالد (١٢٧-١٢٨) وانظر الفاروق القائد (١٨) الطبعة الأولى .

عليه وسلم الى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية الى قادة العالم في وقته كان قائداً ماهراً يقطاً لا يغصّ الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحطّ من شأن دعوته أو يعمل على النيل منها ، فلم يقف ساكناً إزاء استشهاد رسوله الذي بعثه الى أمير الغساسنة في (بُصْرَى) ، فأرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) أحد قادته المقربين اليه وهو (زيد بن حارثة الكلبي) على رأس حملة عددها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب ، وهناك عند (مُوتَة) الواقعة على حدود (البَلَقَاء) الى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت التقى المسلمون بقوات الروم (٣٤) .

ومهما تكن الحاتمة التي لقيتها غزوة (موتَة) ، فان نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الروم في تلك الغزوة غارة من الغارات التي اعتاد البدو شنتها للنهب والسلب ، كانت غزوة زيد في الحقيقة غزوة من نوع جديد لم تقدّر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمة خاصة جعلت المسلمين يتطلّعون جيّداً لفتح (أرض الشام) .

وفي العام التالي أي في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠ م) قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة (تبوك) ، فأظهر قوة المسلمين وعاد الى المدينة .

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة أسامة بن زيد لمهاجمة الروم ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في ربيع الأول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢ م) قبل تحرّك ذلك الجيش ، فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم ، وولى وجوههم شطر قبلة عينها لهم ، وهكذا وقف الرسول القائد بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحلّ ببلاد العرب وتناوئ دعوته إنما موطنها (أرض الشام) حيث الروم وعمائم الغساسنة ؛ وقد أثبتت حوادث الفتح الإسلامي في

(٢٤) انظر تفاصيل معركة موتَة في كتاب : الرسول القائد ص (٢٠٣-٢٠٧) .

أراضي الروم صدق هذه الإشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عناداً (٣٥) .
فماذا عمل أبو بكر رضي الله عنه لتحقيق أهداف النبي صلى الله عليه وسلم وكيف سار قُدُماً نحو إنجازها ؟
وماذا عمل عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهما لتحقيق تلك الأهداف ؟

ومن هم أولئك الحماة القادرون الذين حملوا رايات العرب والإسلام شرقاً وغرباً في (أرض الشام) ومصر وليبيا ؟ (٣٦)
ذلك ما ستقرأه وشيكاً في هذا الكتاب ؟

والحمد لله الذي حقق لي أملاً من أعز آمالي وحلماً من أغلى أحلامي في نشر سير قادة الفتح الاسلامي ، وأدعوه أن يعاونني على إكمال ما أصبو إليه من نشر تاريخ حياة قادة الفتح حتى يشمل تاريخ الفاتحين الذين نشروا رايات العرب والاسلام في بلاد الفرس والروم وفي بلاد لم يدخلها الفرس والروم ، فكان هذا الفتح عجيبة من أعظم عجائب التاريخ لا يرح المؤرخون حتى أيامنا هذه يأتون في تعليلها كل يوم بعلة جديدة .
وصلى الله على القائد الذي أفنى عمره المبارك مجاهداً من أجل التوحيد ، وموحداً من أجل الجهاد .

ورضي الله عن خلفائه الراشدين وقادته الفاتحين الذين نفلوا مخططاته وأهدافه في جمع الشمل وحرص الصفوف ، وقضوا حياتهم المباركة في إعلاء كلمة الله ، واضعين نصب أعينهم : الجهاد من أجل التوحيد ، والتوحيد من أجل الجهاد .

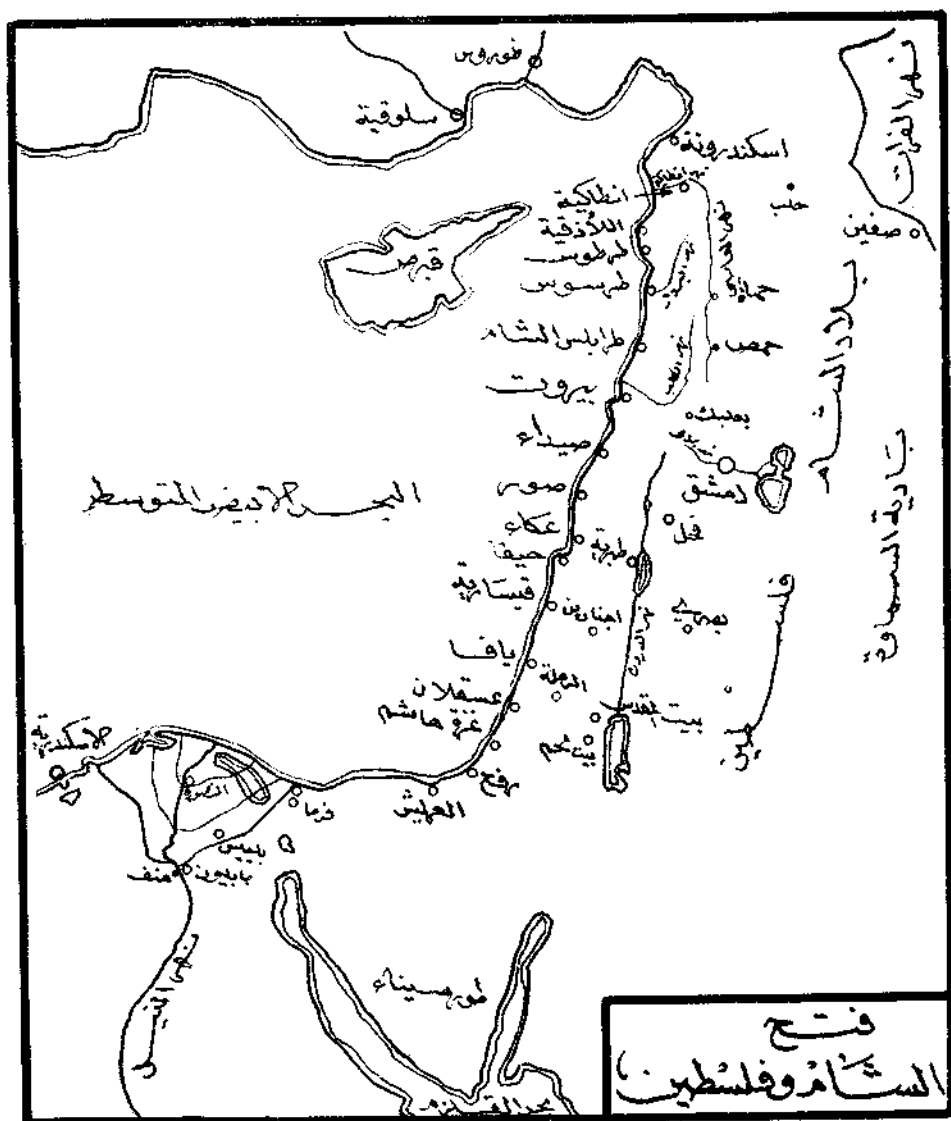
(٣٥) للدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٤١) .

(٣٦) تفاصيل فتح ليبيا تقرأها في كتابنا قادة فتح المغرب .

القادة العثمانيون

- ١ - أسامة بن زيد الكلبي .
- ٢ - خالد بن الوليد المخزومي (١) .
- ٣ - أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري .

(١) راجع كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧-٢٠٩) .



أُسامة بن زيد الكلبى

القائد الذى هاجم الامبراطورية الرومانية
وجرأ العرب على مهاجمتها

« ما كنت لأحیی أحدًا بالإمارة غیر أسامة ، لأن
رسول الله صلى الله علیه وسلم قبض وهو أمیر » .
(عمر بن الخطاب)

عائلته :

هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى الكلبى (١) .
أبوه هو زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله علیه وسلم . وأمه
أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ، وكانت مولاة لأبيه عبد الله بن
عبد المطلب ، فلما توفي أصبحت ملكاً للرسول ﷺ ، فأعتقها رسول الله
ﷺ وزوجها زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة ، وكان رسول الله ﷺ
يقول : « أم أيمن أمي بعد أمي » (٢) .

وتتلخص قصة اتصال زيد بن حارثة بالرسول صلى الله علیه وسلم :
أن سعدى أم زيد زارت قومها ومعها زيد ، فأغارت خيل لبني النضير
جسر في الجاهلية على أبيات بني معن قوم أم زيد ، فاحتملوا زيداً وهو

(١) طبقات ابن سعد (٦٢/٤) والاصابة (٢٩/١) واسد الغابة (٦٤/١) والاستيعاب
(٧٥/١) وتهذيب ابن عساكر (٣٩١/٢) .
(٢) الاصابة (٢١٢/٨) .

غلام فأتوا به سوق عكاظ وعرضوه للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته لسه (٣) .

وأقبل موسم الحج ، فحجّ قوم من بني (كلب) ، فرأوا زيداً بمكة وعرفوه وعرفهم ، ولما غادروا مكة عائدین الى قومهم أخبروا أباه ، فخرج حارثة وأخوه كعب وقدا مكة . ودخلا على محمد بن عبد الله يسألانه : « يا ابن عبد المطلب ! يا ابن سيد قومه ! أنتم أهل حرم الله ، تفكّون العاني وتطعمون الأسير ... جئناك في ولدنا عندك ، فامن علينا وأحسن في فدائه ، فاننا سرفع لك في الفداء !! » قال محمد : « وما ذاك ؟ » ، فقالا : « زید ابن حارثة ، » فقال لهما : « فهل لغير ذلك ؟ » قالا : « وما هو ؟ » ، قال « ادعوه فخبّروه ، فان اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً !! » ، قالا : « قد زدنا في النصف وأحسن ! » .

وجاء زيد فعرف أباه وعمه ، فقال محمد مخاطبه : « فأننا من قد علمت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما » ، فقال زيد : « ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والأم ! » ، فقال أبوه وعمه : « ويحك يا زيد ! أتمتار العبودية على الحرية وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك ؟ ! » ، فقال لهما : « نعم ! إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً » . فلما رأى محمد ذلك ، أخرجه الى الحجر في البيت الحرام ، فقال : « اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني » ، فلما سمع ذلك أبوه وعمه ، طابت نفساهما وانصرفا ، فكان زيد يدعى : زيد بن محمد حتى جاء الاسلام (٤) ، وحتى نزلت الآية الكريمة : (ادعوهم

(٣) الاصابة (٢٥/٣) .

(٤) اسد الغابة (٢٢٥/٢) .

لآبائهم) ، فأصبح زيد يدعى : زيد بن حارثة .

ولما نزلت رسالة السماء على محمد صلى الله عليه وسلم ، كان زيد أول من أسلم . ولما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ، هاجر زيد اليها ، فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بين حمزة سيد الشهداء وعم النبي وزيد بن حارثة ، ثم أخى بعد استشهاد حمزة في غزوة (أحُد) بين زيد وبين أسيد بن حضير .

ونشب القتال بين المسلمين والمشركين - وكان زيد من الرماة المذكورين والشجعان المفلوجين - فشهد بدماء وأحداً والخندق والحديبية ويوم حُنين ، كما خرج زيد أميراً لسبع سرايا ، كما استخلفه الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خروجه الى غزوة (المريسع) . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة في سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه (٥) » . وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم غزو الروم ، فجمع ثلاثة آلاف من المسلمين وعقد لزيد وقدمه على الأمراء الآخرين قائلاً : « عليكم زيد ابن حارثة ، فان أصيب زيد فجعفر ، فعبد الله بن رواحة » (٦) .

واستشهد زيد في غزوة (موتة) بعد أن قاتل الروم قتال الأبطال ، فاستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم وبكاه .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن زيد : « وأيم الله ! إن كان نخلباً للامارة وإن كان لمن أحب الناس اليّ » (٧) .

تلك هي عائلة أسامة : أبوه أقرب الناس الى قلب النبي الكريم ، وأمه

(٥) اسد الغابة (٢/٢٢٦) .

(٦) سيرة ابن هشام (٢/٤٢٧) .

(٧) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٦٩) ، وانظر تفاصيل سيرة زيد بن حارثة في طبقات

ابن سعد (٣/٤٠) والاصابة (٣/٢٤) واسد الغابة (٢/٢٢٤) والاستيعاب (٢/٥٤٢) .

أم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمه .

مع النبي :

عاش أسامة في كنف النبي صلى الله عليه وسلم وفي رعايته ، وكان الصحابة يطلقون عليه : حبيب رسول الله وابن حبه . ويصف أسامة حب الرسول صلى الله عليه وسلم له بقوله : « كان يأخذني رسول الله والحسن ابن علي بن أبي طالب ، ثم يقول : أَللّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَانِي أَحِبَّهُمَا » (٨) . وبلغ حب النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة ، أن كان يردفه وراءه مرات عديدة : دخل مكة يوم (الفتح) ورفقه أسامة ، فأناخ في ظل الكعبة ودخلها مع بلال وأسامة ، وشوهد أسامة وهو رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفه (٩) .

ولم يجرؤ أحد أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم في قضية المخزومية التي سرت غير أسامة . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « إن امرأة من بني مخزوم سرت فقالوا : من يكلم فيها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلم يجترأ أحد أن يكلمه ، فكلّمه أسامة بن زيد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ! لو كانت فاطمة لقطعت يدها » (١٠) .

لقد ولد أسامة بمكة ونشأ وترعرع ولم يعرف غير الإسلام ديناً ، وهاجر إلى المدينة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً ، وكان عنده كـبعض أهله (١١) . لقد ولد في بيت إسلامي ، فتلقّى تعاليم الإسلام منذ نعومة أظفاره من نبي الإسلام ، فلا عجب أن يؤمن إيماناً عميقاً برسالة

(٨) طبقات ابن سعد (٦٢/٤) .

(٩) فتح الباري بشرح البخاري (٨١/٨) وطبقات ابن سعد (٦٦/٤) .

(١٠) فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧) .

(١١) طبقات ابن سعد (٦١/٥) .

النبي صلى الله عليه وسلم ويتحمّس في الدفاع عنها .

ردّه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم (أحد) لصغر سنه ، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج من بني حارثة ولهما خمسة عشر عاماً ، وردّ أسامة وعبد الله بن عمر وغيرهما لصغر سنهم ، ولكنه عاد فأجازهم عام (الحندي) بعد ذلك بسنة ، وكان لعبد الله بن عمر يوم (أحد) أربعة عشر عاماً ، وكان سائر من ردّ معه في هذه السن أيضاً (١٢) .

وشهد غزوة (الحندي) بعد أن أصبح عمره خمسة عشر عاماً ، كما شهد الغزوات الأخرى تحت لواء الرسول القائد عدا (موتة) ، فقد شهدا تحت لواء (أبيه) زيد (١٣) ، وقد أبلى يوم (حُنين) أحسن البلاء وثبت فيه ثبات الأبطال ، إذ أنه ثبت مع عشرة رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين بعد هزيمة المسلمين في أول معركة (حنين) (١٤) ، فاستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الساقة الصغيرة أن يجمع مائة من المسلمين يحمي بهم أنهار المسلمين من مطاردة المشركين لهم ، ثم يقوم بالهجوم المقابل بعد فتور زخم هجوم المشركين ، فلما عاد المنهزمون من المسلمين بعد فرار المشركين ، وجدوا أسرى المشركين في الأغلال .

لقد كان أسامة الشجاعة والاقدام منذ نشأته : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أسامة على رأس قوة من المسلمين ، وكان ذلك أول تجربة عملية لإمارة أسامة ، فلقى العدو وقاتلهم مظهرًا شجاعاً نادرة . قال أسامة : « فأتيت

(١٢) جوامع السيرة - لابن حزم - ص (١٥٩) .

(١٣) طبقات ابن سعد (٦٢/٤) .

(١٤) الذين ثبتوا عشرة رجال وهم : آ . من المهاجرين ١- أبو بكر ، ٢- صر . ب . من أهل البيت ١- علي بن أبي طالب ، ٢- العباس بن عبد المطلب ، ٣- أبو سفيان بن الحرث ، ٤- ابن أبي سفيان ، ٥ - الفضل بن العباس ، ٦ - ربيعة بن الحرث . ج . من الموالى ١- أسامة بن زيد ، ٢- أيمن ابن أم أيمن . راجع سيرة ابن هشام (٧٢/٤) .

النبي صلى الله عليه وسلم وقد أتاه البشير بالفتح فاذا هو متهاطل وجهه ، فأدناني ثم قال : حدثني ! فجعلت أحدثه ، فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلاً وأهويت اليه بالرمح ، فقال : لا إله إلا الله ! فطعنته فقتلته !.. فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ويحك يا أسامة ! فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ فلم يزل يرددّها عليّ حتى لوددت أنّي انسلخت من كل عمل عملته واستقبلت الاسلام يومئذ جديداً ، فلا والله لا أقاتل أحداً قال : لا إله إلا الله ، بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١٥) . ولم يؤمر الرسول صلى الله عليه وسلم أسامة مرة واحدة بل مرّات عديدة . قال سلمة بن الأكوع : « غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات : مرة علينا أبو بكر ، ومرة علينا أسامة » ^(١٦) ، وهذا يدلّنا بوضوح على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أمّر أسامة في بعض الغزوات قبل أن يؤمّره على الجيش الذي أعدّه لمهاجمة الروم قبيل التحاقه بالرفيق الأعلى .

وكان أسامة بالإضافة الى شجاعته النادرة ، يتمتع بذكاء خارق واتزان في التفكير ونضوج عقلي مبكّر ، مما جعله موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد مستشاريه المقربين ، يدلّنا على عقليته الراجحة استشارة النبي صلى الله عليه وسلم له في أخطر قضية عائلية هي قضية حديث الافك . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « دعا (اي الرسول) علي ابن ابي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً عليّ وقاله : ثم قال : يا رسول الله ! أهلك ولا نعلم إلاّ خيراً وهذا الكذب والباطل » ^(١٧) .

(١٥) طبقات ابن سعد (٦٩/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢٩٥/٢) .

(١٦) فتح الباري بشرح البخاري (٣٩٨/٧) .

(١٧) سيرة ابن هشام (٣٤٦/٣) .

لقد كان أسامة موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم الكاملة وموضع حبه العظيم .

جهاده :

بعث أسامة :

١ - بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) ، فأمر بتجهيز جيش ضخم كان فيه أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم ، وجعل هذا الجيش بإمرة أسامة ، فتجهّز الناس وأوعب^(١٨) مع أسامة المهاجرون الأولون^(١٩) ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أسامة أن يوطئ الخيل نخوم اللقاء^(٢٠) والداروم^(٢١) من أرض فلسطين .

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض الرسول صلى الله عليه وسلم ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم قال : « أيها الناس ! أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إماره أبيه من قبله ، وإنه لخلق للامارة ، وإن كان أبوه لخليقاً لها^(٢٢) » . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسرع الناس في جهازهم . وخرج أسامة وخرج جيشه معه حتى نزلوا موضع (الجرف)^(٢٣) ، فعسكر الجيش هناك ينتظرون

(١٨) . أوعبوا معه : أي خرجوا جميعهم للفر .

(١٩) سيرة ابن هشام (٣١٩/٤) وطبقات ابن سعد (١٩٠/٢) .

(٢٠) اللقاء : كورة من أصال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها حان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٦/٢) .

(٢١) الداروم : قلعة . بمسد مدينة غزة للقاصد الى مصر ، الواقف فيها يرى البحر إلا ان بينها وبين البحر مقدار فرسخ . راجل التفاصيل في معجم البلدان (١٣/٤) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (٦٨/٤) .

(٢٣) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو دمشق . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨٧/٣) .

نتيجة مرض الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال أسامة : « لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هبطتُ وهبط الناس معي الى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمت فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها عليّ ، فأعرف أنه يدعو لي » (٢٤) .

٢- وكان أول أمر أصدره أبو بكر رضي الله عنه بعد أن تمت له البيعة بالخلافة أن قال : « أنفذوا بعث أسامة » .

ولكن أسامة طلب من عمر رضي الله عنه أن يرجع الى المدينة ليستأذن أبا بكر في رجوع أسامة وجيشه قائلاً : « إرجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس ، فإنّ معي وجوه الناس وحدّهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله يتخطّفهم المشركون » .

وقالت الأنصار لعمر : « فإن أبيت إلا أن نخضي ، فأبلغه عنا واطلب اليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سنّاً من أسامة » .

وأبلغ ابن الخطاب أبا بكر رسالة أسامة ، فلم يلبث حين سمعها أن ثار ثائرة وقال : « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ولما سمع أبو بكر رسالة الأنصار من عمر ، وثب لها وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر وقال مغضباً : « ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمّرتني أن أنزعه !؟ » .

ورجع عمر الى الناس ، فسألوه عما صنع ، فقال : « أمضوا ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله (٢٥) » .

(٢٤) طبقات ابن سعد (٦٨/٤) .

(٢٥) الطبري (٤٦٢/٢) .

وقال الناس لأبي بكر : « إن هؤلاء جند المسلمين ، والعرب على ما ترى فقد انتقضت بك ، فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك » .. فأجابهم أبو بكر : « والذي نفسي بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة ، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم » (٢٦) .

ورجع أسامة بنفسه إلى أبي بكر وقال له : « إن رسول الله بعثني وأنا على غير حالكم هذه ، وأنا أتخوف أن تكفر العرب ، فإن كفرت كانوا أول من يُقاتل ، وإن لم تكفر مضيت ، فإن معي سروات الناس وخيارهم » .. وكان جواب أبي بكر لأسامة ولغيره من الناس ما ذكره في خطابه : « والله لأن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢٧) .

٣- وأمر أبو بكر الناس بالتجهز للغزو ، وأن يخرج كل من هو من جيش أسامة إلى معسكره ؛ (الجرف) ، فخرجوا كما أمرهم أبو بكر . ولما أكمل الجيش تحشده ؛ (الجرف) ، زارهم أبو بكر مودعاً . وتحرك هذا الجيش إلى هدفه فشيّعه أبو بكر ماشياً وأصرّ على بقاء أسامة راكباً ليزيد الناس لإمارة أسامة إذعائاً وتسليماً ، فقال له أسامة : « يا خليفة رسول الله ! والله لتركبن أو لأنزلن : » ، فقال أبو بكر : « والله لا تنزل ووالله لا أركب ! وما عليّ أن أغبرّ قدمي في سبيل الله ساعة ، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ! » ، فلما آن له أن يودّع الجيش قال لأسامة : « إن رأيت أن تعيني بعمر فافعل » (٢٨) ، فأذن أسامة

(٢٦) ابن الأثير (٢/ ١٢٧) .

(٢٧) طبقات ابن سعد (٤/ ٦٧) .

(٢٨) الطبري (٢/ ٤٦٢) .

لعمر أن يتخلف عن الجيش .

وقبل أن يعود أبو بكر أدراجه الى المدينة ، وقف في جيش أسامة خطيباً وقال : « أيها الناس ، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فاذا أكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاحققوهم بالسيف خفياً ... اندفعوا باسم الله » .

وقال لأسامة : « اصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم : إبدأ ببلاد قضاة ، ثم إئت (آبل) (٢٩) ، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله ، ولا تعجلن لما خلقت عن عهده » (٣٠) .. لقد كانت وصية بي بكر لجيش أسامة أروع ما يمكن أن يوجهه خليفة لإنسان بقدر كرامة الإنسانية ، لقائد إنسان يقود جيشه لخوض حرب عادلة ، ولم تطمع قوانين الحرب والحياة من القانون الدولي في القرن العشرين أن تسمو الى الهدف الرفيع الذي عبّر عنه أبو بكر رضي الله عنه بهذه الكلمات القليلة في عددها الكبيرة في معناها .

٤ - وسار أسامة في ثلاثة آلاف (٣٠) يقطع البيد في أيام شديدة الحر من شهر حزيران ، وبعد عشرين يوماً من مسيرته نزل أسامة بجيشه

(٢٩) آبل : تسمى آبل الزيت وهي مدينة بالأردن من مشارف الشام ، راجع معجم البلدان (٥٢ / ١) .

(٣٠) الطبري (٤٦٣ / ٢) .

(٣٠) البلد والتاريخ (١٥٢ / ٥) .

فأغار على (آبل) الواقعة شمالي (موتة) ، وبثّ خيوله في قبائل قضاعة وأحلافهم ، تلك القبائل التي ظهرت الروم على جيش المسلمين في معركة (موتة) ، فبثّ خيوله في تلك القبائل وقضى على كل مقاومة صادفها هناك .

لقد نفذ أسامة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم : أن يوطئ الخيل نخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وأن ينزل على أعدائه في عمية الصبح ، وأن يتمّ ذلك دراكاً حتى لا تسبق إلى أعدائه أنباؤه ، فلما أنجز كل ذلك ، عاد إلى المدينة بعد أربعين يوماً ، وقيل سبعين يوماً من يوم مغادرته لها ، ممتطياً الجواد الذي استشهد عليه أبوه زيد في غزوة (موتة) ، فما : (رُئي جيش كان أسلم من ذلك الجيش) (٣١) .

عاد إلى المدينة يجيشه الظافر ، فتلقاه أبو بكر الذي خرج في جماعة من كبار الصحابة للقائه ، وتلقاه أهل المدينة . ودخل أسامة المدينة المنورة تحيط به هالة من فخر النصر ، والناس حوله يرددون فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : « إنه خليف للإمامة ، وإن كان أبوه لخليفاً لها » . وبعثه أبو بكر بعد رجوعه في أثر خالد بن الوليد إلى (الإمامة) ، فلحقه وشهد معه القتال (٣١) .

الانسان :

١ - عاش أسامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، فكان مرموق المكانة مقدراً محترماً محبوباً من الخلفاء جميعاً ومن المسلمين على حد سواء .

وكمثال على رعاية الخلفاء له ، أن عمر كان يقول عنه : « ما كنت لأحیی أحدًا بالإمارة غير أسامة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض

(٣١) طبقات ابن سعد (٤/ ٦٨) .

(١٣١) البدء والتاريخ (٥/ ١٥٢) .

وهو أمير « (٣٢) » ، وقد فضّله في العطاء على أترابه من أبناء المهاجرين والأنصار حتى على ابنه عبد الله بن عمر ، إذ فرض لأسامة أربعة آلاف درهم وفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف درهم ، فقال عبد الله لأبيه : « يا أبت ! لم زدته عليّ ألفاً ؟ ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لأبي ، وما كان له ما لم يكن لي ! » ، فأجابه عمر : « إنّ أبا أسامة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وكان أسامة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك » (٣٣) .

أما عثمان ، فقد كان يثق بأسامة كثيراً ويقرّبه إليه ، وعندما اشتدّت عليه وطأة المعارضة ، أشار عليه ذوو الرأي أن يبعث إلى الأمصار رجالاً يثق بهم ليبحثوا عن أسباب هذا الاضطراب ويقفوا على حقيقة الحال في البلاد الإسلامية ، فأرسل عثمان محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأرسل أسامة إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً وأخبروا عثمان أنهم لم ينكروا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين (٣٤) .

٢- واعتزل أسامة الفتن بعد مقتل عثمان إلى أن مات (٣٥) وفاء لعهد الذي كان قطعته على نفسه : ألاّ يقاتل من يقول : « لا إله إلاّ الله » ، بعد الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حين علم منه قصة قتله أحد الرجال في إحدى الغزوات بعد أن قال : « لا إله إلاّ الله » ، كما أسلفنا . كما اعتزل هذه الفتن بعض كبار الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، حيث آثروا ألاّ يلوّثوا أيديهم بدماء المسلمين ، مما يدل على تخرج أسامة وصحبه من الشبهات...

(٣٢) طبقات ابن سعد (٦٧/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢٩٤/٢) .

(٣٣) الخراج - لأبي يوسف - ص (٥١) .

(٣٤) ابن الأثير (٥٩/٣) .

(٣٥) الإصابة (٢٩/١) .

فقد قال أسامة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : « لو أدخلت يدك في فم تين لأدخلت يدي معها ، ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد : أن لا إله إلا الله » .

٣- وسكن أسامة (المزة) (٣٦) في دمشق بعد فتحها ، ثم رجع فسكن (وادي القرى) (٣٧) ، ثم عاد الى المدينة حيث توفي : (الجرف) (٣٨) ، وحمل من (الجرف) الى المدينة بعد موته ودفن فيها (٣٩) .

٤- لقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وعمر أسامة عشرون عاماً أو ثمانية عشر عاماً برواية أخرى (٤٠) .

ولإني أرجح أن عمره حين مات النبي صلى الله عليه وسلم كان عشرين عاماً ، ذلك لأن عمره في غزوة (أحد) كان أربع عشرة سنة ، وكان عمره يوم (الخندق) التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة خمس عشرة سنة ، وكان وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) ، وعلى ذلك يكون مولد أسامة قبل الهجرة بتسع سنين (٦١٣ م) ، وقد توفي سنة أربع وخمسين للهجرة (٤١) (٦٧٤ م) فيكون قد عاش ثلاثاً وستين سنة قمرية .

٥- لقد كان أسامة ألفاً مألوفاً ، وكان موضع ثقة الناس وتقديرهم

(٣٦) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٧/٨) .

(٣٧) وادي القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كثير القرى . راجع معجم البلدان (٣٧٥/٨) .

(٣٨) الاصابة (٢٩/١) .

(٣٩) طبقات ابن سعد (٧٢/٤) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٧٢/٤) .

(٤١) الاصابة (٢٩/١) . وفي تهذيب ابن عساكر (٣٩٢/٢) ان عمره يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين عاماً .

ولإجلالهم : شجاعاً مقداماً راجح العقل تقياً ورعاً ، عالماً بأمور الدين ، يقصده الناس يستفتونه في أمور دينهم حتى عُذّ من أصحاب الفتيا من الصحابة (٤٢) كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (١٢٨) حديثاً (٤٣).

وكان برأ غاية البر بوالدته أم أيمن : بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان ألف درهم ، فعمد أسامة إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها وأطعمه أمه ، فقالوا له : ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ! فقال « إن أُمي سألتني ، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه ، إلا أعطيتها (٤٤) » .

وكان بطيئاً (٤٥) أسود أفتس (٤٦) ، وكان قد أصيب بالجدري أول ما قدم المدينة (٤٦أ) .

القائد :

١ - « إنه خليف للإمارة » هذا ما كان يردّه النبي الكريم عن أسامة ، والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بموهبة فذة في اختيار الرجال المناسبين للعمل المناسب ، حتى إن بعض المستشرقين يرون أن موهبته الفائقة في معرفة نفسيات وقابليات أصحابه وتكليف كل فرد منهم بما يناسب نفسيته وقابليته ، كانت من أهم عوامل نجاحه في نشر الدعوة الإسلامية .

لقد طعن (المناقون) (٤٧) أولاً في إمارة أسامة لصغر سنه ، فانتشرت

(٤٢) أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١) .

(٤٣) أسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٧) .

(٤٤) طبقات ابن سعد (٧١ / ٤) .

(٤٥) طبقات ابن سعد (٧١ / ٤) .

(٤٦) أسد الغابة (١ / ٦٦) .

(٤٦أ) تهذيب ابن صاكر (٣٩٥ / ٢) .

(٤٧) الطبري (٤٢٩ / ٢) .

قالتهم هذه بين بعض الناس^(٤٨) ، فتناقل هذا الطعن الناس ونقله بعض المستشرقين من بعض المصادر القديمة ، ونقله عنهم بقصد أو بدون قصد بعض المثقفين من العرب والمسلمين ، فشاع أمره في مدارسنا وبين مثقفينا كأنه حقيقة واضحة لا تحتاج الى تفكير وتمحيص !!

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يولي أسامة إمارة جيش فيه صفوة أصحابه يتحرك لخوض معركة غير معروفة النتائج ، ما لم تتوفر فيه صفات معينة تؤهله لتسليم هذا المنصب الخطير .

وإذا كان أي إنسان سوي لا يُقدم على تعيين شاب لا كفاءة له على قيادة جيش فيه خاصة أصدقائه وأهل بيته في مهمة خطيرة يحتمل أن يلاقوا فيها الموت ، فكيف يمكن أن يُقدم الرسول القائد على مثل هذا العمل؟؟ .

٢ - فما هي المزايا التي وجدها الرسول صلى الله عليه وسلم في أسامة ، فجعلته يعينه أميراً على أخطر جيش في أخطر مهمة في أخطر الظروف والأحوال؟؟ .

ولكي نقدر مزايا أسامة التي أهلتها لتسليم هذا المنصب الخطير ، لا بد لنا أن نذكر شيئاً عن واجبه الذي أنيط به تنفيذه في الغزوة الأخيرة التي قسدها .

كان واجب أسامة في تلك الغزوة ، استناداً الى الأمر الصريح الذي أصدره الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، هو : أن يوطيء الخيل تخوم اللقاء والداروم في عمية الصبح ، دراكاً ، وأن يعود من مهمته بعد إنجازها الى المدينة دون تأخير ! إذاً ، فمهمة أسامة ، هي القيام (بغارة) كبيرة تهدف الى التأثير المعنوي على الروم وحلفائهم بالدرجة الأولى . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوخى من هجماته المتكررة على تخوم الروم ، إثبات

(٤٨) طبقات ابن سعد (٤/٦٥) .

قوة المسلمين عملياً ، حتى يحول دون مهاجمة الروم للمسلمين ، وكان بهذه الهجمات يطبق الفكرة السوقية المعروفة : « الهجوم أنجع وسائل الدفاع » .
لقد كان واجب أسامة هو خوض معركة معنويات بالدرجة الأولى ، تعتمد على المباغته والاندفاع والحرب الخاطفة تجاه عدو قوي تيسر لديه قوات نظامية وغير نظامية ، ولديه إمكانيات مادية هائلة بالنسبة لإمكانات المسلمين في حينه ، ومثل هذه المعركة تحتاج إلى قائد يمتاز بالشجاعة الحارقة التي تضمن الاقدام والاندفاع ، ويمتاز بالعميقة الراسخة التي تستهين بالأخطار ، ويمتاز بالعقلية الراجحة التي تنبصر بالعواقب ، وتمتاز بعد كل ذلك بالفتوة التي تتحمل المشاق ولا تبالي بالأهوال .

لقد رأينا أسامة يتمتع بكل هذه الخصال بشكل واضح كما مرّ بنا في دراسة سيرته .

لمسنا شجاعته في إقدامه متطوعاً للقتال يوم (أحد) حين كان بعمر الورد ، فردّه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم يبلغ يومها من العمر ما يؤهله لتحمل أعباء القتال . ولمسنا شجاعته في ثباته المستميت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم (حُنين) عندما تحطّمت أعصاب أشجع الرجال . ورأينا شجاعته حين أمره النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم على سرية قاتلت بعض الأعراب ... تلك هي شجاعته وإقدامه .

وقد نشأ أسامة وترعرع في بيت النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ، فأمن منذ عرف نفسه بالاسلام ، وأصبح مستعداً للتضحية بكل شيء في سبيل عقيدته التي آمن بها ... لقد كان أسامة منذ نعومة اظفاره عقائدياً من الطراز الأول .

أما عقليته الراجحة التي ظهرت بوادرها مبكرة على تصرفاته ، فبدلنا عليها إيثار النبي صلى الله عليه وسلم له باستشارته في أخطر قضية عائلية صادفها في حياته ، وكان عمر أسامة حينذاك ستة عشر عاماً ! لقد كان أسامة مقرباً من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن ذلك لم يكن السبب الأول

والأخير لاستشارته ، إذ كان هناك كثيرون غير أسامة مقربين من النبي صلى الله عليه وسلم ذوي قرباه ومن آل بيته ومن أصحابه ، وهم أكبر من أسامة سناً وأكثر تجربة في الحياة ، فإيثار أسامة بالاستشارة دليل قاطع على مكانته العقلية الرفيعة .

أما شبابه فلا حاجة بنا إلى إثباته ، خاصة وإنّ هذا الشباب ، كان السبب المباشر لتدمّر بعض الناس من إمارته .

تلك هي مزايا أسامة التي تجدها واضحة عند دراسة سيرته ، وهي وحدها التي أهّلته لتسّم منصبه الرفيع .

لقد قضى الاسلام - مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهلية - على الأنفة من تأمير من لم تقدمه السن ، والاستمسك بعرى التفاضل بالأنساب والأحساب ... إن التفاضل في الاسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال .. للكفاءة .

لقد رفعت مزايا أسامة وحدها أسامة الى الامارة ، وقبل أن يتولى إمارة الجيش الذي تعرّض بالامبراطورية الرومانية : جرّبه الرسول صلى الله عليه وسلم قائداً لعدة غزوات داخلية أثبت فيها كفاءته بصورة عملية . أما حب الرسول صلى الله عليه وسلم له فلم يك السبب الوحيد لإمارته ، وحسبنا أن نتذكر نتائج المعركة التي قادها أسامة ، فقد كان لإنفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين ، لأن العرب قالوا : « لو لم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش » ، فكفّوا من كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه (٤٩) ، كما إن الروم قالوا : « ما بالي هؤلاء بموت صاحبهم أن أغاروا على أرضنا » (٥٠) فشغلوا بالاستعداد للدفاع عن بلادهم تجاه جيش المسلمين ، واستبعدوا من أذهانهم فكرة مهاجمة المسلمين في عقر دارهم إنتهازاً لفرصة موت قائدهم ونبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام .

(٤٩) ابن الاثير (١٢٨/٢) .

(٥٠) طبقات ابن سعد (٨٦/٤) .

٣- واستناداً الى مبادئ الحرب ، كان أسامة (يختار هدفه ويديه) ويفكر في أقوم وسيلة للوصول اليه ، ثم يقرر الخطوة المناسبة للحصول عليه . وكانت غزوات أسامة كلها (تعرضية) تشيع فيها روح (المباغته) ، وكانت غزواته الأخيرة مباغته كاملة لأعدائه بالزمان والمكان ، لذلك استطاع الانتصار عليهم بالرغم من قلة قواته بالنسبة الى كثرة قواتهم وبالرغم من وجودهم في ديارهم بينما كانت خطوط مواصلات أسامة بعيدة عن المدينة قاعدة حركة المسلمين .

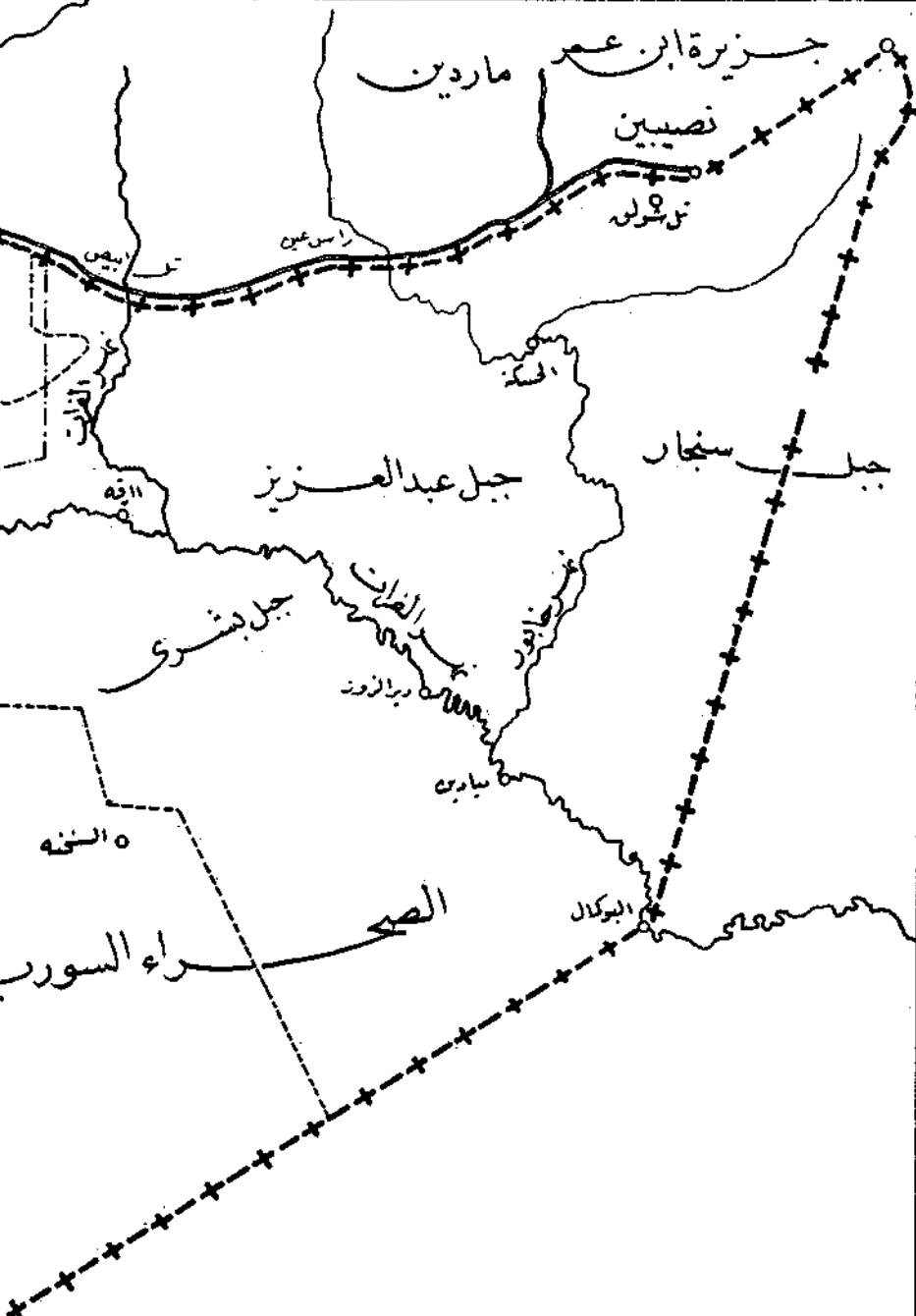
كما إن أسامة كان (يحدد قواته) قبل الاقدام على خوض المعركة ، و (يديم معنوياتها) فكان جيشه يتحلى بالطاعة الناجمة عن الحب المتبادل والثقة المتبادلة ، كما امتاز جيشه بالشجاعة والاقدام والجلد والصبر وتحمل المشاق ، وهي الصفات المعنوية الخالدة لكل جيش في كل زمان ومكان . لقد كان أسامة يتحلى بنفس صفات جيشه المعنوية ، وكان مثلاً شخصياً رائعاً لجيشه في كل تلك الصفات .

أسامة في التاريخ

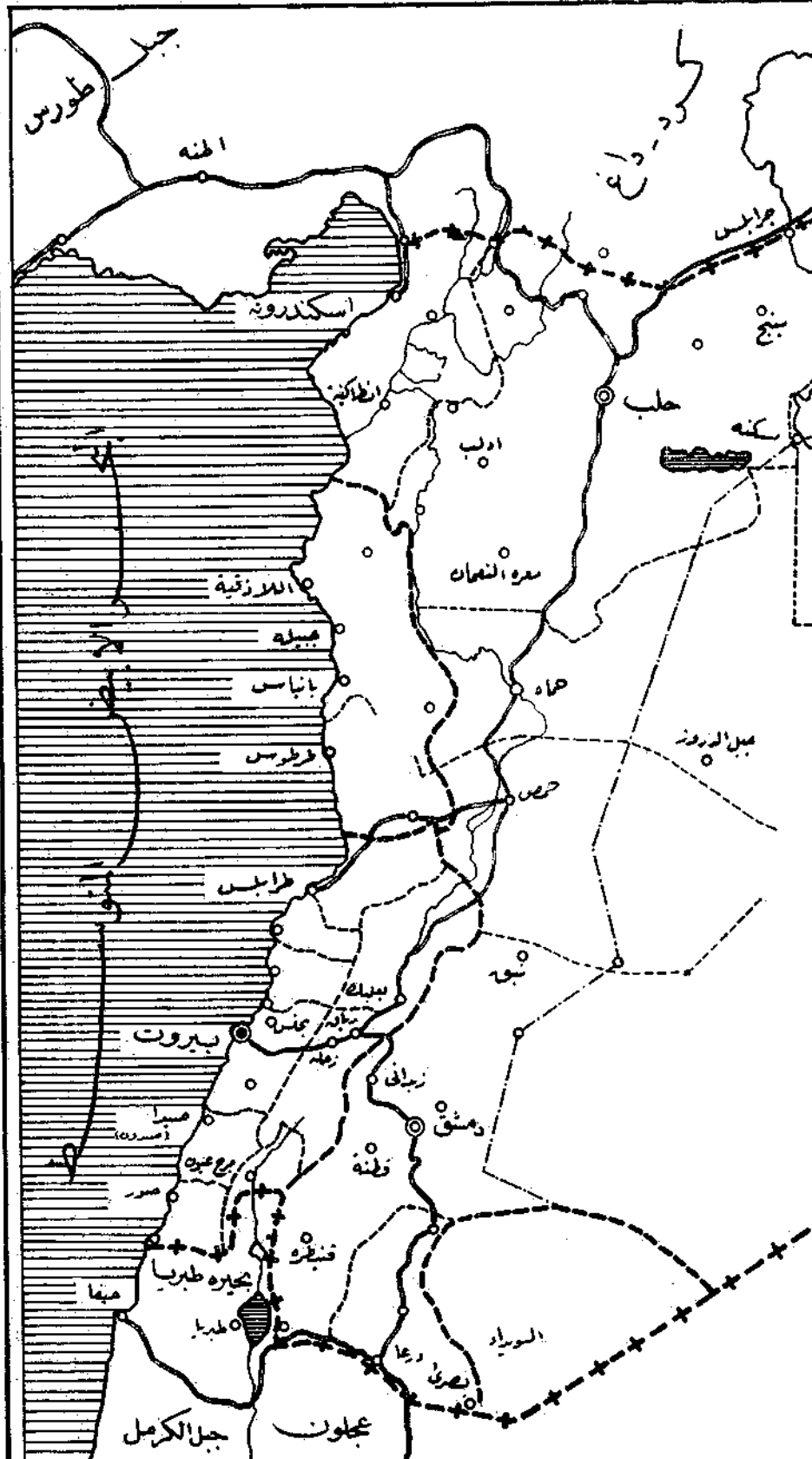
يذكر التاريخ لأسامة ، بأنه أول قائد عربي مسلم تجرأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على مهاجمة الامبراطورية الرومانية ، وأنه أول قائد عربي مسلم جرأ العرب المسلمين على مهاجمة الروم ، فكانت معركته التي خاضها ضد الروم وأحلافهم معركة معنويات حاسمة من معارك المعنويات الحاسمة في التاريخ .

لقد كان العرب قبل الاسلام ، لا يفكرون - مجرد تفكير - بمهاجمة الروم ، ولكنهم بعد انتشار الاسلام في ربوع الجزيرة العربية ، أصبح من الضروري حمايته داخلها ، فلا عجب أن يجهز الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجيش لحماية تخوم شبه الجزيرة العربية من الروم ذوي البأس

في ذلك العهد ؛ وكان لا بدّ من إيجاد قائد ممتاز في مزاياه ، وجيش ممتاز
في عدده وُعدده ومعنوياته ، حتّى يستطيع ذلك القائد تحمل تلك المسؤولية
الجسيمة ، وحتّى يستطيع ذلك الجيش تنفيذ ما يُعهد إليه من أعمال !
وتحمّل أسامة المسؤولية كاملةً ونجح في تعرّضه بالدولة الرومانية ،
وتحمّل جيشه واجبه كاملاً وهاجم تخوم (أرض الشام) بنجاح .
رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد البطل ، حبيب رسول الله وابن
حبيّه أسامة بن زيد الكلبي .



سُوْرِيَا



أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري

فاتح أرض الشام^(١)

« هذا أمين هذه الأمة »

(محمد رسول الله)

مع النبي :

أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري^(٢) قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم^(٣) ، فكان أحد العشرة السابقين الى الاسلام^(٤) .

وهاجر أبو عبيدة الى الحبشة الهجرة الثانية^(٥) تخلصاً من التعذيب

(١) أرض الشام : حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، ومن الشرق البادية من (أيلة) الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (الجمهورية التركية حالياً) ، ومن الجنوب حد مصر وتيه بني اسرائيل ، وآخر حدودها بما يلي مصر (رفع) . راجع التفاصيل في المسالك والممالك - للاصطخري - ص (٤٣) ومعجم البلدان (٢١٩/٥) . وانظر زبدة كشف الممالك ص (٤٢) ، وهي سورية ولبنان وفلسطين والأردن في الوقت الحاضر . (٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن أهيب بن غيبة بن الحارث بن فهر ، وأمه أميمة بنت غنم . راجع طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) والاصابة (١١/٤) واسد الغابة (٨٤/٣) وقد غلبت عليه كنيته . يلتقي نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (فهر) . راجع جوامع السيرة لابن حزم ص (٣) ، وقد نسب الى جده . انظر البده والتاريخ (٨٧/٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) و (٣٨٤/٧) .

(٤) الاصابة (١١/٤) ، وانظر تسلسل الذين أسلموا في سيرة ابن هشام (٢٦٩-٢٦٤/١)

وفي جوامع السيرة لابن حزم ص (٤٥-٤٦) .

(٥) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) وسيرة ابن هشام (٣٥٢/١) وجوامع السيرة ص (٦٣)

والاصابة (١١/٤) .

والبلاء^(٦) ، ولكنه عاد الى مكة بعد أن اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المسلمين أن قريشاً قد أسلمت ، وكان هذا الخبر كذباً^(٧) .

ولما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ، هاجر أبو عبيدة مع من هاجر من المسلمين اليها ، فأخى النبي بينه وبين أحد أصحابه^(٨) ، وهناك بدأ صفحة جديدة من كفاحه لإعلاء كلمة الله .

فقد شهد (بدرأ) وقتل أباه الذي كان مشركاً في المعركة^(٩) إذ جعل والده يتصدى له وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصده^(١٠) وقتله^(١١) ، فنزل فيه قول الله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد^(١٢) الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الایمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ؛ ألا إن حزب الله هم المفلحون)^(١٣) .

وشهد (أحدأ) وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انهزم الناس وولّوا . قال أبو بكر الصديق : « لما كان يوم (أحد) ورُمي رسول الله

(٦) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) وجوامع السيرة ص (٥٥) .

(٧) سيرة ابن هشام (٣٩١/١) وجوامع السيرة ص (٦٦) .

(٨) في سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم أخى بينه وبين سعد بن معاذ وكذلك في جوامع السيرة ص (٩٦) . أما في طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) ففيه : أنه أخى بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة ، وفي رواية بينه وبين محمد بن مسلمة .

(٩) الاصابة (١١/٤) والسيرة الحلبية (١٧٨/٢) .

(١٠) الاصابة (١٢/٤) .

(١١) حاد الله : حارب الله .

(١٢) انظر تفسير الكشاف للزحشري (١٧٢/٢) وتفسير ابن كثير (٢٧٣/٨) وفيه : نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ، حين قتل أباه يوم (بدر) . والآية الكريمة من سورة المجادلة (٥٨ : ٢٢) . وقد جاء في البدء والتاريخ (٨٣/٥) : إنه سمع أباه يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع رأسه وجاء به الى النبي وأخبره الخبر .

صلى الله عليه وسلم في وجهه حتى دخلت في وجنتيه حلقَتان من المغفر (١٣) ، فأقبلتُ أسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنسان قد أقبل من قبيل المشرق بطير طيراناً ، فقلت : اللهم اجعله طاعة ؛ حتى توافينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدّرني ، فقال : أسألك بالله يا أبا بكر الا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتركته ؛ فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر فزعرها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة ، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى ، فسقطت ؛ فكان أبو عبيدة في الناس أثرم « (١٤) .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في أربعين رجلاً من المسلمين ، فأغار على المشركين في (ذي القصة) (١٥) فأعجزوهم هرباً في الجبال وأسروا رجلاً واحداً من المشركين فأسلم (١٦) .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر مدداً لعمر بن العاص في غزوة ذات السلاسل ، وقال له : « لا تختلفا ! » ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم على عمرو قال له عمرو : « إنما جئت مدداً لي » . قال أبو عبيدة : « لا ، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه » . فقال عمرو : « بل أنت مدد لي » . فقال أبو عبيدة : « يا عمرو ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعته » (١٧) .

(١٣) المغفر : زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب .

(١٤) طبقات ابن سعد (٤١٠/١٣) . والأثرم بالتحريك : سقوط الثنية وهي واحدة الأسنان

الأربع ، وانظر جوامع السيرة ص (١٦١) وسيرة ابن هشام (٢٨/٢) .

(١٥) ذو القصة : موضع بين زبالة والشقوق دون الشقوق بميل على بعد ميل من المدينة فيه

قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال . وإلى هذا الموضع كانت غزاة أبي عبيدة بن الجراح أرسله

إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) .

(١٦) طبقات ابن سعد (٨٦/٢) و (٤١١/٣) وجوامع السيرة ص (١٨) .

(١٧) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٣) وطبقات ابن سعد (١٣١/٢) والاصابة (١٢/٤) .

وبعثه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب الى حي من جهينة ؛ (القبليّة) (١٨) مما يلي ساحل البحر ، فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى أكلوا الخبط (١٩) ، فابتاع لهم قيس بن سعد جزراً ونحرها لهم وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه ، ثم انصرفوا دون أن يلقوا كيدا (٢٠) .

وشهد فتح مكة ، وكان على مقدمة موكب رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف من المهاجرين (٢١) ، كما شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٢) .

لقد كان أبو عبيدة موضع ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ، فقد سأل أهل اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنّة والاسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح ، وقال : « هذا أمين هذه الأمة » (٢٣) .

قال وفد (نَجْرَان) (٢٤) للنبي صلى الله عليه وسلم : « ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضا » ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اثثوني العشية أبعث

(١٨) القبليّة : سراة فيما بين المدينة والسفوح الشرقية والجنوبية من الجبال التي تمتد غربي المدينة وينبع ، ما سال منها الى ينبع سمي بالغور ، وما سال منها الى أودية المدينة سمي بالقبليّة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٧) ، وهي مما يلي ساحل البحر بينها وبين المدينة خمس ليال ، انظر طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) .

(١٩) الخبط : ورق الشجر .

(٢٠) طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) وسيرة ابن هشام (٣٠٩/٣) وفتح الباري بشرح البخاري (٢٦/٨) .

(٢١) سيرة ابن هشام (١٦/٤) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) .

(٢٣) الاصابة (١١/٤) وشرح النووي عل مسلم (١٦٢/٥) .

(٢٤) نجران : من مخاليف اليمن ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٨/٨) .

معكم القوي الأمين» ، فكان عمر بن الخطاب يقول : « ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت الى الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، سلم ثم نظر يمينه ويساره ، فجعلت أتناول له ليراني ، فلم يزل يلتبس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه ، فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . » قال عمر : « فذهب بها أبو عبيدة ! » (٢٥) ؛ وفي رواية إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأهل (تَجْران) : « لأبعثنَّ حق أمين » ، فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة (٢٦) . وفي رواية أنه قال لهم : « سأبعث معكم رجلاً أميناً حق أمين » ، فتشرف له الناس ، فبعث أبا عبيدة (٢٧) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن أبي عبيدة : « إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (٢٨) . وقال عنه : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (٢٩) .
لقد كان أبو عبيدة من أنجب تلامذة مدرسة الرسول القائد .

جهاده :

١ - الى أرض الشام :

استعمل أبو بكر الصديق أبا عبيدة على جيش من جيوش المسلمين وأمره ؛ (حمص) (٣٠) ، وكان نص أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام : « إذا

-
- (٢٥) سيرة ابن هشام (٢/٢١٥-٢١٦) .
(٢٦) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٧٤) .
(٢٧) سنن الامام ابن ماجة (١/٣٢) وفتح الباري بشرح البخاري (٨/٧٤) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .
(٢٨) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٧٣) وشرح النووي على مسلم (١٦/٥) .
(٢٩) فتح الباري بشرح البخاري (٨/٧٤) .
(٣٠) ابن الاثير (٣/١٥٥) .

اجتمعهم على قتال فأمرهم أبو عبيدة « (٣١) ؛ فسلك أبو عبيدة طريق (المُعْرِقَة) (٣٢) حتى نزل (الجبَابِيَّة) (٣٣) ، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة رجل (٣٤) .

وما كادت جيوش المسلمين تصل الى أرض الشام ، حتى بعث (هيرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين (٣٥) ليشغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض ، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم ، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عن يلازمتها من الروم ؛ ولكن قادة المسلمين فوّتوا على الروم هذه الفرصة باجتماعهم في (اليرموك) (٣٦) ، استعداداً لمواجهة الروم جيشاً واحداً يقوده قائد واحد .

٢ - في اليرموك :

استمدّ أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك أبا بكر ، فقال أبو بكر : « خالدها ! » فبعث اليه وهو بالعراق ، وعزم عليه واستحثه في السير (٣٧) .

وطلع خالد على المسلمين ، ففرحوا به فرحاً شديداً ، فكان خالد قائداً عاماً في معركة (اليرموك) الحاسمة (٣٨) ، وكان أبو عبيدة على القلب (٣٩) ؛

(٣١) البلاذري ص (١١٦) وفتوح الشام للواقدي (٨/١) .

(٣٢) المعركة : طريق تأخذ على ساحل البحر ، وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها اذا أرادت

أرض الشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨) .

(٣٣) الجبابية : قرية من أعمال دمشق . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٣) .

(٣٤) البلاذري (١١٦) .

(٣٥) الطبري (٥٩٠/٣) وابن الاثير (١٥٥/٣) .

(٣٦) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف النور يصب في نهر الاردن . راجع التفاصيل في

معجم البلدان (٥٠٤/٨) .

(٣٧) الطبري (٥٩١/٢) وانظر التفاصيل في : قادة فتح العراق والجزيرة (١١٩-١٣٢) .

(٣٨) فتوح الشام للواقدي (١٤/١) والبلاذري ص (١١٧) والاعاني (٢٦/١٤) .

(٣٩) الطبري (٥٩٣/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) . والقلب : هو القسم الأكبر من الجيش

كما يطلق عليه في الاصطلاحات العسكرية الحديثة .

فهاجم خالد الروم (القلب) حتى كان بين مشاتهم وفرسانهم ، وكان هجوم القلب صاعقاً ، فلما وجدت خيل الروم منفذاً لها للهرب ، تركت ساحة المعركة هاربة (٤٠) ؛ وبذلك قضى المسلمون على مشاة الروم ، فانتهت معركة (اليرموك) الحاسمة بانتصار المسلمين .

٣ - بعد اليرموك :

تولى أبو عبيدة بعد (اليرموك) منصب القيادة العامة في أرض الشام (٤١) ، فاستخلف على (اليرموك) بشير بن كعب الحميري (٤٢) ، وسار حتى نزل بـ (الصُفَر) (٤٣) ، وهناك أتاها الخبر بأن المنهزمين من الروم اجتمعوا بـ (فِجَل) (٤٤) ، وأتاها الخبر بأن المدد قد أتى أهل (دمشق) من (حمص) فكتب الى عمر في ذلك ؛ فأجابه : « بأن يبدأ بدمشق لأنها حصن الشام وعاصمتها ، وأن يشغل أهل (فِجَل) بخيل تكون بازائهم ؛ وإذا فتح دمشق سار الى فِجَل » (٤٥) .

-
- (٤٠) الطبري (٥٩٦/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .
 (٤١) ابن الاثير (١٥٨/٢) وطبقات ابن سعد (٣٩٧/٣) واليعقوبي (١١٧/٢) .
 (٤٢) بشير بن كعب الحميري : أحد الأمراء في (اليرموك) خلفه أبو عبيدة على (اليرموك) في خيل ، وهو صحابي جليل . راجع الاصابة (١٦٤/١) و (١٨٠) .
 (٤٣) الصفر : هو (مرج الصفر) ، موضع بين دمشق والجلولان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٧/٥) .
 (٤٤) فعل : اسم موضع بالشام في ناحية الأردن : راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/٦) .
 (٤٥) نص وصايا حركات عمر كما وردت في الطبري (٦٢٥/٢) : « أما بعد : فأبدؤا بدمشق فأنهذوا لها فانها حصن الشام وبيت ملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فِجَل بخيل تكون بازائهم في نخورهم ، وأهل فلسطين وأهل حمص ، فان فتحها الله قبل دمشق ، فذاك الذي نحب ، وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فليزل بدمشق من يمسك بها ودعواها . وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغبر على فعل ، فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد الى حمص ودع شر حبييل وعمرأ وأجلهما بالأردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته » . وانظر أيضاً ابن الاثير (١٦٤/٣) .

٤ - في دمشق :

سار أبو عبيدة بالناس من (المرج) وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه ، وعلى الخيل عياض بن غنم وعلى الرجل شربيل بن حسنة ، فقدموا على دمشق وحاصروا أهلها وطوقوها ، فكان أبو عبيدة على ناحية (٤٦) وخالد على ناحية الباب الشرقي (٤٧) ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والرامي والمجانيق وهم معتمضون بالمدينة يرجون وصول الامدادات ، فلما أيقن أهل دمشق أن الامدادات لا تصل اليهم فشلوا ووهنوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم .

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق ، فاعتلى هو وأصحابه السور وفتحوا الباب ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ؛ فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحاً (٤٨) .

٥ - بعد دمشق :

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق الى (فيحل) بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، فشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها

(٤٦) الطبري (١٢٦/٢) .

(٤٧) البلاذري (١٢٧) .

(٤٨) الطبري (١٢٧-١٢٨/٢) . اما البلاذري في ص (١٢٩) فيذكر : ان أسقف دمشق لما رأى أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي ، فدخل معه ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمر ، فكيف يجوز صلحه ، فقال أبو عبيدة : « إنه يجير على المسلمين أديانهم » . وأجاز صلحه وأمضاه ... انتهى .

وأكثر الروايات على ما ذكرناه في المتن ، لذلك رجعتنا - خاصة وأنه أقرب لطبيعة القائدين : طبيعة أخلاق خالد المحاربة وطبيعة أخلاق أبي عبيدة المسالمة ، لذلك ترجح دخول خالد دمشق من الباب الشرقي قسراً ودخول أبي عبيدة من باب الجابية صلحاً .

فتح الأردن على يد شرحبيل بن حسنة (٤٩). وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة (فحل) ، كان يزيد بن أبي سفيان يخوض معارك فتح ساحل دمشق: صيدا وعيرقة وبيروت (٥٠).

٦ - إكمال فتح سورية :

انصرف أبو عبيدة بخالد بن الوليد ومن معه الى (حمص) ، وفي طريقه اليها اصطدم بقوات الروم في (مرج الروم) ، وأرسل خالد ليضرب من الخلف قوات الروم التي قصدت دمشق ، فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار على الروم (٥١).

واستمر أبو عبيدة في مسيره باتجاه هدفه (حمص) فسلك طريق (بعلبك) (٥٢) فطلب أهلها الأمان ، فأمتهم وصالحهم ، وسار عنهم ، فنزل على (حمص) ومعه خالد ، ففتحها بعد حصار طويل على مثل صلح دمشق (٥٣). ثم مضى الى (حماة) (٥٤) فتلقاه أهلها مدعنين ، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم. ومضى نحو (شيزر) (٥٥) فخرجوا اليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل (حماة) ، فسار أبو عبيدة الى (معرة

(٤٩) انظر التفاصيل في الطبري (٦٢٨/٢-٦٣٠) وابن الاثير (١٦٥/٢-١٦٦) والبلاذري ص (١٢٢).

(٥٠) ابن الاثير (١٦٥/٢).

(٥١) الطبري (٩٦/٣) وابن الاثير (١٩٠/٢).

(٥٢) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة بينها وبين دمشق ثلاثة ايام . راجع

التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٦/٢) والمسالك والممالك ص (٤٦).

(٥٣) الطبري (٩٧/٣) وابن الاثير (١٩٠/٢) والبلاذري ص (١٣٦).

(٥٤) حماة : مدينة كبيرة عظيمة يحيط بها سور ، تقع على نهر العاصي . راجع التفاصيل في معجم

البلدان (٣٣٥/٣).

(٥٥) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم واحد . راجع

التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٤/٥).

حمص) (٥٦) ، وهي (معرة النعمان) ، فأذعنوا بالصلح على ما صالح عليه أهل (حمص) .

وسار أبو عبيدة الى (اللاذقية) (٥٧) وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحها إلاّ بجماعة كبيرة من الناس ، فعسكر المسلمون على بعد منها ، ثم أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكباً ، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون عنها ورحلوا ، فلما أظلم الليل عادوا واستروا في تلك الحفائر . وأصبح أهل (اللاذقية) وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد ، فلم يرعهم إلاّ والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ، ففتحوها عنوة (٥٨) .

وأرسل أبو عبيدة خالداً الى (قنسرين) (٥٩) ؛ وفي (الحاضر) (٦٠) اصطدم خالد بقوات الروم ، فاقتتلوا قتالاً لم يقتلوا مثله من قبل ، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين على الروم ؛ فسار خالد حتى نزل على (قنسرين) فتحصن أهلها منه ، ولكنهم صالحوه على مثل صلح (حمص) ، فأبى إلاّ على خراب المدينة (٦١) .

ولما فرغ أبو عبيدة من (قنسرين) سار الى حلب (٦٢) فبلغه أن أهل

(٥٦) معرة حمص : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ، اطلق عليها اسم معرة النعمان على اسم الصحابي الجليل النعمان بن بشير الذي مات بها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥٦/٨) والمسالك والممالك ص (٦٦) .

(٥٧) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام ، تمد من أعمال حمص . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣١٢/٧) .

(٥٨) ابن الاثير (١٩٠/٢) ، وفي البلاذري ص (١٣٧) : أن الذي فتح اللاذقية هو عبادة ابن الصامت .

(٥٩) قنسرين : بلد في أرض الشام جنوب حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٦٨/٧) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦٠) الحاضر : خلاص البادي ، وهو بقرب قنسرين وهو حاضر قنسرين .

(٦١) الطبري (٩٨/٣) وابن الاثير (١٩١/٢) والبلاذري ص (١٥٠) .

(٦٢) حلب : مدينة عظيمة واسعة ، وهي قصبة قنسرين ، مسورة بحجر أبيض . راجع التفاصيل =

قنسرين نقضوا وغدروا ، فوجه اليهم السبط الكندي (٦٣) ، فأعاد فتحها .
 ووصل أبو عبيدة الى (حاضر حلب) (٦٤) ، فصالح أصنافاً من العرب
 على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك . وأتى (حلب) فتحصن أهلها ، ولكنهم
 لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم
 وحصنهم ، فأعطوا ذلك (٦٥) .

وسار أبو عبيدة من (حلب) الى (إنطاكية) (٦٦) وقد تحصن بها خلق
 كثير من (قنسرين) وغيرها ، فحصرها من جميع نواحيها ، فصالحوه على
 الجلاء أو الجزية ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فأمنهم (٦٧) .

وبلغ أبو عبيدة أن جمعاً من الروم بين (معرة مصرين) (٦٨) و (حلب)
 فقصدهم وقاتلهم وفتح (معرة مصرين) على مثل صلح (حلب) . وجالت
 خيوله ، فبلغت (يوقا) (٦٩) وفتحت قرى (الجومة) (٧٠) و (سرمين) (٧١)
 و (مرتحوان) (٧٢) و (تيزين) (٧٣) وغلبوا على جميع أرض (قنسرين)

= في معجم البلدان (٣/٣١١) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦٣) هو السبط بن عمرو الكندي .

(٦٤) حاضر حلب : الحاضر خلاف البادى وهو بقرب حلب . راجع التفاصيل في معجم
 البلدان (٢/١٩٩) .

(٦٥) ابن الأثير (٢/١٩١) والبلاذري ص (١٥٠) .

(٦٦) انطاكية : مدينة تعتبر قسبة المواسم من الثغور الشامية . راجع التفاصيل في معجم البلدان
 (١/٣٥٣) .

(٦٧) ابن الأثير (٢/١٦٢) والبلاذري ص (١٥٢) .

(٦٨) معرة مصرين : بلدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها ، بينهما نحو خمسة فراسخ . راجع
 التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٥) .

(٦٩) يوقا : بلدة قريبة من حلب ومن أعمالها .

(٧٠) الجومة : من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (٣/١٧٦) .

(٧١) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . راجع معجم البلدان (٥/٧٥) .

(٧٢) مرتحوان : من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (٨/١٤) .

(٧٣) تيزين : قرية كبيرة من نواحي حلب ، كانت تعد من أعمال قنسرين . راجع معجم البلدان
 (٢/٤٤١) .

و (انطاكية) (٧٤) .

وسار أبو عبيدة يريد (قُورُس) (٧٥) ، فصالحها على صلح (انطاكية) .
وبثّ خيوله فغلب على جميع أرض (قورس) ، وفتح (تل عَزَّاز) (٧٦) ،
ثم فتح (منبج) (٧٧) و (دُلُوك) (٧٨) و (رَعْبَان) (٧٩) صلحاً ، واشترط
على أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم . ووجه أبو عبيدة خالداً وهو : (منبج)
الى (مَرْعَش) (٨٠) ففتحها وأجلى أهلها وأخربها ، كما إنه فتح حصن
(الحَدَث) (٨١) ، وبذلك أكمل أبو عبيدة فتح (أرض الشام) من هذه
الناحية الى الفرات ، فولّى على كل كورة فتحها عاملاً ، وضمّ اليه جماعة من
الاداريين يعاونونه في إدارة منطقته وجيشاً يدافع عنها ، ثم عاد الى فلسطين (٨٢) .
ويينما كان أبو عبيدة يعمل جاهداً لاكمال فتح سورية ، كان عمرو بن
انعاص يعمل جاهداً لفتح فلسطين ، فجاءه أبو عبيدة ، وحاصروا (ايلياء) (٨٣) .

(٧٤) ابن الاثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٥٤) .

(٧٥) قورس : مدينة ازية بها آثار قديمة . وهي كورة من نواحي حلب . راجع التفاصيل في
معجم البلدان (١٨١/٧) .

(٧٦) تل عزاز : بليدة فيها قلعة تقع شمالي حلب ، بينهما يوم واحد . راجع معجم البلدان
(١٦٨/٦) .

(٧٧) منبج : بلدة قديمة كبيرة واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة
فراسخ . راجع معجم البلدان (١٦٩/٨) .

(٧٨) دلولك : بليدة من نواحي حلب بالعواصم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦٨/٤) .

(٧٩) رعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات ، ممدودة من العواصم .
راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢١٦/٤) .

(٨٠) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي وسطها
حصن عليه سور . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٨) .

(٨١) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش ، من الثغور ، يقال لها :
الحمرء ، وقلعتها على جبل يقال له : الاحيدب . راجع معجم البلدان (٢٣١/٣) ، وعن فتح
مرعش والحدث راجع تاريخ أبي الفداء (١٦٠/١) .

(٨٢) ابن الاثير (١٩٢/٢) والبلاذري (١٥٥) .

(٨٣) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس . ومعناها : بيت الله . راجع التفاصيل في معجم البلدان
(٣٩٢/١) .

وهي بيت المقدس ، فطلب أهلها أن يصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، فقدم عمر وفتح مدينة القدس (٨٤) .

٧ - الدفاع عن حمص :

عاد أبو عبيدة الى (حمص) بعد فتح القدس ، فقصده الروم ، وكان المهيج لهم هم أهل (الجزيرة) (٨٥) ، فقد راسلوا ملك الروم وحثوه على إرسال الجيوش لاسترداد الشام ، وتطوعوا من أجل ذلك لمعاونته .

وسمع أبو عبيدة باجتماع الروم وحلفائهم ، فضم اليه مسالح المسلمين وعسكر في داخل مدينة (حمص) . وأقبل خالد من (قنسرين) اليهم ، فاستشاره أبو عبيدة في مهاجمة الروم او التحصين الى مجيء الإمدادات ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار غيره بالتحصين ، فأطاع أبو عبيدة الأكثرية ، وكتب بذلك الى عمر .

وكان عمر قد أعد في كل مصر من أمصار المسلمين الكبيرة ومنها الكوفة ، قوة احتياطية سريعة من الفرسان ، فكان بالكوفة وحدها أربعة آلاف فارس ، وكان واجب هذه القوات الاحتياطية السريعة ، اسناد مواقع المسلمين التي يتهددها الخطر اسناداً فورياً حتى يتجهز الناس ، فلما سمع عمر الخبر ، كتب الى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتلك فيه كتابي الى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم اليهم في الجدد والحث » وكتب اليه ايضاً ، « أن يسرح سهيل بن عدي الى (الرقة) (٨٦) لأن أهل (الجزيرة) هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ،

(٨٤) ابن الأثير (١٩٣/٢) والبلاذري ص (١٤٥) .

(٨٥) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات مجاورة أرض الشام ، تشمل على ديار مصر وديار بكر ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٦/٣) .

(٨٦) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٢/٤) والمسالك والممالك ص (٥٣) .

وأمره ان يُسرح عبدالله بن عبدالله بن عتبان الى (نصيبين) (٨٧) ، ثم ليقتصد (حرّان) (٨٨) و (الرها) (٨٩) ، وأن يسرح الوليد بن عقبة على عرب (الجزيرة) من ربيعة وتنوخ ، وأن يسرح عياض بن غنشم ، فان كان قتال ، فأمرهم الى عياض .

ومضى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس الى حمص (٩٠) ، وخرج عياض وأمراء (الجزيرة) وأخذوا طريق (الجزيرة) ، وتوجه كل أمير الى المنطقة التي أمر عليها ، وخرج عمر بن الخطاب بنفسه فأتى (الجابية) يريد حمص مغنياً لأبي عبيدة .

وبلغ أهل (الجزيرة) الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن جنود المسلمين قد تحركوا من الكوفة دون أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لهم : أي هل يتجهون صوب الجزيرة أم يتجهون الى حمص ؛ لذلك تفرق أهل الجزيرة الى بلدانهم لحمايتهم والدفاع عنها من الخطر المباشر الذي داهمها ؛ وبقي الروم وحدهم حول حمص ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القعقاع حمص بثلاثة أيام ؛ فكتب عمر الى أبي عبيدة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء وقال : « جرى الله أهل الكوفة خيراً : يكفون حوزتهم ويمدّون أهل الأمصار »^(٩١) وبذلك استطاع أبو عبيدة ترصين ما فتحه من أرض الشام ، وإكمال فتح

(٨٧) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٣) والمساكن والممالك ص (٥٤) .

(٨٨) حرّان : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٣) والمساكن ص (٥٤) .

(٨٩) الرها : مدينة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/٤) والمساكن والممالك ص (٥٤) .

(٩٠) حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد الى هدف بعيد ليس سهلاً . انه يكاد يكون مستحيلاً في أيامنا الحاضرة ، فكيف انجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ؟ وانظر التفاصيل في قادة فتح العراق والجزيرة (٣١١ - ٣١٢) .

(٩١) الطبري (١٥٠/٣) وابن الاثير (٢٠٥/٢) .

كل أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن (١٩١) .

الإنسان :

١ - كان أبو عبيدة معروق الوجه ، خفيف اللحية ، طوالاً ، أجناً ، أثرم (٩٢) وما رؤي أهتم قط أحسن منه (٩٣) ، وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء والكتم (٩٤) .

وربما كان هناك من يشابهه في صفاته الجسيمة وفي مزايا قيادته ، ولكن أبا عبيدة تفوق على أقرانه في مزاياه الانسانية ، وحسبه أن يكون فريداً في خلقه حتى بين الصحابة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : « ما أحد من أصحابي إلاّ لو شئت لأخذت عليه في خلقه » ، ليس أبا عبيدة بن الجراح « (٩٥) . وكان يدعى بين الصحابة : القوي الأمين ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران : « لأرسلن معكم القوي الأمين » ولقوله : « لكل أمة أمين ، وأمين أمّي أبو عبيدة بن الجراح » (٩٦) ، لذلك كان من أحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى النبي ، فقد قيل لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب اليه ؟ فقالت : « أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة بن الجراح » (٩٧) .

وقد وصفه عبدالله بن عمرو (٩٨) قائلاً : « أصبح الناس وجوهاً وأحسنهم

(٩١) تردد تفاصيل ذلك في هذا الكتاب .

(٩٢) الإصابة (١٢/٤) وطبقات ابن سعد (٣٨٤/٧) . ومعروق الوجه : أي قليل لحم الوجه . أجناً : ناقة الوجنة . أثرم : انكسرت ثناياه .

(٩٣) اسد الغابة (٨٥/٣) والاستيعاب (٧٩٣/٢) ، وأهم : انكسرت ثناياه .

(٩٤) الإصابة (١٣/٤) وأسد الغابة (٨٦/٣) ، والكتم : نبت يخلط بالوسمة يخضب به .

(٩٥) الإصابة (١٢/٤) والاستيعاب (٧٩٣/٢) .

(٩٦) الاستيعاب (٧٩٣/٢) .

(٩٧) الإصابة (١٢/٤) .

(٩٨) عبد الله بن عمرو بن العاص : أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلاً حافظاً عالماً ، قرأ القرآن -

خلقاً وأشدهم حياء ثلاثة : أبو بكر وعثمان وأبو عبيدة » (٩٩) .

لقد كان احد العشرة السابقين للإسلام (١٠٠) وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة (١٠١) . ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى بعض الناس أبا عبيدة ليبايعوه بالخلافة ، فقال : « أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة ؟ » يريد أبا بكر الصديق ، إشارة للآية الكريمة : (إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا) ، وكان عمر بن الخطاب ممن أتاه يومذاك ، فقال : « أبسط يدك فلا يبايعك ، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فهمة قبلها منذ أسلمت : أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين ؟ ! » (١٠٢) . وبينما كان عمر وأبو عبيدة في هذا الحديث ، عليهما بأن الانصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين ، فأرسل عمر الى أبي بكر في بيت عائشة أم المؤمنين ، وقصدوا سقيفة بني ساعدة ، فقال أبو بكر :

= والكتب المقتطعة ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب حديثه فأذن له ، قال : « يا رسول الله ! اكتب كل ما سمع منك في الرضاء والغضب ؟ » . قال : « نعم ، فاني لا أقول إلا حقاً » وكان يرد الصوم ولا ينام الليل ، فشكاه أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ان لمينيك عليك حقاً ، وان لاهلك عليك حقاً ، قم ونم وصم وافطر . صم ثلاثة ايام من كل شهر فذلك صيام الدهر » فقال : « إني أطيق أكثر من ذلك » فلم يزل يراجه في الصيام ، حتى قال له : « لا صوم أفضل من صوم داوود ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » فوقف عبد الله عند ذلك وتعادى عليه . واعتذر رضي الله عنه عن شهوده صفين ، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم ، وأنه إنما شهدا اعزما أبيه عليه في ذلك ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اطع اباك » .

كان أبيض الرأس والحية ، طوالا احمر عظيم البطن ، وقد عسي في آخر ايامه ، وتوفي بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين . وقد روى عن أبي بكر وعمر . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٦١/٤) والاصابة (١١١/٤) واسد الغابة (٢٣٣/٣) والاستيعاب (٩٥٦/٣) .

(٩٩) الاصابة (١٣/٤) .

(١٠٠) الاصابة (١١/٤) .

(١٠١) اسد الغابة (٨٥/٣) والاستيعاب (٧٩٣/٢) والسيرة الحلبية (٣٦٦/٣) .

(١٠٢) طبقات ابن سعد (٨١/٣) والسيرة الحلبية (٣٩٥/٣) ، والفهم : هي السقطة .

« ما هذا ؟! » ، فقال الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » ، فقال أبو بكر : « منا الأمراء ومنكم الوزراء » ، ثم قال : « وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين : عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة » ، فقال كل من عمر وأبي عبيدة : « لا ينبغي لأحد أن يكون فوقك يا أبا بكر » ، فبايعاه (١٠٣) .

٢- وفي خلافة أبي بكر ، تولى أبو عبيدة أمر المال (١٠٤) أول ما تولى من مناصب ، وهو الذي فرض لأبي بكر قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم في سعة الرزق ولا بأفقرهم وكسوة الشتاء والصيف (١٠٥) ، وذلك ليتفرغ أبو بكر لإدارة أمور المسلمين وينصرف عن التجارة حرفته السابقة .

وولاه أبو بكر القيادة العامة في (أرض الشام) ، فاستعفاه أبو عبيدة من ذلك (١٠٦) ، ولكن أبا بكر أصرّ على رأيه ، فلما تخرج موقف المسلمين في (أرض الشام) واجتمعوا باليرموك ، ولّى أبو بكر خالداً منصب القيادة العامة في الشام بدلاً عن أبي عبيدة (١٠٧) الذي بقي على جند (حمص) (١٠٨) ولكن عمر بن الخطاب أعاده الى منصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر (١٠٩) وصير خالداً موضع أبي عبيدة (١١٠) ، أي ان خالداً أصبح قائداً مروّساً لأبي عبيدة في (أرض الشام) ، فلم يخبر أبو عبيدة خالداً بعزله إكراماً له وإجلالاً (١١١) ، فلما علم خالد

(١٠٣) ابن الاثير (١٢٣/٢) والسيرة الحلبية (٣٩٥/٣) واليعقوبي (١٠٢/٢) والاستيعاب (٧٩٣/٣) .

(١٠٤) الطبري (٣٩٧/٢) وابن الاثير (١٦١/٢) .

(١٠٥) السيرة الحلبية (٣٩٧/٣) .

(١٠٦) البلاذري ص (١١٦) .

(١٠٧) فتوح الشام لوقائدي (١٤/١) والبلاذري ص (١١٧) والاغانى (٢٦/١٤) .

(١٠٨) ابن الاثير (١٥٥/٢) .

(١٠٩) طبقات ابن سعد (٣٩٧/٧) .

(١١٠) اليعقوبي (١١٧/٢) .

(١١١) ابن الاثير (٢٠٧٨/٢) وفي رواية أخرى أن خالداً علم بعزله قبل أن يعلم به أبو

عبيدة . راجع الطبري (٥٩٥/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

بعزله واستعمال أبي عبيدة مكانه ، قال للناس : « بعث عليكم أمين هذه الأمة » ، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتي العشرة » (١١٢) ..
لقد كان كلاهما فوق المناصب ، وكلاهما يعتبر المنصب (تكليفاً) لا (تشريفاً) ، فلا عجب ألا يؤثر عزل أحدهما على نفسيتهما ولا على علاقتهما الشخصية .

وكما كان أبو عبيدة لا يكثر بالمناصب ، كان لا يكثر بمتاع الدنيا من مال وعقار ، فقد أرسل عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار ، وقال لرسوله : « انظر ما يصنع ! » ، فقسمها أبو عبيدة ، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال قال « الحمد لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا ! » (١١٣) .

ولما قدم عمر الشام ، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء اهل الأرض ، فقال عمر : « أين أخي ! » فقالوا : من ؟ قال : « أبو عبيدة » ، قالوا : يأتيك الآن ! . فجاء على ناقه مخطومة بجبل ، فسلم عليه ، فقال عمر للناس : « انصرفوا عنا ! » ، وسار مع أبي عبيدة حتى أتى منزله فنزل عليه ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ، فقال عمر : « لو اتخذت متاعاً — أو قال — شيئاً » ، فقال أبو عبيدة : « يا أمير المؤمنين إن هذا سيبلغنا المقيـل » (١١٤) .

(١١٢) الاصابة (٢/٥٩٥) وأسد الغابة (٣/٥٨) والاستيعاب (٢/٧٩٤) .

(١١٣) طبقات ابن سعد (٣/٤١٣) .

(١١٤) الاصابة (٤/١٢) وأسد الغابة (٣/٨٦) والمقيـل : النوم عند الظهيرة . وفي رواية ان عمر قال : « اذهب بنا الى منزلك يا أبا عبيدة » ، فقال له : « وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين ؟ ما تريد إلا أن تمصر عينيك علي ! » . ودخل عمر فلم ير في البيت شيئاً ، فقال : « فأين متاعك ؟ لا أرى إلا لبدًا وصفحة وشناً — الشن القرية الخلق — وأنت أمير ! أعنك طعام ؟ » فقام أبو عبيدة الى جونة — الجونة هي سلة مستديرة — فأخذ منها كسرات ، فبكى عمر ، فقال له أبو عبيدة : « قلت لك انك تمصر عينيك علي » يا أمير المؤمنين ! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل !! » فقال عمر : « غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة » ! .

٣- وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والاخلاص لعقيدته ، فقد قتل أباه يوم (بدر) لأن العقائد فرقت بينهما ففصلت بينهما السيوف ؛ وهو الذي قال لعمر حين أراد الرجوع من حيث أتى لما علم بانتشار وباء الطاعون في (أرض الشام) : « أتفرّ من قدر الله ؟ » فقال عمر : « لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفرّ من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى .. وذلك دلّ على جلالة قدر أبي عبيدة عند عمر (١١٥) . ولما حضرته الوفاة قال : غفر الله لعمر بن الخطاب رجوعه من « سرغ » (١١٦) ، ثم قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والحرق شهيد ، والهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة ، وذات الجنب شهيدة » (١١٧) ، لذلك حرص أبو عبيدة على أن يصاب بالطاعون لينال شرف الشهادة ؛ فقد كان معافى وأهله من الطاعون ، فقال : « اللهم نصيبك في آل أبي عبيدة » ، فخرحت في خنصره بثرة فجعل ينظر إليها ، فقبل له إنها ليست بشيء ، فقال : « إني لأرجو أن يبارك الله فيها ، فانه إذا بارك في القليل كان كثيراً » (١١٨) .

وأراد عمر بن الخطاب ان يستخرج أبا عبيدة من منطقة الوباء بعد اشتداده ، فكتب اليه : « سلام عليك . أما بعد . فقد عرضت لي اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ، ألا تضعه من يدك حتى تقبل » ، فعرف أبو عبيدة ما أراد عمر ، فكتب اليه : « يا أمير المؤمنين . قد عرفت حاجتك إليّ ، وإني في جند المسلمين لا أجد

(١١٥) الإصابة (١١/٤) .

(١١٦) سرغ : هو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيرة وتبوك من منازل حاج الشام ، وفيها لقي عمر بن الخطاب أمراء الأجناد . بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة ، وهناك أيضاً لقي عمر من أخيرة بطاعون الشام ، فرجع الى المدينة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧٠/٥) .

(١١٧) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣) .

(١١٨) اسد الغابة (٨٦/٣) .

فنبسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضائه ؛ فخلني من عزيمتك » ، فلما قرأ عمر هذا الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ! ألمات عبيدة ؟ ، فقال : « لا ، وكأن قد » (١١٩) ؛ وفعلًا مات أبو عبيدة بالطاعون سنة ثمان عشرة للهجرة (٦٣٩ م) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة (١٢٠) ، أي إنه ولد سنة أربعين قبل الهجرة (٥٨٤ م) وقبره ؛ (عمّواس) (١٢١) وهو من الرملة على أربعة أميال مما يلي بيت المقدس (١٢٢) ، وفي رواية ان قبره في (فحل) من أرض الأردن ، إذ انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس ، فأدركه أجله ؛ (فحل) فتوفي فيها ؛ ويقال : إن قبره ؛ « بيسان » (١٢٣) ، ولا عقب له (١٢٤) . وأرجح أن يكون

(١١٩) ابن الاثير (٢١٦/٢) .

(١٢٠) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣-٤١٥) و (٣٨٥/٧) وابن الاثير (٢١٦/٢) ومعجم البلدان (٢٢٦/٦) والاصابة (١٣/٤) وأسد الغابة (٨٦/٣) والاستيعاب (٨٩٤/٢) .
(١٢١) عمّواس : هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وهي على أربعة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٥/٦) .
(١٢٢) طبقات ابن سعد (٤١٥/٣) و (٣٨٥/٧) .

(١٢٣) الاصابة (١٣/٤) وأسد الغابة (٨٦/٣) ، وقد جاء في الصفحة (٣٧٦) من المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية : « إن أبا عبيدة توفي بالطاعون عام ١٨ هـ ، في (أمّواس) وأن قبره بجامع الجراح بدمشق » ، وقد عرب مترجمو دائرة المعارف هذه (عمّواس) ؛ (أمّواس) ! والحقيقة إن أبا عبيدة توفي بالطاعون الذي ينسب الى عمّواس لا (أمّواس) كما ترجمت خطأ وقد نفّس هذا اللبّاء في أرض الشام فمات به خلق كثير منهم أبو عبيدة .
وهناك قبر ينسب الى أبي عبيدة في غور الأردن . رمم ضريحه في عهد السلطان بيبرس كما جاء في الكتابة المنقوشة عليه ، وهذه صورة عنها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وأمر بإنشاء هذه القبة المباركة على ضريح أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ، ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله قيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله بما وقفه عليه وحجسه من نصف مناصفات دير (معل تونين) من حمص من عمل حصن اكراد المحروس تحبيراً مؤيداً دائماً ، أثاب =

قبره في (عمّواس) لأن أكثر المصادر وأوثقها تؤيد ذلك ... فلم تُر فجيعة بين المسلمين بعد فجيعتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق أشد وقعاً عليهم ولا أكثر حزناً لهم من فجيعتهم بهذا الرجل الصادق الأمين . قال معاذ بن جبل (١٢٤) يبيّنه : « إنكم فُجِعتم برجل ما أزعَم والله أني رأيت من عباد الله قط أقل حقداً ولا أبرّ صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشدّ حياء للعاقبة ولا أنصح للعامة منه ، فترحموا عليه » (١٢٥) .

لقد كان أبو عبيدة معروفاً بسلامة الدين وقوة اليقين والخلق المتين ، فكان رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا (١٢٦) حسن الخلق متبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٢٧) ولأمر خلفائه من بعده ، وعلى شدة ورعه كان يقول : « والله ما منكم أحد يفضلني بتقى ، الا وددت أني

= الله واقفه بمجوده وكرمه يوم يحزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وذلك بنظر الأمير الأعز الأجل الكبير نسله ناصر الدين الجامتكي الظاهري السعدي نائب ملكة (عجلون) المحروسة في ذي الحجة سنة ستمائة وسبعة وخمسون » انظر العدد (١٣٩) الصادر في (٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ هـ - ٢ آذار ١٩٢٦ م) ص (٣٥٩) من مجلة الرسالة المصرية .

(١٢٣) أ) البده والتاريخ (٨٧/٥) .

(١٢٤) معاذ بن جبل الانصاري الخزرجي : يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان طوالاً حسن الشعر عظيم العينين أبيض براق الثنايا . وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار . وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود . شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها وبعثه الرسول قاضياً الى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ويقضي بينهم ، وجعل اليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاذ : « أعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل » وقال عنه : « يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء » .

شهد اليرموك وأكثر معارك فتح الشام وتوفي بناحية الأردن في طاعون (عمّواس) سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وليس له عقب . راجع طبقات ابن سعد (٥٨٣/٣) و (٣٨٧/٧) والاصابة (١٠٦/٦) واسد الغابة (٣٧٦/٤) والاستيعاب (١٤٠٢/٣) .

(١٢٥) الاصابة (١٢/٤-١٣) .

(١٢٦) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٤) .

(١٢٧) الاصابة (١٢/٤) .

بسلامة» (١٢٨). ولم يكتف بانفاق كل ماله في سبيل الله ، بل كان يتمنى أن يكون كبشاً يذبحه أهله ، فكان يقول : «وددت أني كبش فذبني أهلي فأكلوا لحمي وحسوا مرقي» (١٢٩) ، وهذا منتهى نكران الذات والتخلي عن أهواء النفس الأمارة بالسوء .

ولم يكن يضحي من أجل أهله فقط ، بل كان يضحي من أجل المسلمين كافة ، فالمسلمون كلهم إخوته ، لأن المؤمنين إخوة . ففي عام الرمادة حين أصاب الناس مجاعة وجذب وقحط ، كتب عمر الى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم ، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاه عمر قسمتها فيمن حول المدينة ، فقسمها (١٣٠) ورجع اليه ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال : « لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ، وإنما أردت الله وما قبله ، فلا تدخل عليّ الدنيا » ، فقال عمر : « خذها ، فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه ! » فأبى ؛ فقال عمر : « خذها ، فإني قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلت له كما قلت لي ، فأعطاني » ، فقبل أبو عبيدة وانصرف الى عمله (١٣١) .

لقد كان أبو عبيدة من أصحاب المثل العليا فهو يعمل لها لا للمال ؛ والفرق بين أصحاب المثل العليا وغيرهم ، أن الأولين يعملون للمثلهم ويتحملون كل تضحية من أجلها ؛ وأن الآخرين يعملون لبطونهم وجيوبهم ، فهم من هذه الناحية كالسوائم أو هم أحط دركاً .

٤ - وبالإضافة الى كل ذلك ، كان أبو عبيدة متفهماً في الدين ، فقد

(١٢٨) الإصابة (١٣/٤) وفي طبقات ابن سعد (٤٢٢/٣) : « يا أيها الناس إني إمروء من قريش ، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى الله الا وددت أني في سلاخه » .

(١٢٩) أسد الغابة (١٨٦/٣) وطبقات ابن سعد (٤١٣/٣) .

(١٣٠) الطبري (١٩٣/٣) وابن الأثير (٢١٥/٢) .

(١٣١) الطبري (١٩٣/٣) .

سأل أهل اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلاً من أصحابه يعلمهم السنة والاسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة وقال : « هذا أمين هذه الأمة » (١٣٢) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً (١٣٣) ، وكان معدوداً من أصحاب الفتيا من الصحابة (١٣٤) ، وكان من المعدودين الذين نالوا شرف المشاركة في جمع القرآن العظيم (١٣٥) .

لقد كان أبو عبيدة مثلاً حياً للخلق الكريم والايمان العميق والاخلاص النادر لعقيدته وللمسلمين عامة ، فلا تعجب بعد هذا أن يقول عنه النبي الكريم « نعم الرجل أبا عبيدة » (١٣٦) ، وأن يقول عمر يوماً لجلسائه : « تمنّوا » ، فتمنّوا ، فقال عمر : « ولكي أتمنّى بيتاً ممتلئاً رجالاتاً مثل أبي عبيدة بن الجراح » . وقال عمر : « لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح فاستخلفته فسألني عنه ربي ، لقلت سمعت نبيك يقول : هذا أمين هذه الأمة » . وقال مرة أخرى : « لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت ، فإن سئلت عنه قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله » (١٣٧) ، وكان يقول عنه : « لا أمير على أبي عبيدة » (١٣٨) .

لقد كان أبو عبيدة أمة وحده في مزاياه الانسانية الرفيعة .

-
- (١٣٢) طبقات ابن سعد (٤١١/٣) والاصابة (١١/٤) .
(١٣٣) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد - لابن حزم - ملحق بمجموع السيرة ص (٢٨٤) وانظر حديث أبي عبيدة بن الجراح في مسند الامام احمد بن حنبل (١٩٥/١) .
(١٣٤) أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم من كثرة الفتيا - لابن حزم - ملحق بمجموع السيرة ص (٣٢٠) .
(١٣٥) انظر العدد الثاني عشر من السنة الرابعة عشرة من مجلة لواء الاسلام الصادرة في غرة شعبان ١٣٨٠ هـ ، في ص (٦٧١) .
(١٣٦) طبقات ابن سعد (٤١٢/٣) .
(١٣٧) طبقات ابن سعد (٤١٢/٣) . وانظر الامامة والسياسة لابن قتيبة (٢٢/١) حول رغبة عمر في استخلاف ابي عبيدة لو كان حياً .
(١٣٨) فتوح الشام للواقدي (٨/١) .

القائد :

لأن كانت شهرة خالد بن الوليد الحرية سبقتة الى أهل الردة والى العراق وأرض الشام ، فتحدث عنها العدو والصدق ، فان شهرة أبي عبيدة في الحلم والرفق وسعة الصدر والأمانة والصدق وحب السلام قد سبقتة كذلك الى أهل الشام ، لذلك أحبّوه ويسّروا له مهمته ؛ وكان من أثر ذلك أن كثر تسليم مدن الشام له صلحاً ، وبذلك حققت كثير من الدماء واطمأنت كثير من النفوس .

لقد توفّرت في أبي عبيدة — بالإضافة الى خلقه الرفيع وإيمانه الراسخ — بعض المزايا العسكرية التي أهلته لتولي القيادة في عهد الرسول القائد وفي عهد الشيخين : أبي بكر وعمر بن الخطاب من بعده .

فقد كان من شجعان قريش المحدثين ، ثبت حين انهزم الناس يوم (أحد) — ذلك اليوم الذي لم يثبت فيه إلا أشجع الشجعان ؛ كما كان ذا عقيدة من الطراز الأول يستهين بالأخطار في سبيل عقيدته ، وكان ذا عقلية متزنة وذكاء وقاد كان لهما أثر مهم على إعدادة خططه العسكرية الصحيحة ، وكان موضع ثقة الناس وحبهم له الى درجة الافتتان بمزاياه الخلقية والعقائدية ، وكان يساوي نفسه برجاله بل يستأثر دونهم بالأخطار : «إني من جند المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاه» (١٣٩) ، كما كتب لعمر بن الخطاب حين أراد عمر أن يستخرجه من منطقة البواء .

لقد كان أبو عبيدة قائداً مكثياً ، والحرب لا يُصلحُها إلا الرجل المكث كما كان يقول عمر بن الخطاب (١٤٠) ، وكان قائداً (مُتَّبعاً) يتلقّى الأوامر وينفذها بكل أمانة وإخلاص ؛ وقد بقي بعد معركة (اليرموك)

(١٣٩) ابن الاثير (٢/٢١٦) .

(١٤٠) الطبري (٢/٦٣١) .

في موضعه لا يبرحه حتى أناه رأي عمر وأمره (١٤١) ؛ وهذا دليل على شدة ضبط أبي عبيدة وإيمانه بضرورة إطاعة أوامر مرجعه الأعلى .

ولعل هناك من يأخذ على أبي عبيدة تربيته الشديد قبل الاقدام على خوض معركة من معاركه ، والحق أن هذا التريث كان موضع نقد كثير من المندفعين المتحمسين في جيشه ؛ فقد بلغ معاذ بن جبل أن بعض أهل الشام استعجز أبا عبيدة أيام حصار (دمشق) ورجح خالد بن الوليد ، فغضب معاذ وقال : أبأبي عبيدة يُظن ؟ ! والله إنه لمن خير من يمشي على الأرض » (١٤٢) . وسمع معاذ رجلاً يقول : « لو كان خالد بن الوليد ، ما كان البأس ذو كَوْن » ، وذلك في أيام حصر أبي عبيدة بحمص ، فقال معاذ : « فإلى أبي عبيدة تضطر المعجزة ؟ ! لا أبأ لك ؟ ! والله إنه لمن خير من على الأرض » (١٤٣) ، وهذا يدل على مبلغ ثقة كبار الصحابة بقيادة أبي عبيدة وشدة اعتمادهم عليه .

لقد كان من القادة الذين يستشيرون رجالهم في كل خطوة يخطونها ، وعندما تحشد الروم لاستعادة أرض الشام ، إستشار اصحابه ، فأشار عليه الأكثرية بقبول الحصار في (حمص) ؛ أما خالد بن الوليد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم ؛ ولكن أبا عبيدة أخذ برأي الأكثرية فاستمد عمر بن الخطاب وأخبره بالموقف الراهن .

وكان بعيد النظر ، يُدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات ، لذلك شحن النواحي المخوفة (١٤٤) بالرجال للدفاع عنها عند الحاجة ريثما ترددهم الامدادات ، وبهذه التدابير الاحتياطية لم يستطع العدو في أيامه استعادة أي موقع فتحه المسلمون . وإذا كان الإيمان بالقضاء والقدر عاملاً من

(١٤١) الطبري (٥٩٩/١) .

(١٤٢) الاصابة (١٢/٤) .

(١٤٣) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣) .

(١٤٤) ابن الاثير (١٩٢/٢) .

عوامل انتصار المسلمين ، فقد كان أبو عبيدة مثلاً شخصياً رائعاً لرجاله في إيمانه العميق بالقضاء والقدر ، وكم كان مهيباً مؤثراً في نفوس رجاله حين كان يتجول في معسكراتهم وهو يقول « ألا ربّ مبيض لثيابه وهو مدنس لدينه ! ألا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين غدا ! إدفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادئات ... » ...

وهو بالإضافة الى ذلك ، كان صحيح القرار غير متسرع في إصداره ، ذا إرادة قوية نافذة ونفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، وشخصيته قوية وله قابلية بدنية ممتازة ، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، وله ماض ناصع مجيد .

ولهذه الأسباب أمره الرسول القائد عليه الصلاة والسلام في حياته على بعض سرايا المسلمين في ثلاث غزوات ، كان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق من بين جنوده في بعض تلك الغزوات ، فنجح أبو عبيدة في قيادته نجاحاً باهراً ؛ لذلك حرص كل من الشيخين غاية الحرص على توليته مقاليد القيادة في أيامهما ، بل رشحاه بكل جدارة لتسّم مقاليد الخلافة ، والخليفة حينذاك هو القائد الأعلى لقوات المسلمين .

لقد كانت لأبي عبيدة فكرة سوقية (استراتيجية) ممتازة ، فقد بعث بعض القوات لمشاغلة قوات الروم في (فحل) بينما حاصره هو (دمشق) حتى فتحها ، ثم قصد (فحل) بقواته كلها ، ولولا ذلك لكان من المحتمل أن تتعاون القوتان المعاديتان في (فحل) و (دمشق) على مقاومة المسلمين في وقت واحد وفي مكان واحد .

كما أرسل خالداً على رأس جيش لضرب الجيش الرومي الذي كان متوجهاً الى دمشق ، مما أدى الى فشل هذا الجيش في مهمته ، لأنه أصبح يقاتل في جبهتين في آن واحد : من الأمام يقاتل جيش يزيد بن أبي سفيان ، ومن الخلف يقاتل جيش خالد بن الوليد .

وكان في أعماله الحربية يطبق مبدأ (المباغتة) كما فعل في معركة (اللاذقية) ، ويعمل على (اختيار مقصده وادامته) وبذل أقصى جهده لإكمال (تحشيد قواته) قبل المعركة ، ولكنه كان (يقتصد بالمجهود) ولا يسرف في استخدام قطعات كبيرة بدون مبرر ولا يسمح باعطاء خسائر كثيرة دون جدوى ، وكان يحرص على استكمال متطلبات (الأمن) لقطعاته حتى تستطيع العمل ؛ (مرونة) و (تعاون) . كما كان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لها كافة (الأمور الإدارية) .

تلك هي مزاياه قائداً ، وهذه هي مبادئ الحرب التي كان يطبقها في معاركه ؛ كل ذلك أدى الى نجاحه في معاركه التي خاضها ، وهي معارك (استثمار الفوز) أو معارك (التطهير) التي تكون عادة بعد المعارك الحاسمة ؛ فقد فضل التخلي عن القيادة العامة في معركة (اليرموك) الحاسمة ، فاستمد بها بكر ، فأمدّه بجالد بن الوليد قائلاً : « خالدها ؛ فقاد خالد المسلمين الى النصر المبين في معركة (اليرموك) بفضل اندفاعه ومجازفته وسرعة قراراته وسرعة حركته واستخدامه أساليب جديدة في القتال ؛ ولكن أبا عبيدة عاد الى تولي القيادة العامة بعد (اليرموك) ، فخاض معارك (استثمار الفوز) بنجاح باهر يكاد يعتبر معجزة عسكرية إذا أدخلنا في حسابنا تفوق الروم الساحق على المسلمين وسرعة انجاز الفتح وقلة الخسائر بالأرواح التي ضحى بها المسلمون من أجل فتح بلاد الشام كلها .

لقد جاهد أبو عبيدة في سبيل الله أعظم الجهاد ، وبقي يجاهد الى آخر لحظة من حياته ، فسقط صريعاً بالطاعون ، ولم يسقط من يده السيف .

أبو عبيدة في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي عبيدة جهاده الطويل لاعلاء كلمة الله بسيفه ولسانه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان موضع ثقة النبي صلى الله عليه

وسلم ورضاه واعجابه الشديد بخلقه الكريم وجهاده العظيم وإخلاصه لله ولرسوله .

ويذكر له موقفه الرائع في سقيفة بني ساعدة ، ذلك الموقف الذي كان من عوامل جمع شمل المسلمين ووحدة صفوفهم وعدم تفرقهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

ويذكر له فتحه (أرض الشام) : سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، تلك المنطقة التي أمدّت المسلمين بسيل جارف من المجاهدين بسيوفهم وبسبل جارف من المجاهدين بأقلامهم .

وكأنني بأبي عبيدة ينادي من وراء الغيب : « هل فتحنا فلسطين لتسلمها أبناؤنا لليهود ؟ واحسرتاه ! وأأسفاه !! » .

وربما كان لأبي عبيدة من ينافسه في مزايا قيادته ، ولكن لا أحد من الصحابة ينافسه في مزايا خلقه ، فقد كان فريداً في خلقه القويم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويذكر التاريخ له أنه كان أحد العشرة السابقين للإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأنه لم يعش لنفسه بقدر ما عاش للناس ، فرض الجهاد على نفسه ، فلم يكن يستطيع منه خلاصاً ..

فعاش مجاهداً ومات مجاهداً ، ولم يختره الله الى جواره إلا بعد أن أبقي اسمه على كل لسان وفي كل قلب ، رمزاً للجهاد الصادق والإيمان العميق والخلق العظيم ..

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المحدث الفقيه ، المؤمن الصادق ، القوي الأمين ، المجاهد الشهيد ، القائد الفاتح ، أبي عبيدة بن الجراح الفهري القرشي .

قادة فتح سُوَيْت

- ١ - خالد بن الوليد المخزومي ^(١) .
- ٢ - أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري ^(٢) .
- ٣ - عكرمة بن أبي جهل المخزومي .

(١) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧ - ٢١١) .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب من ص (٥٤ - ٨١) .

عِكْرِمَةُ بن أَبِي جَهْلٍ المخزومي

القائد الشهيد

« موحياً بالراكب المهاجر »

محمد رسول الله

نسبه :

هو عِكْرِمَةُ بن أَبِي جَهْلٍ بن هشام بن المُخَيْرَةِ بن عبد الملك بن عمر ابن مخزوم القرشي المخزومي^(١)، وكان أبو جهل يكنى أبا الحكم واسمه عمرو ، فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل فبقي عليه ونُسي اسمه وكنيته^(٢) .

وأمه أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر^(٣) .

في الجاهلية :

كان عِكْرِمَةُ كأبيه من أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم^(٤) . فكان على جمع عظيم من قريش نزلوا (ثنية المرة)^(٥) ، فقصدهم سرية

(١) طبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) والاصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٤/٤) والاستيعاب (١٠٨٢/٣) ، وفي طبقات ابن سعد والاصابة ورد : عبد الله بن عمرو لا عبد الله بن عمر .

(٢) أسد الغابة (٤/٤) والاستيعاب (١٠٨٢/٣) .

(٣) أسد الغابة (٤/٤) .

(٤) الاصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٤/٤) والاستيعاب (١٠٨٢/٣) .

(٥) ثنية المرة : موضع قريب من الجحفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٣) والجحفة قرية على بعد أربع مراحل من المدينة على طريق المدينة - مكة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦٢/٣)

عُبَيْدَةَ بن الحارث ^(٦) المؤلفة من ستين أو ثمانين ركباً من المهاجرين ، فلم يكن بين الطرفين قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمِيَ به في الاسلام ^(٧) .
 وشهد عِكْرَمَةَ غزوة (بدر) مع المشركين ، فشهد مصرع والده أبي جهل في هذه المعركة بعد أن دافع عنه دفاع المستميت وضرب قاتل والده على عاتقه فطرح يده فكانت معلقة بجلدة في جنبه وكاد يقضي عليه ^(٨) .
 وشهد غزوة (أحد) على ميسرة خيل المشركين ^(٩) ، ونظم الشعر بعد المعركة في التشفي باندحار المسلمين ^(١٠) .

وشهد مع المشركين غزوة (الخندق) ، وكان أحد الذين حاولوا اقتحام الخندق بخيولهم ^(١١) ، ولكنه ألقى يومئذ رمحه وهو منهزم لتصدّي أبطال المسلمين له ولمن حاول اقتحام الخندق ^(١٢) . ولما طال صمود المسلمين دبّ اليأس الى نفوس الأحزاب ، فأرسل أبو سفيان وروؤس غَطَفَانَ الى بني قريظة من اليهود عكرمة في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا : إننا لسنا بدار مقام وقد هلك الخُف (١٣) والحافر (١٤) ، فأغدوا

(٦) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبى : أسلم قديماً ، وكان أسن بني عبد مناف يومئذ ، وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين . هاجر الى المدينة وعقد له الرسول صلى الله عليه وسلم لواء ، وقد جرح يوم بدر فمات رضي الله عنه شهيداً من جرحه . راجع طبقات ابن سعد (٥٠/٣) والاصابة (٢٠٩/٤) وأسد الغابة (٣٣٨/٣) والاستيعاب (١٠٣٠/٣) .

(٧) سيرة ابن هشام (٢٢٤/٢ - ٢٢٥) وجوامع السيرة ص (١٠١) وفي طبقات ابن سعد (٧/٢) أن أبا سفيان كان على مشركي قريش يومئذ .

(٨) سيرة ابن هشام (٢٧٥/٢ - ٢٧٦) .

(٩) سيرة ابن هشام (٥/٣) وجوامع السيرة لابن حزم ص (١٥٩) .

(١٠) سيرة ابن هشام (١٥٤/٣ - ١٥٥) .

(١١) سيرة ابن هشام (٢٤٠/٣) وطبقات ابن سعد (٦٨/٢) .

(١٢) سيرة ابن هشام (٢٤٢/٣) .

(١٣) الخف : الابل .

(١٤) الحافر : الخيل .

للقِتال حتَّى فَنَاجِزَ مُحَمَّدًا وَنَفَرِغَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ! فَلَمْ يُوَافِقِ الْيَهُودَ عَلَى مَبَاشِرَةِ الْقِتَالِ إِلَّا إِذَا أَخَذُوا مِنْ قَرِيْشٍ وَغُطَفَانَ رَهَائِنَ مِنْ رِجَالِهِمْ (١٦٥) ، فَعَادَ عَكْرَمَةَ وَأَصْحَابَهُ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بِخَفِيِّ حُنَيْنٍ ، مِمَّا أَدَّى إِلَى انْهِيَارِ الثِّقَةِ بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَحْزَابِ ، وَعَوْدَتِهِمْ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا .

وَكَانَ عَكْرَمَةُ مِمَّنْ جَمَعَ نَاسًا (بِالْحَسَدَةِ) (١٦٦) لِيُقَاتِلُوا الْمُسْلِمِينَ وَلِيَصُدَّوْهُمْ عَنْ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَلَكِنْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَضَى عَلَى مَقَاوِمَتِهِمْ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ (١٦٧) ، فَفَرَّ عَكْرَمَةُ إِلَى الْيَمَنِ ، لِأَنَّهُ كَانَ بَيْنَ النَّفَرِ الَّذِينَ أَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِمَاءَهُمْ (١٦٨) .

لَقَدْ كَانَ عَكْرَمَةُ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ خَاصَمَهُمْ سِرًّا وَعِلَانِيَةً فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ ، وَلَمْ يَدْتَخِرْ وَسْعًا فِي سَبِيلِ مَكَافَحَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمُحَارَبَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنْ كَفَّاحَةُ الدَّائِبِ هَذَا انْتَهَى بِالنَّجَاةِ بِنَفْسِهِ هَارِبًا إِلَى الْيَمَنِ بَعْدَ اسْتِبَاحَةِ دَمِهِ ، فَقَدْ أَمَّنَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ مِنْ بَيْنِهِمْ عَكْرَمَةُ قَالَ عَنْهُمْ : « أَقْتُلُوهُمْ وَلَوْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ » (١٦٩) .

أَسْلَمَتِ امْرَأَةُ عَكْرَمَةِ أُمُّ حَكِيمِ بِنْتُ عَمِّهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، فَاسْتَأْمَنَتْ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّتَهُ ، فَخَرَجَتْ فِي طَلْبِهِ إِلَى الْيَمَنِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : « مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ » ، فَأَسْلَمَ سَنَةَ ثَمَانَ لِلْهِجْرَةِ وَذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ (٢٠٠) ، وَحَسَنَ إِسْلَامِهِ وَأَصْبَحَ مِنْ صَالِحِي الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ لِأَصْحَابِهِ : « إِنَّ

(١٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٤٩) وجوامع السيرة لابن حزم ص (١٨٩) .

(١٦) الهندية : جبل بمكة . راجع معجم البلدان (٣/٤٧٠) .

(١٧) سيرة ابن هشام (٤/٢٦-٢٧) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .

(١٨) سيرة ابن هشام (٤/٣٠) وأسد الغابة (٤/٥) والاصابة (٤/٢٥٨) .

(١٩) الاصابة (٤/٢٥٨) وأسد الغابة (٤/٥) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٣٢) .

(٢٠) الاصابة (٤/٢٥٨) وأسد الغابة (٤/٥) والامتياب (٣/١٠٨٣) .

عكرمة يأتىكم فاذا رأيتموه فلا تسبوا أباه ، فإن سب الميت يؤذي الحي (٢١) .
ولما أسلم عكرمة كان المسلمون يقولون : هذا ابن عدو الله أبي جهل ؛
فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : عكرمة بن أبي جهل ،
وقال : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » (٢٢) .

وكان عكرمة قد ركب البحر في طريقه من الحجاز الى اليمن ، فأصابته
عاصفة ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة : اخلصوا ، فإن آلتكم
لا تغني عنكم شيئاً ههنا ... فقال عكرمة : « إن لم ينجني في البحر إلا
الاخلاص ، ما ينجيني في البر غيره ! اللهم لك علي عهد إن أنت عافيتني
مما أنا فيه ، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده ، فلا أجده عفواً كريماً » (٢٣)

لقد كان إسلام عكرمة نوعاً من التسليم ، ولكنه تسليم النفس في معركة
نفسية لا تسليم القائد في معركة حربية ؛ وشتان بين التسليمين ؛ لأن تسليم
النفس يكون نتيجة اقتناع وإيمان ، وتسليم الحرب يكون نتيجة إكراه
وخوف ... ولما أسلم عكرمة قال : « يا رسول الله ! علّمني خير شيء
تعلمه حتى أقوله » ، فقال له « شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمداً عبده ورسوله » ، فقال عكرمة : « أنا أشهد بهذا وأشهد
بذلك من حضرتي ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي » ، فاستغفر
له رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤) ، فقال عكرمة : « والله لا أدع
نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقته ضعفها في سبيل الله ،
ولا قتالاً إلا قاتلت ضعفه » ، وأشهدك يا رسول الله « (٢٥) .

واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات هوازن عام

(٢١) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

(٢٢) أسد الغابة (٥/٤) والاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

(٢٣) الإصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٥/٤) .

(٢٤) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

(٢٥) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

وفاته (٢٦) ، وهذا دليل قاطع على حسن إسلامه وأمانته ، وإلا لما ولاّه النبي صلى الله عليه وسلم عملاً لا يقوم به إلا المؤمن القوي الأمين .

جهاده :

١- في حروب أهل الردة :

عقد أبو بكر الصديق لعكرمة لواء وأمره بمسيلة الكذاب في (اليَمَامَة) (٢٧) وأتبعه شُرَحْبِيل بن حَسَنَة ، فعجل عكرمة في لقاء بني حنيفة قوم مسيلة ليذهب بفخر النصر وحده ؛ ولكنّ بني حنيفة نكبوه ، فكتب عكرمة الى أبي بكر بالخبر ، فكتب اليه أبو بكر : « لا أريتك ولا تراني ، ولا ترجعن فتوهن الناس . إمض الى حذيفة وعرفجة (٢٨) فقاتل أهل (عُمان) (٢٩) و (مَهْرَة) (٣٠) ، ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس ، حتى تلقى المهاجر بن أمية (٣١) باليمن وحضرموت » (٣٢) ، فلحقهما عكرمة قبل (عُمان) فلما فرغ منها سار الى (مَهْرَة) وقضى على المرتدين فيها أيضاً ، فأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على ما يحبّ وبايعوا

(٢٦) الاصابة (٢٥٨/٤) واسد الغابة (٥/٤) وطبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) .

(٢٧) اليمامة : منقول من اسم طائر يقال له : اليمام ، واحدته يمامة ، بين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨) .

(٢٨) هما حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثة البارق .

(٢٩) عمان : منطقة عربية على ساحل خليج عمان وتشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع ، الا ان حرها يضرب به المثل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥١٥/٨) .

(٣٠) مهرة : اسم قبيلة من قضاة تنسب اليهم الابل المهرية ، ولهم في اليمن محل يسمى : مهرة ،

بينه وبين عمان مسيرة نحو شهر ، وكذلك بينه وبين حضرموت . راجع معجم البلدان (٢١١/٨) .

(٣١) المهاجر بن أمية القرشي المخزومي : أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها وأُمها . أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن عبد كلال الحميري ، واسمعه على صدقات كندة وتوفي الرسول ولم يسر اليها . فيمنه أبو بكر الى قتال من ارتد باليمن وله في قتال الردة

باليمن أثر كبير . راجع الاصابة (١٤٤/٦) واسد الغابة (٤٢٢/٤) .

(٣٢) الطبري (٥٠٤/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .

على الاسلام (٣٣) .

وسار عكرمة من (مَهْرَة) الى اليمن ومعه بشر كثير فأعاد النخع وحمير الى الاسلام (٣٤) .

وسار عكرمة الى (حضر موت) كما سار اليها المهاجر حتى اقتحماها ، ثم سارا الى (كِنْدَة) (٣٥) فاستخلف المهاجر على الجند عكرمة وتعجّل في سرعان الناس ، فلما قدم عكرمة وجد المسلمين قد حاصروا كندة ، فاشتدّ الحصر على كندة وتفرقت السرايا في طلبهم ، حتى استسلمت كندة (٣٦) وبذلك عادت حضر موت وكندة الى رحاب الاسلام .

لقد بذل عكرمة في عمان ومهرة واليمن وحضر موت وكندة جهوداً مشرفة كان من آثارها توطيد أركان الاسلام في هذه المناطق وإعادة وحدتها القوية بالبلاد العربية الأخرى في شبه الجزيرة العربية .

٢- في أرض الشام :

لما فرغ عكرمة من قتال أهل الردة سار مجاهداً الى أرض الشام أيام أبي بكر الصديق مع جيوش المسلمين ، فعسكر (بالحرف) على ميلين من المدينة ، فخرج أبو بكر يطوف في معسكر المسلمين ، فبصر بجناء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهرة فأنتهى اليه فاذا بجناء عكرمة ، فسلم عليه أبو بكر وجزاه خيراً وعرض عليه المعونة ، فقال : « لا حاجة لي فيها ، معي ألفا دينار » فدعاه أبو بكر بخير (٣٧) .

(٣٣) الطبري (٥٢٩/٢-٥٣٠) وابن الاثير (١٤٢/٢) .

(٣٤) ابن الاثير (١٤٥/٢) .

(٣٥) كندة : مخلاف باليمن واسم قبيلة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٤/٧) .

(٣٦) ابن الاثير (١٤٦/٢) والطبري (٥٤٦/٢) .

(٣٧) أسد الغابة (٦/٤) .

وكان عكرمة قد قدم المدينة فيمن معه من تهامة (٣٨) وعمان والبحرين (٣٩) فأمره أبو بكر أن يسير مدداً لخالد بن سعيد ، فسار عكرمة مسرعاً الى أرض الشام (٤٠) ، فلما هُزم خالد بن سعيد في معركة (مرج الصُفَر) (٤١) ، بقي عكرمة على الناس رداءً للمسلمين يمنع من يطلبهم (٤٢) مما قُتل من الحسائر بالأرواح ومنع مطاردة الروم للمسلمين .

وفي (اليرموك) كان مع عكرمة ستة آلاف رجل (٤٣) ، وكان قائداً لأحد الكراديس ، فأمر خالد بن الوليد عكرمة والقعقاع بن عمرو التميمي فأنشبا القتال والتحم الناس (٤٤) .

وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم ، فقال عكرمة : « قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وأفرّ منكم اليوم ؟ ! » ثم نادى : من يبايعني على الموت ؟ « فبايعه عمه الحارث بن هشام وضيرار ابن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد بن الوليد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، فمنهم من برأ ومنهم من قتل (٤٥) ، وكان عكرمة أعظم الناس بلاء ، فكان يركب الأسنة حتى جرحت صدره

(٣٨) تهامة : تسائر البحر منها مكة ، قال الاصمعي : اذا خلفت عمان مصعدا فقد أنجدت فلا تزال منجدا حتى تنزل في ثنايا ذات عرق ، فاذا فعلت فقد آتيت الى البحر ، وانما سمي الحجاز حجاز لأنه حجز بين تهامة ونجد . وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٧/٢) .

(٣٩) البحرين : اسم جامع لبلاد على الخليج العربي بين البصرة وعمان ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧٢/٢) .

(٤٠) الطبري (٥٨٩/٢) وابن الاثير (١٥٥/٢) .

(٤١) مرج الصفر بدمشق . راجع معجم البلدان (١٦/٨) .

(٤٢) الطبري (٥٨٩/٢) . وابن الاثير (١٥٥/٢) .

(٤٣) الطبري (٥٩٢/٢) وابن الاثير (١٥٧/٢) .

(٤٤) الطبري (٥٩٤/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

(٤٥) أسد الغابة (٦/٤) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

ووجهه ، فقبل له : « إتق الله وارفق بنفسك ؛ فقال : « كنت أجاهد نفسي عن اللات والعزى فأبذلها لها ، أفأستبقها الآن عن الله ورسوله ؟ ! لا والله أبداً » ، فلم يزد إلا إقداماً (٤٦) . فأتى خالد بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، ويعمر بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر في حلوقهما الماء (٤٧) .

وفي رواية أنه استشهد باليرموك الحارث بن هشام وعكرمة وسهيل بن عمرو ، فأتوا بماء وهم صرعى ، فتدافعوه كلما دفع الى رجل منهم ، قال : اسق فلاناً ، حتى ماتوا ولم يشربوه ، فقد طلب عكرمة الماء فنظر الى سهيل ينظر اليه ، فقال : ادفعوه اليه ، فنظر سهيل الى الحارث ينظر اليه ، فقال : ادفعوه اليه ، فلم يصل اليه حتى ماتوا (٤٨) . وقد وُجِدَ به بضع وسبعون ما بين طعنة وضربة ورمية (٤٩) .

الإنسان :

كان عكرمة من سادات قريش وقادتها في الجاهلية ، فأصبح من سادات المسلمين وقادتهم بعد إسلامه .

وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، ولكنه أسلم وحسن إسلامه فكان مجتهداً مع المسلمين في قتال المشركين ، كما اجتهد في العبادة حتى قتل (٥٠) ، فكان في حياة عكرمة آية للناس ؛ آية الضمير المعذب المرهف ، انكشفت له الحقائق العليا فآمن ، وأدرك بروحه الحساس مقدار خطيئاته الماضية ، فأراد أن يعفي على آثارها ما استطاع ،

(٤٦) اسد الغابة (٦/٤) .

(٤٧) ابن الاثير (١٥٩/٢) .

(٤٨) الاستيعاب (١٠٨٤/٣) .

(٤٩) الاستيعاب (١٠٨٥/٣) .

(٥٠) الاستيعاب (١٠٨٢/٣-١٠٨٣) .

فصلى وصام وأنفق وجاهد ، ثم بعث نهراً من دمه ودم ابنه عمرو وعمه الحارث ، مبدداً بهذه الدماء الزكية صخور الخطايا ، فنام ابن أبي جهل آخر الامر نومة الأبدى مع الصديقين والشهداء .

قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت لأبي جهل عذفاً في الجنة ، فلما أسلم عكرمة ، قال : هذا هو (٥١) » ، وقد كان كل عمل عكرمة بعد إسلامه مصداقاً لقول النبي الكريم فيه .

وقد ولّاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات هوازن ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعكرمة (بِتَبَالَةٍ) (٥٢) والياً على هوازن (٥٣) مما يدل على ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمانته ودينه .

وكان كريماً مضيافاً ، شهماً غيوراً ، صادقاً وفياً ، وكان شاعراً وخطيباً . وقد استشهد في اليرموك سنة ثلاث عشرة (٥٤) للهجرة (٦٣٤ م) في خلافة أبي بكر الصديق وكان له من العمر اثنتان وستون سنة (٥٥) ، أي أنه ولد سنة تسع وأربعين قبل الهجرة (٥٧٤ م) ، وليس له عقب (٥٦) .

(٥١) الإصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٦/٤) ، والعقد : النخلة يحملها .

(٥٢) تبالة : بلدة مشهورة في ارض تهامة ، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخاً نحو مسيرة ثمانية أيام وبينها وبين الطائف ستة أيام ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٧/٢) .

(٥٣) طبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) .

(٥٤) الطبري (٥٩٧/٢) وابن الأثير (١٥٩/٢) وأسد الغابة (٦/٤) ، أما في الإصابة فيذكر مرة أنه استشهد في اليرموك ويذكر أخرى أنه استشهد في معركة اجنادين ، انظر الإصابة (٤/٢٥٨) . أما في طبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) والاستيعاب (١٠٨٣/٣) فيذكر أنه استشهد في اجنادين . وارجح أنه استشهد في اليرموك لأنها حدثت سنة ثلاث عشرة للهجرة أما اجنادين فقد اختلفت الروايات في وقت حدوثها ، فمنهم من يحملها في حوادث سنة ثلاث عشرة ، ومنهم من يحملها في حوادث سنة خمس عشرة !

(٥٥) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

(٥٦) الإصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٦/٤) .

القائد :

كان عكرمة فارساً مشهوراً (٥٧) شجاعاً مقداماً ، أثبت شجاعته وإقدامه في كل معركة خاضها ، كما كان قائداً مجرباً حيث قاد كثيراً من المعارك في الجاهلية والاسلام .

والظاهر أنه لم يكن قائداً ناجحاً في معاركه الأولى ، إذ لم يُظهر أي أثر بارز لقيادته في الجاهلية وفي حروب أهل الردّة ضد مسليمة ؛ ولكنه برز قائداً لامعاً بعد فشله في معركة (اليمامة) ضد بني حنيفة ، إذ كان له أثر أي أثر في حروب أهل الردّة الأخرى : في عُمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة ، وفي أرض الشام أيضاً حين أصبح رداءً للمسلمين ، وفي معركة اليرموك الحاسمة بالذات .

ولست ألوم عكرمة في تسرّعه لقتال أصحاب مسليمة مما أدى الى فشله ، إذ أن تسرّعه هذا كان من جراء حرصه الشديد على القضاء على فتنة مسليمة بسرعة قبل أن يستفحل أمرها ويستشري خطرها ؛ ومع ذلك فإن فشل عكرمة هذا أفاد المسلمين ، إذ أدّى الى استهانة مسليمة بالمسلمين وأدّى الى غروره واعتقاده بأنه لا يغلب !! وهذا سهّل مهمة خالد بن الوليد في تحطيم بني حنيفة فيما بعد !! لأن الغرور ركبهم فلم يعدوا كافة متطلبات القتال .

لقد كان قائداً عقائدياً يقاتل من أجل مبدأ يؤمن به ، ولم يكن في كل حياته قائداً مرتزقاً يميل مع الريح من أجل مغنم مادية ؛ وكان في كل معاركه قائداً : إذا لم يؤمّره مرجعه الأعلى أمّر هو نفسه بأفعاله المشرفة من شجاعة وإقدام وتضحية بالمال والنفس .

إنه كان قائداً له قابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح ، ذا إرادة

(٥٧) الاستيعاب (١٠٨٢/٣) .

قوية ثابتة وشخصية نافذة قوية ، له نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، يتمتع بمزية سبق النظر ومعرفة نفسيات مرووسيه وقابلياتهم ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، له قابلية بدنية ممتازة ، وماضيه بعد الاسلام ناصع مجيد .

وكان قائداً تعرضياً سريع الحركة والتنقل ، وبذلك يباغت عدوه بالمكان والزمان .

عكرمة في التاريخ :

يذكر التاريخ لعكرمة جهاده المشرف في حروب اهل الردة خاصة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة .

ويذكر له موقفه الحازم في حماية انسحاب المسلمين بعد اندحارهم أمام الروم في معركة (مرج الصفر) ، مما حرم الروم من مطاردة المسلمين وتكبيدهم خسائر فادحة بالأرواح .

ويذكر له بذله ماله وروحه في سبيل عقيدته ، وكأنه بذلك أراد أن يكفر عن ذنوبه الماضية على الرغم من أن الاسلام يتجّب ما قبله .

إن صرخته في أخرج ساعات (اليرموك) : « من يبايعني على الموت » وتضحيته وتضحية أكثر رجاله بأرواحهم لإحراز النصر ، كان له أكبر الأثر في انتصار المسلمين على الروم في معركة (اليرموك) الحاسمة ، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشام للفتاحين من العرب المسلمين .

رضي الله عن الراكب المهاجر ، المجاهد الصادق ، الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، عكرمة بن أبي جهل المخزومي .

قادر فتح لبنان الأشمر

١ - يزيد بن أبي سفيان الأموي .

٢ - سفيان بن مجيب الأزدي .

يزيد بن أبي سفيان الأموي

فاتح لبنان الأشم

سلامه :

هو يزيد بن أبي سفيان^(١) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي^(٢) ، يكنى : أبا خالد^(٣) . أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (حنيناً) ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الابل وأربعين أوقية^(٤) وزنها له بلال بن رباح الحبشي^(٥) .

(١) أبو سفيان صخر بن حرب الأموي القرشي : والد يزيد ومعاوية وعتبة ، ولد قبل الفيل بعشر سنين ، وكان من أشرف قريش ومن أفضلها رأياً واليه رايها في الجاهلية . أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (حنيناً) . وقد حسن اسلامه على أصح وأوثق الروايات وبشهادة سعيد بن المسيب العالم الزاهد اذ قال : « فقدت الاصوات يوم اليرموك الا رجل واحد يقول : يا نصر الله اقرب ؛ والمسلمون يقتتلون هم والروم ، فذهبت أنظر فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد » . فقتل عينه يوم الطائف وفتت عينه الاخرى يوم اليرموك ، ومات في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين وقيل ابن بضع وتسعين ، ودفن بالبقيع .

كان في الجاهلية يشتغل بالتجارة ، وكان قصيراً سمياً ذا هامة عظيمة . راجع الاصابة (٢٣٧/٣) وأسد الغابة (١٢/٣) والاستيعاب (١٦٧٧/٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والاصابة (٣٤١/٦) والاستيعاب (١٥٧٥/٤) .

(٣) الاصابة (٣٤١/٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والاستيعاب (١٥٧٥/٤) .

(٥) بلال بن رباح الحبشي : مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يمدبه المشركون على التوحيد ، فكان أمية بن خلف يخرجها اذا حميت الظهيرة فيطره على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة لتوضع على صدره ، ثم يقول أمية : « لا يزال بلال على ذلك حتى يموت »

كان أفضل بني أبي سفيان ، وكان يقال له : يزيد الخير ^(٦) ، وكان من فضلاء الصحابة ^(٧) ولم يزل يُذكر بخير ^(٨) . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على (تيماء) ^(٩) ، وكان أحد من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ^(١٠) ؛ وهذا يدل على أنه حسن اسلامه وأصبح موضع ثقة الرسول القائد ورضاه .

جهاده :

أمّر أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه ، فيهم سهيل بن عمرو ^(١١) في أمثاله من أهل مكة وشيعته ماشياً

= ويكفر بمحمد » ، فيقول بلال وهو في ذلك : « أحد ... أحد ... » ، فمر به أبو بكر فاشتره بمئة له أسود وأعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . ثم خرج بلال بعد النبي صلى الله عليه وسلم مجاهداً الى أرض الشام ، فلم يزل بها حتى توفي . راجع طبقات ابن سعد (٢٣٢/٣) و (٣٨٥/٧) والاصابة (١٧٠/١) وأسد الغابة (٢٠٦/١) والاستيعاب (١٧٨/١) .

(٦) الاصابة (٢٤١/٦) والاستيعاب (١٥٧٥/٤) والمعارف من (٣٤٥) .

(٧) الاصابة (٣٤١/٦) .

(٨) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) .

(٩) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق . انظر

معجم البلدان (٤٤٢/٢) وانظر حول تولية يزيد تيماء من (٢٣) من جوامع السيرة لابن حزم .

(١٠) جوامع السيرة لابن حزم من (٢٦) والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣) .

(١١) سهيل بن عمرو القرشي العامري : كان أحد الاشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية .

أمر يوم بدر كافراً ، وكان خطيب قريش ، فقال عمر : « يا رسول الله ! انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً ابداً » ، فقال صلى الله عليه وسلم : « دعه فمضى أن يقوم مقاماً تحده » ، فكان مقامه في ذلك أنه لما ماج أهل مكة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتد من العرب من ارتد ، قام سهيل بن عمرو خطيباً ، فقال : « والله اني اعلم ان هذا الدين سيبتد امتداد الشمس في طلوعها الى غروبها ، فلا يفرنكم هذا من انفسكم ... الخ » .

وكان بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة ، وقد خرج بجماعة أهله الى الشام مجاهداً حتى ماتوا كلهم هناك ، وقد استشهد باليرموك رضي الله عنه . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) والاصابة (١٤٦/٣) وأسد الغابة (٣٧١/٢) والاستيعاب (٦٦٩/٢) .

وأوصاه (١٣) ، وقال أبو بكر لأمرأء الشام : « اذا اجتمعتم على قتال ، فأمركم أبو عبيدة بن الجراح وإلا فيزيد بن أبي سفيان » ، وكان مع يزيد في أول الامر ثلاثة آلاف رجل فلم يزل أبو بكر يتبع أمرأء الشام الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة رجل ، وكان هدف يزيد دمشق كما كان لكل أمير من أمرأء الشام هدف ثابت معلوم (١٤) .

وتحرك يزيد على رأس جيشه باتجاه هدفه في أرض الشام ، فسلك طريق (التبوكية) (١٤) ، وفي الطريق علم بأن الروم جمعاً

(١٢) الطبري (٥٨٨/٢) وابن الاثير (١٥٤/٢) وطبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) ، ونص وصية أبي بكر ليزيد هي : « اني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله ، فانه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهره ، وان أول الناس بالله أشدهم تولى له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً اليه بعمله . وقد وليتك عمل خالك ، فإياك وعيبة الجاهلية فان الله ييغضها ويغض أهلها ، واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وأبدأهم بالخير وعدهم إياه ، واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لاوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ، واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكري وهم جاهلون به ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك ، وانزلهم في ثروة عسكري وأمنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ، ولا تجعل شرك لملائيتك فيخلط أمرك ، واذا امتشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك ، واسمر في الليل مع أصحابك تأتلك الاخبار وتكشف عندك الاستار ، وأكثر حرمك وبددهم في عسكري وأكثر مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك . فمن وجدته غفل عن محرمه فأحسن أدبه وعاقبه في غير افراط وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الاولى أطول من الأخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلج فيهما ولا تسرع اليها ولا تغفل مدفاً ، ولا تنفل عن أهل عسكري فتفسده ولا تجس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بملائيتهم ، ولا تجالس المبائين وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر ، وستجدون اقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له » انظر ابن الاثير (١٥٥/٢) وانظر نص وصية أخرى في فتوح الشام للواقدي (٤/١) .

(١٣) البلاذري ص (١١٦) .

(١٤) انظر الطبري (٥٨٩/٢) ، وقد جاء في البلاذري ص (١١٦) : « أن أبا بكر أمر يزيد بن أبي سفيان أن يسلك طريق تبوك » ، والتبوكية هي تبوك ، وتبوك : موضع بين وادي القرى والشام . =

(بالعربية) (١٥)، فوجّه اليهم أبا أمامة الباهلي فهزّمهم ، فكان هذا القتال أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد (١٦).

واجتمع الى أبي بكر ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان وأمره باللاحق بأخيه يزيد ، فلما مرّ بخالد بن سعيد بن العاص فصل عنه بباقي أصحابه (١٧) ، وبذلك ازداد عدد جيش يزيد .

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام ، حتّى أرسل (هرقل) جيوشه باتجاه جيوش المسلمين (١٨) ، لتضعف كل فرقة من المسلمين عن يلازمتها من الروم ، فأرسل القائد (جرجة) (١٩) الى يزيد ، فهاجهم المسلمون وكانوا عمرو بن العاص : ما الرأي ؟ فأجابهم : « ان الرأي لثلاثا الاجتماع ، فان مثلنا اذا اجتمعنا لا تغلب من قلّة ، فان تفرّقنا لا تقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدونا » ، وكتبوا الى ابي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال : « ان مثلكم لا يؤتّى من قلّة ، وانما يؤتّى العشرة آلاف من الذنوب ، فاحترسوا منها ! فاجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل واحد منكم بأصحابه » ، فاجتمع المسلمون باليرموك كما اجتمع الروم بها أيضاً (٢٠) . وبذلك فوّت المسلمون باجتماعهم فرصة ضربهم متفرقين .

وفي معركة اليرموك الحاسمة ، كان يزيد على الميسرة المؤلفة من

= راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٥/٢) .

(١٥) عربية : موضع في أرض فلسطين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٣٨/٦) ، وتقع قرب العقبة في الأردن في حدودها الحالية .

(١٦) ابن الاثير (١٥٥/٢) والبلاذري ص (١١٧) ومعجم البلدان (١٣٨/٦) .

(١٧) ابن الاثير (١٥٥/٢) .

(١٨) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٥/٢) والبلاذري ص (١١٥) .

(١٩) يسميه العرب : جرجه ، واسمه : جورج ، وهو أحد قادة الروم البارزين أسلم يوم

(اليرموك) راجع الطبري (٥٩٦/٢) وابن الاثير (١٥٧/٢) .

(٢٠) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

كراديس (٢١) ؛ فكان له أثر فعال في انتصار المسلمين على الروم في هذه المعركة .

وشهد فتح (بُصرى) مع أبي عبيدة وخالد بن الوليد وشرحبيل ابن حسنّة (٢٢) كما شهد فتح دمشق ، فاستخلفه أبو عبيدة عليها عندما سار الى (فحل) (٢٣) ، فسار يزيد بدوره لفتح بلاد ساحل دمشق ، ففتح مدينة (صَيْدَاء) (٢٤) ، و (عِرْقَة) (٢٥) و (جُبَيْل) (٢٦) و (بَيْروت) ، وكان على مقدمته أخوه معاوية ، ففتح هذه البلاد بسهولة ويسر (٢٧) .

وصدّ يزيد هجوماً رومياً كان يهدف الى استعادة (دمشق) ، فقد أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد لضرب جيش الروم القاصد دمشق ، فضربه خالد من الخلف واستقبله يزيد من الأمام ، فلم يفلت من الروم الا الشريد (٢٨) .

وكتب عمر بن الخطاب الى يزيد أن يوجّه أخاه معاوية إلى (قَيْسَارِيَّة) (٢٩)

(٢١) الطبري (٥٩٣/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

(٢٢) ابن الاثير (١٦٠/٢) .

(٢٣) ابن الاثير (١٦٥/٢) والبلاذري ص (١٢٧) .

(٢٤) صيداء : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ست فراسخ . راجع معجم البلدان (٤٠٣/٥) .

(٢٥) عرقّة : بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ . راجع معجم البلدان (١٥٥/٦) .

(٢٦) جبيل : بلد في سواحل دمشق ، شرقي بيروت وعلى ثمانية فراسخ من بيروت . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥٩/٣) .

(٢٧) ابن الاثير (١٦٧-١٦٨) والبلاذري ص (١٣٣) وفي البلاذري ص (١٣٢) ان يزيداً سار الى عمان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بصرى وغلب على أرض البلقاء .

(٢٨) ابن الاثير (١٩٠/٢) .

(٢٩) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن ، واسعة الرقعة طيبة البقعة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩٥/٧) .

ليفتحها فسار معاوية وحصر أهلها ، فجعلوا يراحفونه فيهمزهم ويردّهم الى حصونهم ؛ فلما طال ذلك بهم خرجوا يقاتلونه مستميتين ، فقتل عليهم حتى كانت قتلهم في المعركة ثمانين ألفاً بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألفاً (٣٠) .

الانسان :

ولتى أبو بكر يزيداً على دمشق أولاً (٣١) ، أما عمر بن الخطاب فولاه فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام (٣٢) ، ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل على أرض الشام فلما مات معاذ استخلف عليها يزيد (٣٣) ، وقد علمنا أنه كان من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ استعمله على (تيماء) (٣٤) ، مما يدل على انه كان موضع ثقة الرسول الاعظم والشيخين من بعده .

لقد كان أفضل بني أبي سفيان ، وكان يقال له : يزيد الخير ، وكان من فضلاء الصحابة ، وكان ورعاً تقياً نقياً عاقلاً حليماً دمث الأخلاق محمود السيرة — وهذه المزايا الكريمة هي التي قدّمته بسرعة الى المناصب الرفيعة بالرغم من تأخر اسلامه عن السابقين الأولين .

وكان جميل الصورة ، يرفقه عن نفسه فيأكل ألوان الطعام (٣٥) ، ويقدم طعامه النفيس لضيوفه ولذوي الحاجة .

وكان يحسن القراءة والكتابة (٣٦) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه

(٣٠) الطبري (١٠٠/٣-١٠١) وابن الاثير (١٩٢/٢) والبلاذري ص (١٤٥-١٤٦) .

(٣١) البلاذري ص (١١٦) .

(٣٢) البلاذري ص (١٤٦) والاستيعاب (١٥٧٥/٣) .

(٣٣) البلاذري (١٤٥) والاستيعاب (١٥٧٦-١٥٧٥/٣) والاصابة (٣٤١/٦) .

(٣٤) جوامع السيرة ص (٢٣) والاصابة (٣٤١/٦) .

(٣٥) الاصابة (٣٤١/٦) .

(٣٦) جوامع السيرة لابن حزم (٢٦) والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣) .

وسلم وعن أبي بكر الصديق ، كما روى عنه بعض الصحابة (٣٧) ،
وقد توفي سنة ثمان عشرة (٦٣٩ م) بطاعون عمّواس (٣٨) ، ودفن
بدمشق (٣٩) ، وقد اندثرت معالم قبره ولم يبق له أثر . ولا عقب له (٤٠) .

القائد :

قاد يزيد مجاهدي مكة وأكثرهم من قریش وبعضهم من ساداتها في
معارك أرض الشام ، وتوليته على هذه الكتلة البشرية التي كانت تضم كثيراً
من كان لا يزال يعتد بحسبه ونسبه ، دليل على قوة شخصيته وقابليته على
السيطرة وثقة الناس به .

وقد أثبتت الحوادث الحربية فيما بعد أنه كان حرياً بكل هذه الثقة ،
إذ أنه نجح في قيادته ، فلم يفشل في أية معركة خاضها منذ نشب القتال
بين المسلمين والروم في أرض الشام حتى توفاه الله وهو يجاهد الروم في
أرض فلسطين .

لقد اشتبكت قواته بالروم (بالعربة) ، فكان اشتباكه هذا أول قتال
بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ، وكان لانتصاره على الروم أثر كبير على
رفع معنويات المسلمين من جهة وتحطيم معنويات الروم من جهة
أخرى . وكان على (الميسرة) في معركة اليرموك ، فكان أحد ستة قادة (٤١)

(٣٧) الإصابة (٣٤١/٦) .

(٣٨) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والإصابة (٣٤١/٤) والاستيعاب (١٥٧٦/٣) والبلاذري
ص (١٤٦) والمعارف ص (٣٤٥) .

(٣٩) البلاذري (١٤٦) و (١٤٨) .

(٤٠) المعارف ص (٣٤٥) .

(٤١) القادة الستة هم : ١ - القائد العام ٢ - قائد المقدمة ٣ - قائد المؤخرة ٤ - قائد الميمنة
٥ - قائد الميسرة ٦ - قائد القلب .

لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين بهذه المعركة الحاسمة في التاريخ .
وقد كان ليزيد أثر في فتح (بصرى) ودمشق ، وكان هو القائد المسؤول
عن فتح صيدا وعرقه وجبيل وبيروت .

ولما أراد الروم استعادة (دمشق) وحشدوا لهذه الغاية أضخم قوة وأقدر
قادة ، أعطاهم يزيد بمساعدة خالد بن الوليد درساً قاسياً جعلهم يحسبون
للمسلمين ألف حساب قبل أن يقدموا على محاولة استعادة جزء من أرض
الشام .

وكان الغرض من اقدامه على فتح قيسارية — وهي ثغر جليل الخطر حصين
الموقع تحميه قوة كبيرة من الروم — هو حرمان الروم من ارسال الامدادات
الى قائدهم (أرطوبون) من البحر عن طريقها ، وكان أرطوبون يخوض حينذاك
معركة حياة أو موت ضد قوات المسلمين بقيادة عمرو بن العاص ؛ وبذلك
استطاع المسلمون دحر الروم بسهولة فتقرر مصير فلسطين لأجيال
وأجيال .

إن أسباب انتصارات يزيد ، تعود لمزايا قيادته الحكيمة الرصينة ، فقد كان
ذكياً ألمعي الذكاء فكانت قراراته صائبة ، وكان ذا ارادة قوية وشخصية
نافذة ، يتحمل المسؤولية برحابة صدر ، يتمتع بمزية سبق النظر ، يحب
رجالاه ويثق بهم ويحبونه ويثقون به ، وله سمعة طيبة وماض مجيد .

وكان قائداً (تعرضياً) ينجز (تحشد قوته) قبل الاقدام على عمل حربي
ويفكر كثيراً في اعداد خططه فتكون مثالية في أغلب الأحيان ، وكان (يقتصد
بقوته) ولا يُقدّم خسائر فادحة في معاركه دون مبرر .

ولست أشك أن سمعته إنساناً طيباً يتمتع بمزايا الخلق الكريم ، كانت من
أسباب انتصاراته ، إذ سبقته سمعته الطيبة الى عدوه ، ففتح بهذه السمعة
الطيبة قلوب أعدائه قبل ان يفتح بلادهم .

يزيد في التاريخ :

يذكر التاريخ ليزيد ، أنه كان أحد القادة المعبودين الذين كان لهم أثر عظيم في انتصار المسلمين على الروم في أرض الشام .
ويذكره بصورة خاصة أنه فتح ساحل دمشق أو ما يسمى في الوقت الحاضر : (لبنان) .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الحكيم ، يزيد بن أبي سفيان الأموي .

سُفْيَانُ بْنُ مَجِيبٍ الْأَزْدِيُّ^(١)

فاتح طرابُلُس^(٢)

إسلامه :

كان سُفْيَانُ بْنُ مَجِيبٍ الْأَزْدِيُّ من قدماء الصحابة^(٣) وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع^(٤) ، لذلك فمن المؤكد أنه شهد تحت لواء الرسول القائد كثيراً من الغزوات على الرغم من سكوت المؤرخين عن ذلك ؛ وبهذا نال سُفْيَانُ شرف الجهاد وشرف الصحبة .

جهاده :

جاهد سُفْيَانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ جهاداً مشرفاً استحق عليه أن يكافأ بتوليته قيادة الرجال ، فلما استخلف عثمان بن عفان وجمع لمعاوية بن أبي سُفْيَانَ أَرْضَ الشَّامِ ، وجّه معاوية سُفْيَانَ إِلَى طَرَابُلُسَ وهي ثلاثة مدن مجتمعة ، فبنى في مرج على أميال منها حصناً سمي : حصن سُفْيَانَ ، وقطع المادة عن أهل

(١) ورد اسمه سُفْيَانُ بْنُ مَجِيبٍ الْأَزْدِيُّ فِي ابْنِ الْأَثِيرِ (١٦٥/٢) وَفِي الْبَلَاذِرِيِّ ص (١٣٣) وَقَدْ أَخَذْنَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ الْأَسْمُ الْمَشْهُورُ فِي مَوَاصِرِ التَّارِيخِ . أَمَّا فِي الْإِصَابَةِ (١٩٧/٣) فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ اسْمَهُ سُفْيَانُ بْنُ مَجِيبٍ وَيُقَالُ إِنَّ اسْمَهُ نَفِيرٌ ، أَمَّا فِي الْإِسْتِيعَابِ (١٥١٠/٤) فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ اسْمَهُ نَفِيرٌ ابْنُ مَجِيبٍ وَيُقَالُ أَنَّ اسْمَهُ سُفْيَانُ بْنُ مَجِيبٍ . أَمَّا فِي أَسَدِ الْغَابَةِ (٣٢١/٢) فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ اسْمَهُ سُفْيَانُ ابْنُ مَجِيبٍ أَوْ نَفِيرٌ بْنُ مَجِيبٍ . وَفِي تَهْذِيبِ ابْنِ عَسَاكِرَ (١٨٣/٦) وَرَدَّ اسْمَهُ : سُفْيَانُ بْنُ بَحْتِ الْأَزْدِيِّ .

(٢) طَرَابُلُسُ : مَدِينَةٌ مِنْ ثَلَاثِ مَدَنٍ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ ، عَلَيْهَا سُورٌ صَخْرِيٌّ جَلِيلٌ الْبَنِيَانُ . رَاجِعِ التَّفَاصِيلَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (٣٤/٦) .

(٣) الْإِسْتِيعَابُ (١٥١٠/٤) وَتَهْذِيبُ ابْنِ عَسَاكِرَ (١٨٣/٦) .

(٤) الْإِصَابَةُ (١٠٧/٣) .

طرابلس من البحر والبر وحاصرههم ، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا الى ملك الروم يسألونه أن يمددهم بالقوات أو يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها ، فوجه اليهم بمراكب كثيرة ركبوها ليلاً وهربوا .

وأصبح سفيان ، وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغتو على العدو ، فوجد الحصن الذي كان فيه أهل طرابلس خالياً ، فدخله وكتب بالفتح الى معاوية (٥) .

الإنسان :

تولى سفيان (بَعْلَبَك) ، وقد كان مقرباً من معاوية بدليل أنه زوّجه حفصة بنت أمية بن حرب (٦) وقد سكت المؤرخون عن أعماله العامة الأخرى ، فلا نعرف عنها شيئاً .

لقد كان تقياً ورعاً ، صادقاً وفياً ، شهماً غيوراً ، وكان شريفاً في الجاهلية وشريفاً في الاسلام ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً (٧) .

القائد :

كانت طرابلس مدينة حصينة ، وكان المدافعون عنها يتصلون بالروم عن طريق البحر الذي كان الروم متفوقين فيه على المسلمين بأساطيلهم ، اذ لم يكن لدى المسلمين حينذاك أسطول قوي ينافس الاسطول الرومي ، لذلك استطاع الروم الصمود فيها طويلاً ، فكان على المسلمين أن يصبروا طويلاً على متطلبات الحصار .

(٥) ابن الاثير (١٦٥/٢) والبلاذري ص (١٣٣) وانظر تهذيب ابن عساكر (١٨٤/٦) .

(٦) الاصابة (١٠٨/٣) .

(٧) أساء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص

(٣١١) وتهذيب ابن عساكر (١٨٣/٦) .

إن الحصار يحتاج الى قائد يتمتع بمزيتي الضبط الشديد والصبر الجميل ، كما يحتاج الى جنود مدربين يتمتعون بالضبط والطاعة ؛ وانتصار المسلمين على الروم بعد حصار طويل يدل على شدة ضبط سفيان ومقدار صبره ، وحسن تدريب رجاله وتكامل ضبطهم .

ولقد أعان سفيان على الروم بناءه حصناً يبيت هو والمسلمون فيه ليلاً ويغدون على العدو نهاراً ، مما جعل المسلمين يصبرون على الحصار الطويل بسهولة ويسر .

ان تفكير سفيان ببناء هذا الحصن دليل على تمتعه بقابليات ادارية ممتازة ، وعمله هذا يصعب انجازه في العصر الحاضر ، فكيف انجزه سفيان في تلك الايام ؟ لقد كان يتمتع بعقلية منزنة وتفكير صائب ، لذلك كانت قراراته صحيحة ، وكان ذا شخصية قوية وإرادة صلبة ، لا تتبدل نفسيته في حالتي النصر والاندحار ، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به ، وكان شجاعاً مقداماً ذا ماض مشرف .

سفيان في التاريخ :

يذكر التاريخ لسفيان أنه فاتح طرابلس الشام ، تلك المدينة التي كان يسكنها الروم واليهود ، فأصبحت معقلاً من معاقل العروبة والاسلام .

ويذكر له أنه أول قائد عربي مسلم فكّر بإنشاء حصن يلجأ اليه المسلمون ليلاً فيأمنون فيه غائلة التقلبات الجوية ومباغطة العدو لهم ، كما أن هذا الحصن حطم معنويات الروم ، لأنهم يشعرون من نزوح المسلمين عنهم قبل فتح مدينتهم الحصينة .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المجاهد الصابر ، القائد الفاتح سفيان بن مجيب الأزدي .

قادة فتح الأردن

- ١ - شرحبيل بن حسنة الكندي .
- ٢ - خالد بن الوليد المخزومي ^(١) .
- ٣ - ابو عبيدة بن الجراح الفهري ^(٢) .
- ٤ - عمرو بن العاص السهمي ^(٣) .

(١) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧-٢٠٩) .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص (٥٤ - ٨١) .

(٣) انظر ترجمته في هذا الكتاب في باب : فتح فلسطين .

شرح حجيل بن حسنة الكندي

فاتح الأردن (١)

نسبه :

هو شَرْحِجِيلُ بن حَسَنَةَ بن عبد الله بن المطاح بن عمرو بن كندة حليف بني زهرة ، ويكنى أبا عبد الله (٢) ، وأمه حَسَنَةُ ، فغلب عليه اسم أمه ، لأن والده مات وهو صغير فبقي في حجرها حتى بعد زواجها (٣) . وشرحجيل من أهل اليمن (٤) .

إسلامه :

أسلم شرحجيل قديماً بمكة ، وهو من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية ، وكان من عليّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه عدّة غزوات (٥) ؛ وبذلك نال شرحجيل شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت

(١) الأردن : سميت باسم نهر الأردن . أكبر مدنها طبرية وأريحا وبيسان وصور ... الخ . راجع المسالك والممالك للأصطخري ص (٤٤-٤٥) ومعجم البلدان (١٨٥/١) وآثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني ص (١٤١) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٧/٤) و (٣٩٣/٧) وفي الاستيعاب ص (٣٢٥) : ان عبد الله ابن المطاع لا المطاح ، وكذلك في تهذيب ابن عساكر (٢٩٩/٦) وشدرات الذهب (٣٠/١) . (٣) تزوجت من سفيان بن معمر الانصاري . راجع الاصابة (١٩٩/٣) وأسد الغابة (٣٩١/٢) والاستيعاب (٦٩٨/٢) وانظر شدرات الذهب (٣٠/١) .

(٤) المعارف ص (٣٢٥ و ٤٢٩) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣٩٣/٧) . وانظر سيرة ابن هشام (٣٥٠/١) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٦١) عن هجرته الى الحبشة . وانظر تهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦) وشدرات الذهب (٣٠/١) .

لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ - في حرب أهل الردة :

بعث أبو بكر الصديق عكرمة بن أبي جهل على رأس جيش الى مُسَيْلَمة الكذاب ، ثم بعث شرحبيل في إثر عكرمة ^(٦) ، ولكن عكرمة عجل بلقاء عدوه ليكون له وحده فخر القضاء على مسيلمة ، فكان نصيبه الفشل من جرّاء تعجّله هذا ^(٧) .

وأقام شرحبيل في الطريق ، فوصله كتاب أبي بكر يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره ، ثم كتب اليه قبل أن يوجّه خالد بن الوليد الى اليمامة بأيام : « اذا قدم عليك خالد ثم فرغتم إن شاء الله ، فالحق بقضاعة ، حتى تكون وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف » ^(٨) ، غير أن شرحبيل عجل هو الآخر بلقاء عدوه ، فنكب كما نكب عكرمة قبله ، فلامه خالد بن الوليد على تعجّله لما قدم عليه ^(٩) .

وسار خالد نحو مسيلمة ، وتولى هو بنفسه قيادة المقدمة ومعه شرحبيل ^(١٠) فكان شرحبيل على رأس قوات المسلمين الأولى التي اصطدمت بقوات مسيلمة من بني حنيفة وحلفائهم في (عقرباء) ^(١١) حيث أبلى في هذه المعركة أعظم البلاء .

(٦) الطبري (٤٨٠/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .

(٧) الطبري (٥٠٤/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .

(٨) الطبري (٥٠٤-٥٠٥) .

(٩) الطبري (٥٠٢/٢) وابن الاثير (١٣٨/٢) .

(١٠) الطبري (٥٠٨/٢) .

(١١) عقرباء : منزل من أرض اليمامة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩٣/٦) .

٢ - في أرض الشام :

الظاهر أن شرحبيل بقي مع خالد بن الوليد بعد معركة اليمامة التي تمّ القضاء بها على فتنة مسيلمة ورافقه الى العراق وشهد معه كافة معاركه في العراق خلال سنة اثنتي عشرة للهجرة (١٢) ؛ فلما قدم شرحبيل من عند خالد الى أبي بكر وافداً ، أمره أبو بكر بالشام وندب معه الناس (١٣) ، وبذلك تولى قيادة أحد جيوش المسلمين في الشام سنة ثلاث عشرة للهجرة (١٤) .

كان مع شرحبيل ثلاثة آلاف رجل سلك بهم طريق (تبوك) (١٥) ، فلم يزل أبو بكر يمد أمراءه في الشام بالرجال ، حتى صار مع شرحبيل سبعة آلاف وخمسمائة رجل وكان أبو بكر قد ولّاه الأردن (١٦) .

وما كادت جيوش المسلمين تصل الشام ، حتى أرسل (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين (١٧) ؛ ليشغل جيوش المسلمين عن بعض ، وحتى يحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم ، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمن يلازمها من الروم (١٨) ؛ ولكن قادة المسلمين فوتوا على (هرقل) هذه الفرصة ، إذ كتبوا الى عمرو بن العاص يسألونه الرأي ، فكانتهم بالاجتماع في (اليرموك) (١٩) ، وأيد أبو بكر هذا الرأي (٢٠) .

(١٢) ورد ذكر شرحبيل في معركة عين التمر . راجع الطبري (٥٧٧/٢) .

(١٣) الطبري (٥٨٩/٢) وابن الاثير (١٥٥/٢) والبلاذري ص (١١٥) .

(١٤) الطبري (٥٨٩/٢) .

(١٥) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو بين الحاجر وأول الشام على أربع مراحل من الحاجر نحو نصف طريق الشام ، وهو حصن به عين ونخل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٥/٢) .

(١٦) البلاذري ص (١١٦) .

(١٧) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٥/٢) .

(١٨) ابن الاثير (١٥٥/٢) .

(١٩) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن . راجع التفاصيل في

معجم البلدان (٥٠٤/٨) .

(٢٠) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

وفي معركة (اليرموك) الحاسمة ، كان شرحبيل أحد مائة من أبطال المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اختارهم خالد فدائيين : كل فارس منهم يرد جيشاً (٢١) ، حتى يؤثر بهؤلاء المغاوير على معنويات الروم ، في ابتداء نشوب القتال . وفي هذه المعركة تولى شرحبيل قيادة أحد كراديس الميمنة (٢٢) وكان له أثر مرموق في انتصار المسلمين على الروم .

وشهد بعد ذلك فتح (بُصْرَى) (٢٣) صلحاً مع خالد بن الوليد وأبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان (٢٤) ؛ ثم ساروا جميعاً الى فلسطين مدداً لعمر بن العاص ، فزلوا (أجنّاديين) (٢٥) ، وهناك التقى الطرفان ، فتغلب المسلمون على الروم (٢٦) .

٣ - الفاتح :

سار أبو عبيدة الى (فِجَل) (٢٧) وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى الناس شرحبيل ، وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمر بن العاص . وكان أهل (فجل) قد قصدوا (بَيْسَانَ) (٢٨) وفجروا مياه المنطقة فأصبحت مغمورة بالمياه موحلة ؛ وبعد حصار دام طويلاً هجموا على المسلمين فاقتتلوا أشد

(٢١) فتوح الشام للواقدي (١٢٠/١) .

(٢٢) الطبري (٥٩٣/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

(٢٣) بصرى : مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٨/٢) .

(٢٤) ابن الاثير (١٦٠/٢) .

(٢٥) أجنّادين : موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ، قرية من الرملة من كورة بيت جبرين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٢/١) .

(٢٦) ابن الاثير (١٦٥/٢) .

(٢٧) فجل : اسم موضع بأرض الشام في ناحية الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٠/٦) .

(٢٨) بيسان : مدينة بالأردن بالقرب الشامي . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٣١/٢) .

قتال ليلتهم ويومهم الى الليل ، فلما جنّ الليل هُزموا فضلّوا الطريق ، فأُسلمتهم هزيمتهم الى الوحل ، فلم يفلت منهم إلا الشريد (٢٩) .

لقد كان الفضل في تحطيم هجوم الروم المفاجيء يعود الى قيادة شرحبيل الذي كان لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبئة (٣٠) ، إذ لولا حذره الشديد لأدّى هجوم الروم المباغت الى عواقب وخيمة على المسلمين .

ولما فرغ شرحبيل من معركة (فحل) سار بالناس ومعه عمرو بن العاص الى (بيسان) ، فتحصّن أهلها ، فحاصروهم شرحبيل أياماً ، حتى خرج أهل بيسان فقاتلوا المسلمين ولكنهم دُحروا ، فصالح شرحبيل بقية أهلها على مثل صلح دمشق (٣١) .

وبلغ أهل (طَبَرِيَّة) (٣٢) خبر بيسان ، فصالحوا شرحبيل على مثل صلح دمشق (٣٣) ، وبذلك أكمل شرحبيل فتح الاردن (٣٤) .

الإنسان :

كان شرحبيل من عِليّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٥) ، وقد أوفده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر رسولاً فمات النبي صلى

(٢٩) الطبري (٦٢٨/٢-٦٣٠) وابن الاثير (١٦٥/٢) .

(٣٠) الطبري (٦٢٩/٢) وابن الاثير (١٦٥/٢) .

(٣١) الطبري (١٦٦/٢) وابن الاثير (١٦٦/٢) ، وشروط الصلح : مشاطرة المسلمين أهلها المنازل في المدائن وما أحاط بها بما يصلها ، فيدعون لهم نصفاً ويجمعون في النصف الآخر . وعن كل رأس دينار كل سنة ، ... الخ .

(٣٢) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها وهي من أعمال الأردن في طرف النور . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٣/٦) .

(٣٣) الطبري (٦٣٠/٢) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٠٠/٦) .

(٣٤) البلاذري (١٢٣) وانظر جمل فتوح الاسلام لابن حزم - ملحق بجموع السيرة ص

(٣٤١) ومعجم البلدان (١٨٦/١) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٣٩٣/٧) .

الله عليه وسلم وشرحبيلى بمصر (٣٦) ، وكان معدوداً من وجوه قرىش (٣٧) ، قدّمه قدم اسلامه وما بذله من جهد في سبيل عقيدته وايمانه الراسخ . وكان صريحاً لا يخشى في الحق أحداً ، فقد خطب عمرو بن العاص لما انتشر مرض الطاعون بالشام ، فقال : « إن هذا الطاعون رجس ، فتفرّقوا في هذه الشعاب وفي هذه الأودية » ، فبلغ ذلك شرحبيلى فغضب ، وجاء وهو يجرّ ثوبه معلقاً نعله بيده ، فقال : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو أضل من حمار أهله ، ولكنه (يريد الطاعون) رحمة ربكم ودعوة نبيكم ووفاة الصالحين قبلكم » أخرجه الثلاثة (٣٨) ، وهذا دليل على شدة صراحته حتى انه ليجابه أمير البلاد بمثل هذه الصراحة المتطرفة وهذا القول العنيف (٣٩) .

لقد كان مؤمناً صادق الايمان ، تقياً نقياً ورعاً مأمون النقية ، كريماً مضيافاً شهماً غيوراً ، له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤٠) ، وكان يحسن القراءة والكتابة لأنه من كتّاب الوحي (٤١) ، وقد توفي بالطاعون سنة ثمانى عشرة للهجرة (٦٣٩ م) وله سبع وستون سنة (٤٢) ، أي أنه ولد قبل الهجرة بتسع وأربعين سنة (٥٧٤ م) .

القائد :

كانت قيادة شرحبيلى في أول أمره تتسم بالتسرّع وعدم إعداد كافة متطلبات

(٣٦) تهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦) .

(٣٧) الاستيعاب (٦٩٩/٢) .

(٣٨) أسد الغابة (٣٩١/٢) وانظر تهذيب ابن عساكر (٣٠١/٦) .

(٣٩) لما مات أبو عبيدة استخلف على الشام عمرو بن العاص . راجع ابن الأثير (٢١٦/٢) .

(٤٠) الإصابة (١٩٩/٣) . وفي تهذيب ابن عساكر (٢٩٩/٦) : انه روى حديثاً واحداً فقط .

(٤١) فتوح الشام للوالدي (٦/١) .

(٤٢) طبقات ابن سعد (٣٩٤/٧) والإصابة (١٩٩/٣) وأسد الغابة (٣٩١/٢) والاستيعاب (٦٩٩/٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦) . وفي المعارف ص (٣٢٥) : انه مات وهو ابن أربع وستين سنة . وانظر شذرات الذهب (٣٠/١) حول موته سنة ثمانى عشرة للهجرة .

القتال قبل الاقدام على خوض معركة ما ، ولكنه أخذ درسه في معركة اليمامة عندما تعجّل في مهاجمة مسيلمة الكذاب فنكب من جراء تسرعه هذا ؛ ومن يومها أصبحت قيادة شرحبيل تنسم بالتريث الشديد والحذر والحيلة واليقظة ، فكان لا يسير ولا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة ، وذلك ليحرم العدو من مباغته قوات المسلمين .

لقد أصبح بعد الدرس القاسي الذي تلقاه في اليمامة ، ينجز تحشيد قواته ويكمل أمورها الادارية ويُبعد كافة قضايا الاستطلاع والحصول على المعلومات قبل أن يخوض غمار القتال ، لذلك استطاع فتح الأردن كله بخسائر طفيفة نتيجة لحذره وحرصه الشديد على الأرواح تسفك بدون مبرر .

لقد كان يتحلّى بالعقيدة الراسخة والضبط المتين والشجاعة والإقدام ، له عقلية متزنة وشخصية نافذة وإرادة قوية ، يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به وله ماض مشرف ناصع .

شرحبيل في التاريخ :

يذكر التاريخ لشرحبيل جهاده في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده في حرب الردة في أيام أبي بكر الصديق ، وفتح الأردن كله .

يكفي أن يذكر التاريخ عنه ، أنه فاتح الأردن وأنه كان لجهاده في أرض الشام أثر كبير في اندحار الروم ونشر الاسلام في تلك الربوع .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الانسان ، فاتح الاردن شرحبيل ابن حسنّة الكندي .

قَاكَّةُ فَتْحِ فَلِسْطَيْنِ

- ١ - عمرو بن العاص السهمي .
- ٢ - أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري ^(١) .
- ٣ - أبو أمامة الباهلي .
- ٤ - أبو الأعور السلمي .
- ٥ - معاوية بن أبي سفيان الأموي .

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص (٥٤ - ٨١) .

عمرو بن العاص السلمي

فاتح فلسطين ومصر وليبيا

« أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص »

(حديث شريف)

أهله :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، يكنى : أبا عبد الله^(١) . أبوه هو العاص بن وائل أحد أشراف قريش في الجاهلية وزعيم بني سهم وقائدهم في يوم (الفجار) الثاني قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) . وقد أدرك الاسلام ولم يسلم ، وكان أحد سادات قريش الذين ذهبوا الى ابي طالب يسألونه أن يكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) ، كما كان أحد زعماء قريش الذين حاولوا صد النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته وعرضوا عليه كل المغريات ليكف عنهم^(٤) ، وكان أحد المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم وبأصحابه^(٥) ، وهو الذي كان اذا ذُكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دعوه فانما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحم منه » ، فأنزل الله في ذلك قوله :

(١) طبقات ابن سعد (٤٩٣/٧) والاصابة (٢/٥) وأسد الغابة (١١٥/٤) والانتساب (١١٨٤/٣)

(٢) ابن الاثير (٢١٦/١) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٧٧/١) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣١٥/١) .

(٥) ابن الاثير (٢٦/٢) وسيرة ابن هشام (١٠٦/٢) وجوامع السيرة ص (٥٣) .

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِن شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (٦) ، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم « لو جعل معك يا محمد مَلَكٌ يُحَدِّثُ عَنْكَ النَّاسَ وَيُرِيْكَ مَعَكَ » ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَقَالُوا : لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ) (٧) . ومع ذلك كان يحترم حرية الرأي ، فقد زجر الذين أرادوا سوءاً بعمر بن الخطاب من قريش حين أعلن عمر على الملأ إسلامه قائلاً لهم : « رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خَلَّوْا عَنِ الرَّجُلِ ! » (٨) وهذا يدل على أنه كان عاقلاً يتسم ببعد النظر بالإضافة الى احترامه لحرية الرأي .

وأم عمرو هي سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة ، من بني عَنَزَةَ ، أصابها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهة بن المغيرة ثم اشتراها عبدالله ابن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فأنجبت عمراً (٩) .

وعمر من بني (سهم) ، وهم بطن من عشرة أبطن من قريش انتهى اليها الشرف قبيل الاسلام هم : هاشم وأمية ونوفل وعبد الدار وتيم وأسد ونخزوم وعدي وجمع وسهم (١٠) ، وكان لكل بطن من هذه البطون واجب خاص ، فكان بنو سهم أصحاب الحكومة في قريش ، والحكومة عمل يشبه القضاء بحيث كان يحتكم القرشيون وغيرهم ممن يفد على مكة من العرب الى زعماء بني سهم فيما يقع بينهم من الخصومات ، وهذا يدل على أنهم كانوا أصحاب رأي وحلم ودهاء . وكان لبني سهم ايضاً الرئاسة على الاموال

(٦) سيرة ابن هشام (٤٢١/١) وانظر تفسيرها في الكشف للزخشي (٢٩١/٣) وهي سورة الكوثر (١٠٨ : ١-٣) .

(٧) سيرة ابن هشام (٤٢٣/١) والآية الكريمة من سورة الانعام (٩ : ٨-٩) .

(٨) سيرة ابن هشام (٣٧١/١) .

(٩) أسد الغابة (١١٦/٤) والاستيواب (١١٨٤/٣) .

(١٠) سيرة ابن هشام (١٤٣/١-١٤٤) .

الخاصة بآلتهم ، وهي أشبه شيء بالأوقاف العامة ، وفي قبضة صاحب هذا العمل الاموال المحجرة (كما كانوا يسمونها) يتصرف فيها حسب ما تقتضيه القواعد التي جروا عليها في العمل بأموال أوثانهم .

لقد اشتهر بنو سهم بالغزو والشرف والشعر وفصل الخصومات والكرم واليسار (١١) .

في الجاهلية :

كان عمرو جزاراً (١١) وكان يحترف التجارة أيضاً ، وكان في قافلة فيها أموال لقريش وتجارة وهي التي ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج عليها (١٢) ، فكان خروجهم ذلك السبب المباشر لغزوة (بدر) الكبرى ؛ وكان يسافر بتجارته الى الشام واليمن ومصر والحبيشة . بعثته قريش الى النجاشي صاحب الحبشة ليسلمه جعفر بن أبي طالب وصحبه من المهاجرين الى أرض الحبشة ، فلم يفعل النجاشي (١٣) فبقي المهاجرون في الحبشة بأمان وبذلك فشل عمرو في مهمته هذه .

شهد غزوة (أحد) مع المشركين (١٤) ونظم الشعر متشفياً بهزيمة المسلمين في تلك المعركة (١٥) ، وكان أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦) .

لقد كان عمرو من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم (١٧) وكان فوق ذلك معروفاً بالدهاء وحسن التصرف بين رجالات قريش ، مما

(١١) أنظر تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن (١٠-١١) .

(١١) المعارف (٥٧٥) .

(١٢) سيرة ابن هشام (٢٤٤/٢) وجوامع السيرة لابن حزم (١٠٧) .

(١٣) ابن الاثير (٢٩/٢) وسيرة ابن هشام (٣٥٦/١) وأسد الغابة (١١٦/٤) .

(١٤) سيرة ابن هشام (٦/٣) .

(١٥) أنظر سيرة ابن هشام (١١٠/٣) و (١١٦/٣) .

(١٦) الاستيعاب (١١٩٠/٣) .

(١٧) الاستيعاب (١٨٨/٣) .

أدى الى ارساله سفيراً الى الحبشة لاقناع النجاشي بتسليم المهاجرين من المسلمين الى الحبشة الى المشركين من قريش .

مع النبي :

١ - إسلامه :

أسلم عمرو سنة ثمان للهجرة ، فقد قدم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمراً وصاحبيه قال : « ألفت اليكم مكة أفلاذ كبدها » يعني انهم وجوه أهل مكة (١٨) .

لقد كان عمرو يفكر بالإسلام قبل اعلان اسلامه ، وقد أسلم على يد النجاشي (١٩) ، وكان همّ بالاقبال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حين انصرافه من الحبشة ثم لم يعزم له حتى سنة ثمان للهجرة (٢٠) .

سأل رجل عمراً : « ما أبطأ بك عن الاسلام وانت في عقلك ؟ ! » ، قال : « إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازي حلومهم الجبال . فلما بُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنكروا عليه فلذنا بهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا ، نظرنا وتدبرنا ، فإذا حق بين ، فوقع في قلبي الاسلام ، فعرفت قريش ذلك مني من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا اليّ فتى منهم ، فناظرني في ذلك ، فقلت : أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك ، أنحن أهدي أم فارس والروم ؟ قال : نحن أهدي ؛ قلت : فنحن أوسع عيشاً أم هم ؟ قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلاّ في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء ، وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد عن أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن

(١٨) أسد الغابة (٣/٣٧٢) والاستيعاب (٣/١٠٣٤) .

(١٩) ابن الاثير (٢/٨٧-٨٨) والاصابة (٢/٥) وأسد الغابة (٤/١١٦) .

(٢٠) الاستيعاب (٣/١١٨٦) .

باحسانه والمسيء باساءته حق ، ولا خير في التماذي في الباطل « (٢١) .

قال عمرو : « ثم جعل الاسلام في قلبي ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبأيه ، فقلت : أبسط يمينك أبأبعك يا رسول الله ، فبسط يده ! ثم اني قبضت يدي ، فقال : مالك يا عمرو !؟ فقلت : أردت أن أشرط !؛ فقال : تشرط ماذا ؟ فقلت أشرط أن يغفر لي . فقال : أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رأيتني ما من أحد أحب اليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلّ في عينيّ منه ، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني لإجلاله » (٢٢) .

لقد أسلم عمرو بعد تفكير طويل ، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن إسلامه : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » (٢٣) .

٢ - في ذات السلاسل (٢٤) :

قال عمرو : « ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمت » ، فقد ولّاه قيادة سرية مؤلفة من ثلاثمائة رجل من أشرف المهاجرين والانصار ، لصدّ جمع (قُصّاعة) الذين يريدون أن يهاجموا أطراف المدينة المنورة ؛ فسار عمرو الليل وكمن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا غفيرا ، فاستمد

(٢١) الاصابة (٢/٥) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (٢٥٩/٤) وفتح مصر والمغرب ص (٢٤٣) .

(٢٣) أسد الغابة (١١٧/٤) ورواه الامام احمد (١٥٥/٤) والترمذي (٣١٦/٢) وانظر مقال : الاحاديث الصحيحة للاستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في التمدن الاسلامي ص (٧-٨) في العدد الصادر بالمحرم ١٣٨٢ هـ . من المجلد (٢٩) .

(٢٤) ذات السلاسل : ماء بأرض جذام يقال له السسل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٠٦/٥) وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام . انظر طبقات ابن سعد (١٣١/٢) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواءً وبعث به معه سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر ابن الخطاب وأمره أن يلحق بعمر و أن يكونا جميعاً ولا يختلفا . ولحق أبو عبيدة بعمر فأراد أن يؤم الناس ، فقال عمرو : « إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير » ، فقال أبو عبيدة : لا ، ولكني على ما أنا عليه وانت على ما أنت عليه » ، فقال عمرو : « بل أنت مدد لي ! » ، فقال أبو عبيدة : يا عمرو ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعته » ، فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، وكان عمرو يصلي بالناس ، فسار حتى وطىء بلاد (بليّ) ودونها وأتى الى أقصى بلادهم وبلاد (عُنْرة) و (بَلْتَقَيْن) ؛ ثم لقي جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا ، وبذلك انتهى واجب عمرو ، فقفل راجعاً الى المدينة (٢٥) .

ولما هزم المسلمون أعداءهم طمعوا فيهم ، فأرادوا مطاردتهم ، فحارب عمرو بينهم وبين ذلك . ثم أرادوا أن يوقدوا ناراً يصطلون عليها من البرد ، فمنعهم عمرو أيضاً ، فشق على المسلمين ذلك ولم يَحْتَمِلُوا تلك الشدة التي تهدد بقذف من يوقد النار فيها ، فشكوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه في ذلك ، فقال له عمرو : « كرهت ان آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد » ، فأعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما إعجاب وحمد له رأيه (٢٦) .

٣ - هدم سُواع (٢٧) :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عمرأ الى (سُواع) ،

(٢٥) طبقات ابن سعد (١٣١/٢) وسيرة ابن هشام (٢٩٨/٣) وجوامع السيرة لابن حزم (٢٠) وابن الأثير (٨٨/٢) والطبري (٣١٥/٢) والاستيعاب (١١٨٦/٣) وعيون الأثر لابن سيد الناس (١٥٧/٢) .

(٢٦) السيرة الخلبية (٢٧٣/٣) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٧٢) .

(٢٧) سُواع : صنم كان يرعاه من أرض ينبع كان سدنته بنو لحيان . انظر كتاب الاصنام للكلبي ص (٩) .

صم هُذيل ليهدمه . قال عمرو : « فانتھيت اليه وعنده السادن ، فقال : ما تريد ؟ ، قلت : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه ، فقال : لا تقدر على ذلك ، فقلت : لم ؟ ، فقال : تُمنع ! ، فقلت : حتى الآن أنت في الباطل ! ويحك هل يَسْمَع أو يُبْصِر ! ؛ فذنوت منه فكسرتة وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ، فلم يجدوا فيه شيئاً ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ فقال : أسلمت لله » (٢٨) .

٤ - في عمان (٢٩) :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرأ الى جَيْفَر وعبد (٣٠) ابني الجُلْتَنْدَى ، وهما من الازد وكان جيفر هو الملك ، يدعوهما الى الاسلام ، وكتب معه اليهما كتاباً وختم الكتاب . قال عمرو : « فلما قدمت (عُمان) عمدت الى عبد ، وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك ، فقال : أخي المقدم عليّ بالسن والملك ، وأنا أوصلك اليه حتى يقرأ كتابك . فمكثت أياماً ببابه ، ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعته اليه الكتاب مختوماً ففحص خاتمه وقراه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته ، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه ، فقال : دعني يومي هذا وارجع اليّ غداً ؛ فلما كان الغد رجعت اليه ، فقال : اني فكّرت فيما دعوتني اليه ، فاذا أنا أضعف العرب اذا ملكت رجلاً ما في يدي . قلت : فاني خارج غداً ؛ فلما ايقن بمخرجي أصبح فأرسل الي ، فدخلت عليه ، فأجاب الى الاسلام

(٢٨) طبقات ابن سعد (١٤٦/٢) .

(٢٩) عمان : كورة باليمن وهي على ساحل بحر اليمن والهند تشتمل على بلدان كثيرة . راجع

التفصيل في معجم البلدان (٢١٥/٦) .

(٣٠) في جوامع السيرة لابن حزم : جيفر وعياذ . انظر ص (٢٩) والصواب هو ما ذكرناه

أعلاه لاجتماع أهم المصادر عليه .

هو وأخوه جميعاً وصدقاً بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وخلقاً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عوناً على من خالفني ؛ فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣١) . وعاد عمرو من (عمان) الى المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٢) .

جهاده :

١ - في حرب اهل الردة :

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعُمان ، فأقبل حتى انتهى الى (البحرين) فوجد المنذر بن ساوى في الموت . ثم خرج عنه الى بلاد بني عامر فنزل بقره بن هيرة (٣٣) وهو يقدم رجلاً الى الردة ويؤخر أخرى ومعه جيش من بني عامر ، فأكرم قره مثواه ؛ فلما أراد عمرو الرحلة خلا به قره وقال : « يا هذا ! ان العرب لا تطيب لكم نفساً بالاتاة ، فان اعضيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع ! وان ابستم فلا تجتمع عليكم » ، فقال عمرو : « أكفرت يا قره ؟ ! أتخوفنا بالعرب ؟ ! فوالله لأوطنن عليك الخيل في حفش (٣٤) أملك واحفاش بيت ينفرد فيه النساء » (٣٥) ومرّ بمسيلمة الكذاب فأعطاه الأمان ، فقال له عمرو : « اعرض لي ما تقول » ، فذكر مسيلمة بعض كلامه ، فقال عمرو : « والله انك لتعلم

(٣١) طبقات ابن سعد (٢٦٢/١ - ٢٦٣) وانظر جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٠) وص (٢٤) و (٢٩) .

(٣٢) ابن الاثير (١٣٤/٢) .

(٣٣) قره بن هيرة : أحد الوجوه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأسره خالد وبعث به موثقاً الى أبي بكر فاعتذر أنه خاف مسيلمة الكذاب على ولده وماله وأنه لم يرتد في الباطن ، فمعا عنه أبو بكر . راجع الاصابة (٢٣٨/٥) (٣٤) الحفش : بيت ينفرد فيه النساء .

(٣٥) ابن الاثير (١٣٤/٢) .

انك من الكاذبين » فتوعده مسيلمة (٣٦) .

ولما وصل عمرو المدينة وعقد أبو بكر أحد عشر لواءً لحرب أهل الردة ، عقد لعمر و وأرسله الى (قُضَاعَة) (٣٧) ، وكان قد حاربهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل ، وكانت قضاة قد ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أنفذ اليهم أبو بكر جيشاً بقيادة عمرو ، سار عمرو بجيشه في الطريق الذي سلكه من قبل حتى وصل بلاد قضاة ، فأعمل السيف في رقابهم وغلبهم على أمرهم ؛ فعادوا الى الاسلام ، وعاد هو الى المدينة حاملاً لواء النصر .

٢ - في ارض الشام :

ردّ أبو بكر عمرأ الى عمله الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه لياه في (عَمَّان) ، فلما أراد ارسال الجيوش لفتح أرض الشام كتب أبو بكر لعمر و : « اني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى انجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته ، وقد احببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة ، والا ان يكون الذي أنت فيه أحب اليك » ، فكتب اليه عمرو : « اني سهم من سهام الاسلام ، وانت بعد الله الرامي والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاه وأفضلها فارم به شيئاً ان جاءك من ناحية من النواحي » (٣٨) ، فعقد أبو بكر لعمر و وأمره أن يسلك طريق (أَيْلَة) (٣٩) عامداً الى فلسطين ، وكان العقد لكل أمير من امراء الشام في بدء الامر ثلاثة آلاف

(٣٦) الاصابة (٢٣٩/٥) .

(٣٧) الطبري (٤٨٠/٢) وابن الاثير (١٣٢/٢) .

(٣٨) الطبري (٥٨٧-٥٨٨/٢) وابن الاثير (١٥٤/٢) .

(٣٩) أيلة : مدينة على ساحل بحر (القلزم) مما يلي الشام ، وهي آخر الحجاز وأول الشام . انظر

التفاصيل في معجم البلدان (٣٩١/١) .

رجل ، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة^(٤٠) ، وكان جيش عمرو مؤلفاً من أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب ، وقال أبو بكر لعمرو : « قد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى أرض فلسطين وكتب أبا عبيدة وانجده اذا أرادك ولا تقطع أمراً الا بمشورته » ، فأقبل عمرو على عمر بن الخطاب وقال له : « يا أبا حفص ! انت تعلم شدتي على العدو وصبري على الحرب ، فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميراً على أبي عبيدة ، وقد رأيت منزلي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واني لأرجو ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الأعداء » ، فقال عمر بن الخطاب : « ما كنت بالذي أكلمه في ذلك ، فانه ليس على أبي عبيدة أمير ، ولأبو عبيدة أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : أبو عبيدة أمين الامة » ، فقال عمرو : « ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه ؟ ! » ، فقال عمر : « ويلك يا عمرو ! انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى » ، فقال عمرو : « ان الأمر كما ذكرت »^(٤١) .

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام ، حتى بعث (هرقل) قاداته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين ، فكان (تذارق) شقيق (هرقل) أمام عمرو على رأس جيش عدده تسعون ألفاً^(٤٢) ، ولكن قادة المسلمين فوّتوا على الروم فرصة ضرب جيوش المسلمين على انفراد اذ كاتبوا عمراً : ما الرأي ؟ فأجابهم : « ان الرأي لمثلنا الاجتماع ، فان مثلنا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلّه ، واذا نحن تفرقنا لا نقوم كل فرقة له

(٤٠) البلاذري ص (١١٦) .

(٤١) فتوح الشام للواقدي (٨/١) وانظر وصية أبي بكر لعمرو في نفس المصدر (٨/١ - ٩) .

(٤٢) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

بمن استقبلها لكثرة عدوتنا» ، وكتبوا الى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال : « ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب ، فاحترسوا منها ، واجتمعوا باليرموك » (٤٣) .

واجتمع المسلمون باليرموك ، واجتمع الروم بها أيضاً ، فنزل الروم (الواقصة) (٤٤) . وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم ، وانتقل المسلمون عن معسكرهم فنزلوا على طريق الروم وليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو : « أيها الناس ، أبشروا ... حصرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير » (٤٥) .

وفي معركة اليرموك الحاسمة ، كان عمرو على الميمنة (٤٦) ، فكان له أثر كبير على انتصار المسلمين في هذه المعركة . وفي معركة فتح (دمشق) نزل عمرو بجيشه في ناحية باب (توما) (٤٧) ، وبعد فتحها سار المسلمون نحو (فحل) وعليهم شرحبيل بن حسنة ، وكان عمرو وأبو عبيدة ابن الجراح على المجنبتين ، فانتصر المسلمون على الروم ايضاً (٤٨) ، كما شهد مع شرحبيل فتح (بيسان) و (طَبَرِيَّة) (٤٩) ، وصالحا أهل الأرذُن (٥٠) .

وعلم عمرو أن الروم حشدوا جيوشهم وعلى رأسها قائد فلسطين أرتابون

(٤٣) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

(٤٤) الواقصة : واد بالشام في أرض حوران . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٩/٨)

(٤٥) الطبري (٥٩١/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

(٤٦) الطبري (٥٩٣/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

(٤٧) البلاذري (١٢٧) .

(٤٨) الطبري (٦٢٩/٢) وابن الاثير (١٦٥/٢) .

(٤٩) الطبري (٦٣٠/٢) وابن الاثير (١٦٦/٢) .

(٥٠) ابن الاثير (١٩٣/٢) .

(أرطبيون) في (أجننادين) (٥١) ، فسار عمرو ومعه شرحبيل بن حسنة واستخلف على الاردن أبا الاعور السلمي ، وكان الارطبيون أدهي الروم وأبعدها غوراً ، وكان قد وضع (بالرملة) (٥٢) جنداً عظيماً و (بايلياء) جنداً عظيماً أيضاً ، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال : « رمينا أرطبيون الروم بأرطبيون العرب ، (يقصد عمر) ، فانظروا عما تنفرج » . وكان معاوية بن أبي سفيان قد شغل أهل (قيسارية) عن عمرو ، كما جعل عمرو علقمة بن حكيم الفراسي (٥٣) ومسروق العكي (٥٤) وجعل أبا أيوب المالكى (٥٥) (بالرملة) ، فشاغل هؤلاء القادة القوات الرومانية عن قوات عمرو الاصلية .

وأقام عمرو على (اجنادين) لا يقدر على الارطبيون ولا تشفيه الرسل ، فسار اليه بنفسه ودخل عليه كأنه رسول ، ففطن به الارطبيون ، وقال : لا شك ان هذا هو الامير أو من يأخذ الامير برأيه ، فأمر رجلاً أن يقعد على طريقه ليقنتله اذا مرّ به . وفطن عمرو الى غدر الارطبيون ، فقال له : « قد سمعت مني وسمعت منك ، وقد وقع قولك مني موقعاً ، وأنا

(٥١) أجننادين : موضع معروف من نواحي فلسطين ، وهو قريب من الرملة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٢٦/١) .

(٥٢) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٤) .

(٥٣) علقمة بن حكيم الفراسي : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد اليرموك وجهزه أبو عبيدة من مرج الصفر مسلحة بين دمشق وفلسطين . استعمله عمر بن الخطاب على الرملة ، واستعمله عمرو ابن العاص على قتال ايلياء . راجع الاصابة (١١٢/٥) .

(٥٤) مسروق العكي : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وليست له رواية لا رؤية . شهد اليرموك اميراً على بعض الكراديس ، ويثمه أبو عبيدة مسلحة بين دمشق وفلسطين ، وشهد قتال أهل الردة ، كما شهد بمض فتوح العراق ، وكانت له أيام مشهورة . راجع الاصابة (٨٨/٦) .

(٥٥) أبو أيوب المالكى : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتوح الشام ، وأمره عمرو على جيش لقتال الروم . نظر الاصابة (١٣/٧) .

واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكافئه ويشهدنا أموره ، فأرجع فأتيك بهم الآن ، فان رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى ، فقد رآه أهل العسكر والامير ، وان لم يروه رددتهم الى مأمئهم وكنت على رأس أمرك » فقال الارطبون : « نعم » وردّ الرجل الذي أمره بقتل عمرو ، فخرج عمرو من عند الارطبون ، فعلم الرومي بأن عمرأ خدعه ، فقال : « خدعني الرجل ! هذا أدهى الخلق !! » . وبلغت خديعته عمر ابن الخطاب ، فقال : « لله در عمرو ! » .

وعرف عمرو من استطلاعـه الشخصي هذا نقاط الضعف في مواضع الروم ، فهاجمهم واقتتلوا قتالاً شديداً كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ، ولكن ارطبون انهزم فأوى الى (ايلياء) ، ونزل عمرو (أجنادين) ، وانضم علقمة ومسروق وأبو أيوب الى عمرو بأجنادين (٥٦) .

ولما دخل أرطبون (ايلياء) فتح عمرو (غَزَّة) (٥٧) و (سَبَسْطِيَّة) (٥٨) و (نَابِلُس) (٥٩) ، و (اللُد) (٦٠) ، و (يَبْسَنَى) (٦١) ، و (عَمْسَوَاس) (٦٢) ، و (بَيْتْ جَبْرِين) (٦٣) و (يافا)

(٥٦) الطبري (١٠٢/٣) وابن الاثير (١٩٣/٢) .

(٥٧) غزة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان . راجع معجم البلدان (٢٨٩/٦) .

(٥٨) سبسطية : بلدة بنواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان ، وهي من أعمال نابلس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٥) .

(٥٩) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٣٢/٨) .

(٦٠) اللد : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣٢٦) وقد أصبحت اليوم بلدة كبيرة .

(٦١) يَبْسَنَى : بليد قرب الرملة . انظر معجم البلدان (٤٩٦/٨) .

(٦٢) عمواس : هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وهي على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٥/٦) .

(٦٣) بيت جبرين : بليد بين المقدس وغزة ، بينه وبين المقدس مرحلتان وبينه وبين غزة أقرب من ذلك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢١/٢) .

(٦٤) ، و (رَفَح) (٦٥) ، وقدم عليه أبو عبيدة بن الجراح وهو محاصر (إيلياء) وهي بيت المقدس ، فطلب أهل (إيلياء) من أبي عبيدة الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، فقدم عمر وأنفذ صلح (إيلياء) وكتب لهم به عهداً (٦٦) .

وحاصر عمرو (قَيْسَارِيَّة) بعد فتح بيت المقدس ، ولكنه خرج الى مصر ، فتولى فتحها معاوية بن أبي سفيان (٦٧) .

لقد شهد عمرو أكثر معارك فتح أرض الشام ، وكان فتح أكثر فلسطين على يديه .

٣ - في مصر :

كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بعد الفراغ من فتح أرض الشام أن يسير الى مصر في جنده (٦٨) ، فخرج في ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، فنزل

(٦٤) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين ، بين قيسارية وعكا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٩٢/٨) .

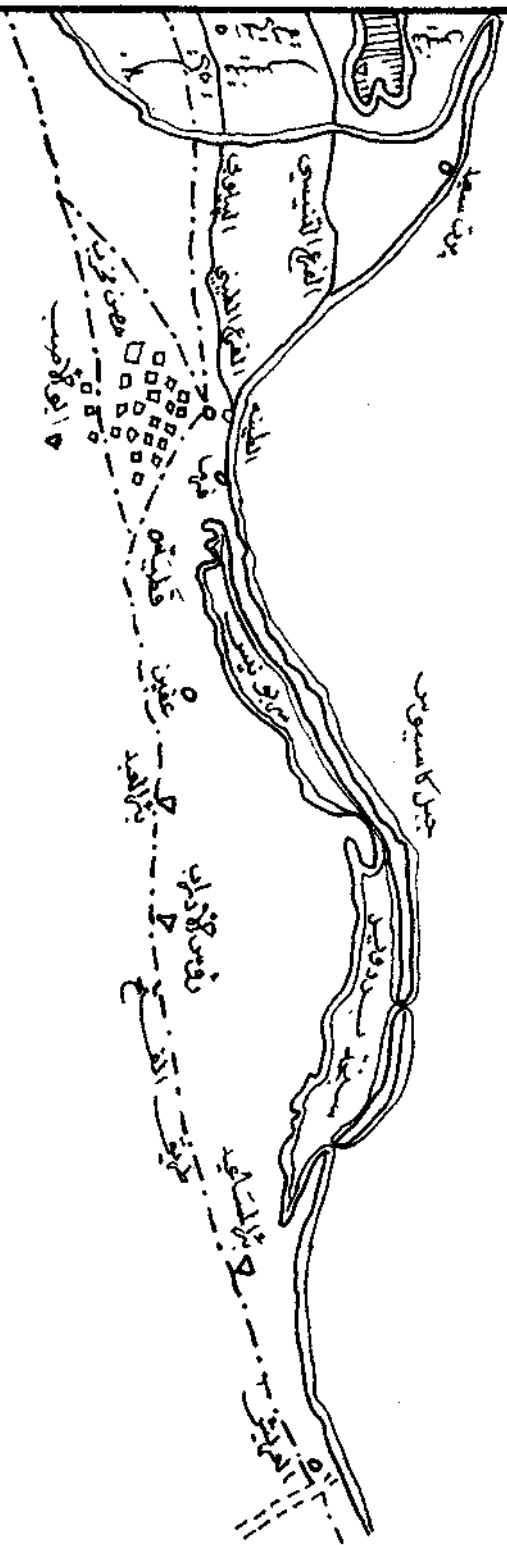
(٦٥) رفح : منزل في طريق مصر بعد الداروم ، بينه وبين عسقلان يومان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٦/٤) .

(٦٦) البلاذري (١٤٤) وابن الاثير (١٩٣/٢) وفي زبدة كشف الممالك (١٩) أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فتحها سنة ست عشرة هجرية وبقيت بيد المسلمين إلى سنة احدى وثمانين وأربعمائة . وفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة احتلها الفرنج .

(٦٧) البلاذري (١٤٦) .

(٦٨) الطبري (١٩٥/٣) وابن الاثير (٢١٨/٢) ، وليس من المعقول ان يمضي عمرو الى مصر من تلقاء نفسه دون استشارة عمر بن الخطاب مما أدى الى غضب عمر وكتب الى عمر ويؤخه كما جاء في البلاذري ص (٢١٤) . انه عمر بن الخطاب ولا أحد يستطيع مخالفته . وانظر تفاصيل موافقة عمر بن الخطاب على فتح مصر في معجم البلدان (٣٧٧/٦) وفتح مصر والمغرب ص (٨١) .

الجبل العريش من الشبيشة



(العريش) (٦٩) ففتحها ، ثم اتى (القرمّا) (٧٠) وبها قوم مستعدون للقتال ، فحاربهم عمرو وهزمهم . ومضى قُدماً الى (الْفُسْطَاط) (٧١) ، وكان اسمها (البونة) ، فنزل (جنان الريحان) وقد خندق أهل الفسطاط ، فحاصروهم عمرو ولم يلبث ان ورد عليه الزبير بن العوام في عشرة آلاف ويقال في اني عشر ألفاً (٧٢) وقيل أربعة آلاف عليهم اربعة من الصحابة الكبار : الزبير ابن العوام والمقداد بن الاسود وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن خُذافة دون مسلمة ، واستمر الحصار سبعة أشهر ، فرأى الزبير بن العوام خطلاً في السور ، فنصب سلماً وأسنده الى الحصن وقال : « اني أهب نفسي لله تعالى ، فمن شاء أن يتبعني ، فليفعل » ، فتبعه جماعة حتى أوفى على الحصن فكبر وكبروا ، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، ففتحت الفسطاط أبوابها للمسلمين (٧٣) .

وقبل فتح الحصن أرسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلاً نعلم به » وتنادى نحن وهم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم » فبعث عمرو عشرة نفر احدهم عبيدة بن الصامت فلم تنجح تلك المفاوضات ، فنشب القتال بين الطرفين حول حصن (بابليون) (٧٤) ، فأحرز المسلمون النصر على الروم بعد أيام معدودة من مفاوضات عبيدة بن الصامت والمقوقس (٧٥)

(٦٩) العريش : أول مدينة مصرية من ناحية الشام على ساحل بحر الروم وسط الرمل . انظر معجم البلدان (١٦٢/٦) .

(٧٠) القرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر بين العريش والفسطاط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٨/٦) .

(٧١) الفسطاط : مدينة بناها عمرو بن العاص بمصر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٠/٦) .

(٧٢) البلاذري ص (٢١٤) .

(٧٣) معجم البلدان (٣٧٨/٦) والبلاذري (٢١٥) وفتح مصر والمغرب (٩١) .

(٧٤) بابليون : هو اسم موضع الفسطاط والذي فتحه المسلمون . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠/٢) .

(٧٥) الفاروق عمر الدكتور هيكل (١١٦/٢) وفتح مصر والمغرب (٩٤-٩٥) .

ولما فتح عمرو حصن الفسطاط (بابلون) وجهه عبد الله بن حذافة السهمي الى (عين شمس) ^(٧٦) ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط ، كما وجه خارجة بن حذافة العدوي الى (القيوم) ^(٧٧) و (الاشمونين) ^(٧٨) و (إخميم) ^(٧٩) و (البشرودات) ^(٨٠) و قرى الصعيد ، فصالحها أيضاً على مثل صلح الفسطاط . كما وجه عُمَيْرُ ابن وهب الجُمُحِي الى (تنييس) ^(٨١) و (دمياط) ^(٨٢) و (تونة) ^(٨٣) و (دميرة) ^(٨٤) و (سَطا) ^(٨٥) و (دَقَهْلَة) ^(٨٦) و (بَنتا) ^(٨٧)

(٧٦) عين شمس : اسم مدينة بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ ، وهي ليست على شاطئ النيل وكانت مدينة كبيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٦/٦) .

(٧٧) القيوم : ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينها مفازة لا ماء فيها ولا مرعى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤١٤/٦) .

(٧٨) الأشمونين : اسمها اشمون وأهل مصر يقولون : الأشمونين . وهي مدينة قديمة أزلية عامرة أهلة ، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦١/١) .

(٧٩) اخميم : بلد بالصعيد ، وهو بلد قديم على شاطئ النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٥٣/١) .

(٨٠) البشرودات : هكذا وردت في البلاذري (٢١٨) ، وقد وردت في معجم البلدان : البشرود ، وهي الصحيح . وهي كورة من كور بطن الريف بمصر من كور أسفل الأرض . انظر معجم البلدان (١٩٠/٢) .

(٨١) تنييس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٩/٢) .

(٨٢) دمياط : مدينة قديمة بين تنييس ومصر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨٥/٤) .

(٨٣) تونة : جزيرة قرب تنييس ودمياط من الديار المصرية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٥/٢) .

(٨٤) دميرة : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ، وهما دمرتان احدهما تقابل الاخرى على شاطئ النيل في طريق من يريد دمياط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٥/٤) .

(٨٥) سَطا : بليد بمصر على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح . انظر معجم البلدان (٢٦٤/٥) .

(٨٦) دَقَهْلَة : بلد بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ وبينها وبين دميرة ستة فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦٥/٤) .

(٨٧) بَنتا : بلدة قديمة بمصر بينها وبين الفسطاط ثمانية عشر ميلا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٢) .

و (بُوصِير) (٨٨) فصالحها على مثل صلح [[الفسطاط أيضاً. ووجه عقبة بن عامر الجهني ويقال وردان مولاه الى سائر قرى أسفل الارض ففعل مثل ذلك ، وبذلك استجمع عمرو فتح مصر فصارت ارضها أرض خراج (٨٩).

ولما فتح عمرو بن العاص مصر أقام بها ثم كتب الى عمر بن الخطاب يستأمره في الزحف الى الاسكندرية ، فكتب اليه يأمره بذلك ؛ فسار اليها واستخلف على مصر خارجة بن حذافة العدوي ، وكان من دون الاسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له فلقبهم (بالكِرْيُون) (٩٠) فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم سار عمرو حتى انتهى الى الاسكندرية ، فوجد أهلها قد أعدوا العدة لقتاله ، ولكن القبط منهم كانوا يرغبون بالصلح ، فحاصرها عمرو ، فأرسل اليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة الى مدة ، فأبى عمرو ذلك . وأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن الى داخله ، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل اليه عمرو : « انا قد رأينا ما صنعت ، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان » ، فقال المقوقس لأصحابه : « قد صدق هؤلاء القوم ! أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى ادخلوه القسطنطينية ، فنحن أولى بالاذعان » فأغلظ له أصحابه القول وأبوا إلا القتال ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وحصروهم ثلاثة أشهر ، ففتحها عمرو بالسيف واستخلف عمرو على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمي في رابطة من المسلمين وانصرف الى الفسطاط (٩١).

(٨٨) بوصير : اسم لأربع قرى بمصر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٦/٢) والمقصود بهذه بوصير بنا .

(٨٩) البلاذري (٢١٨) والفاوق عمر للدكتور هيك (١٣٩/٢) .

(٩٠) كريون : موضع قرب الاسكندرية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٨/٧) .

(٩١) البلاذري ص (٢٢١-٢٢٢) وابن الاثير (٢١٩/٢) وفتح مصر والمغرب ص (١١٠-١١٦) .

وفي رواية ان عبادة بن الصامت هو الذي فتح الاسكندرية (٩٢) ،
وبذلك أنجز عمرو فتح مصر وأصبحت رايات العرب المسلمين ترفرف عليها .

٤- في ليبيا :

أراد عمرو القضاء على سلطان الروم في المنطقة الواقعة غربي الديار المصرية ،
فسار يخترق الصحراء حتى بلغ (برقة) (٩٣) ، فافتتحها عمرو وصالح
أهلها على الجزية (٩٤) .

ووجه عمرو عقبة بن نافع حتى بلغ (زويلة) (٩٥) وصار ما بين
برقة وزويلة للمسلمين (٩٦) ، ثم سار عمرو حتى نزل (أطرابلس) (٩٧)
وكانت حصونها أقوى من حصون برقة وحاميتها أكثر عدداً ، فامتنعت
عن العرب شهراً واحداً ولكنها استسلمت للفاتحين ، فكتب عمرو الى عمر
ابن الخطاب : « انا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين افريقية (تونس) تسعة
أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل » ، فكتب اليه
عمر ينهاء عنها ويأمره بالوقوف عند هذا الحد ، فعاد مكرهاً بعد أن استخلف

(٩٢) انظر ما جاء حول ذلك في ترجمة عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي . وانظر فتح
مصر والمغرب (١١٦-١١٧) .

(٩٣) برقة : اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية ، واسم مدينتها
انطابلس وتفسيره الخمس مدن . وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر . انظر التفاصيل في معجم
البلدان (١٣٣/٢) .

(٩٤) البلاذري ص (٢٢٥) وابن الاثير (١٠/٣) ومعجم البلدان (١٣٤/٢) .
(٩٥) زويلة : بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل اجدادية في البر بين بلاد السودان وافريقية .
اوزويلة في وسط الصحراء هي أول حدود بلاد السودان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٨/٤) .
(٩٦) البلاذري ص (٢٢٦) ومعجم البلدان (٤١٨/٤) .

(٩٧) أطرابلس : مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض افريقية . انظر التفاصيل في معجم
البلدان (٢٨٥/١) ومعجم البلدان (٣٤/٦) واسمها الآن : طرابلس وهي مدينة كبيرة على البحر
لابيض المتوسط وهي العاصمة الثانية للمملكة الليبية ، والعاصمة الاولى هي بنغازي .

على ليبيا عقبة بن نافع الفهري الذي صار اليه بعد ذلك فتح المغرب (٩٩) .
وبذلك أنجز عمرو فتح ليبيا .

٥ - في النوبة (١٠٠) :

أراد عمرو أن يؤمن مصر من الجنوب ، فبعث عقبة بن نافع الفهري ،
فدخلت خيولهم أرض النوبة ، فلقي المسلمون بالنوبة قتالاً شديداً ، اذ
كان اهلها ماهرين برمي السهام ، فرشقوا المسلمين بالنبل حتى جرح عاتمهم
فانصرفوا بجراحات كثيرة وخذق مفقودة ، فلم يصالحهم عمرو ولم يزل
يهاجمهم بين حين وآخر ، حتى عزل عن مصر وولي عبد الله بن سعد بن
أبي سرح ، فصالحهم ، فكانت بينهم وبين المسلمين هدنة : يعطيهم المسلمون
شيئاً من القمح والعدس ويعطيهم النوبيون رقيقاً (١٠١) .

٦ - انتفاض الروم في الاسكندرية :

كتب أهل الاسكندرية الى (قسطنطين) امبراطور الروم يهتفون عليه
فتح الاسكندرية لقلة ما بها من حامية المسلمين وبما يعاني الروم فيها من الذلة
واداء الجزية ، فبعث رجلاً من أصحابه في ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ،
فدخل الاسكندرية وقتل من بها من المسلمين المرابطين الا من استطاع النجاة
بنفسه . وبلغ عمرأ الخبر فसार اليهم ، وكان (منويل) قائد الروم قد تقدّم
نحو الجنوب ورجاله يعيشون في الارض فساداً : ينزلون القرى فيشربون
خمرها ويأكلون أطعمتها ، حتى وصلوا (نقيوس) (١٠٢) حيث

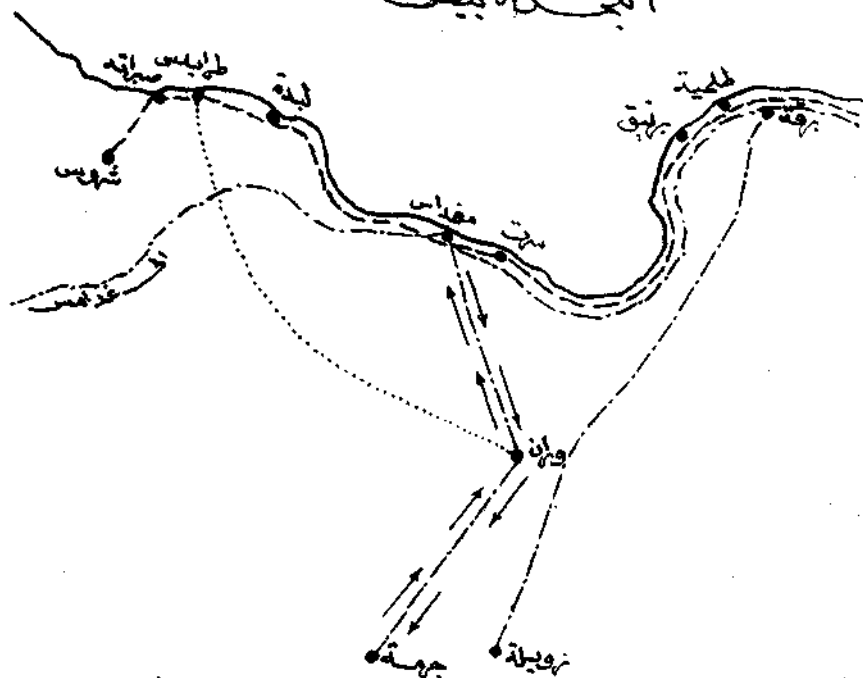
(٩٩) البلاذري (٢٢٧) وابن الاثير (١٠/٣) واليعقوبي (١٣٤/٢) .

(١٠٠) النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر ، أول بلادهم بعد أسوان . أنظر التفاصيل
في معجم البلدان (٢٢٣/٨) .

(١٠١) البلاذري (٢٣٨-٢٣٩) وأنظر فتح مصر والمغرب (٢٥٢-٢٥٣) .

(١٠٢) نقيوس : قرية بين القسطايا والاسكندرية ، كانت بها وقعة لعمرو بن العاص والروم
لما نقضوا . راجع معجم البلدان (٣١٤/٨) .

البحر الأبيض



طريق عمرو
 طريق عقبة بن نافع
 طريق يسر بن أوطاة

اشتبكوا بالمسلمين الذين كان عددهم خمسة عشر ألفاً بقتال عنيف في البر والبحر ، وكثر الترامي بالنشاب حتى أصابت فرس عمرو ، فنزل عنه . وشد المسلمون على الروم وقاتلوهم قتالاً مستميتاً حتى غلبوهم على أمرهم ، فانهزم الروم ؛ وطاردتهم المسلمون فتحصن الروم بالاسكندرية ، ولكن المسلمين قاتلوهم اشد قتال ونصبوا المجانيق حتى دخلها المسلمون عنوة (١٠٣) .

الانسان :

مفتاح شخصية عمرو ، أنه كان يستعرض جوانب (القوة) دائماً ، ويوازن بين ما لدى أعدائه وأصحابه على حد سواء من (القدرة) موازنة طويلة حتى لا يخفى عليه منها وجه من وجوه الرأي ، فقد كان رجلاً يتقن الحساب ويحيد المساومة ... يقف ساكناً ويفكر طويلاً ... ثم يساوم في حرص . إنه كان يشترط دائماً ... هكذا كان موقفه في كل أمر !!

لقد كان يحب الامارة ويحرص عليها ، وفي سبيل الحصول على الامارة كان مستعداً أن يفعل كل شيء .

كان بارزاً في الجاهلية ، وقد اختارته قريش للسفارة بينها وبين النجاشي صاحب الحبشة ، لإقناع النجاشي بتسليم المسلمين المهاجرين الى قريش ؛ فراح عمرو يتقرب الى النجاشي ويستدر اهتمامه وتقديره ؛ ثم أنهى اليه بأمر هؤلاء المهاجرين الهاربين من قومهم ، وناشده أن يستجيب لقريش في ردّ ضيوف بلاده من المسلمين . ولكن النجاشي أراد أن يقف على الحقيقة ويستجلي بواطن الأمور ، فجمع الطرفين في مجلس واحد ؛ فتكلم عن المهاجرين جعفر بن أبي طالب وعدّد مبادئ الاسلام . وقرأ ما تيسر من سورة مريم ، فاختم النجاشي هذا المؤتمر بقوله لعمرو وصاحبه سفيري

(١٠٣) البلاذري (٢٢٣) ومعجم البلدان (٣١٤/٨) وتاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم ص (١٦٤-١٦٧) وفتح مصر والمغرب ص (٢٣٦-٢٣٧) .

قريش : « انطلقا ، والله لا أسلمهم اليكما ! » .

ولما أسلم عمرو ، قرّبه الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل واستعمله على (عُمان) ، فمات النبي صلى الله عليه وسلم وهو أميرها (١٠٤) ، وكان النبي الكريم يقول عن عمرو : « عمرو بن العاص من صالحي قريش » (١٠٥) . قال عمرو : « بعث الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليه ثيابك وسلاحك ثم ائتني ؛ فأتيته ، فقال : إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت : يا رسول الله ! ما أسلمت من أجل المال ، بل أسلمت رغبة في الاسلام . فقال : يا عمرو ! نعماً بالمال الصالح للمرء الصالح » (١٠٦) . والحق أن عمرأ أسلم وحسن إسلامه وأخلص لدينه الجديد ، وكان إيمانه إيماناً عميقاً ، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه أبو بكر الصديق أحد الامراء الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما حولها ، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر ففتحها ، فولاه عمر بن الخطاب مصر الى أن مات عمر (١٠٧) . لقد كان عمر بن الخطاب إذا نظر الى عمرو يمشي يقول : « ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً » (١٠٨) وكان اذا رأى الرجل يتلجلج يقول : أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد » (١٠٩) ، وكان عمر اذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله

(١٠٤) الاصابة (٢/٥) .

(١٠٥) الاصابة (٣/٥) وأسد الغابة (١١٧/٤) .

(١٠٦) الاصابة (٣/٥) والاستيعاب (١١٨٦/٣) ومسد الامام أحمد بن حنبل (٢٠٢/٤) .

(١٠٧) طبقات ابن سعد (٤٩٣/٧) وأسد الغابة (١١٧/٤) .

(١٠٨) الاصابة (٢/٥) واليعقوبي (١٩٧/٢-١٩٨) .

(١٠٩) الاصابة (٣-٢/٥) .

قال : « أشهد أن خالقتك وخالق عمرو واحد » يريد خالق الأضداد (١١٠) .

والحق أن عمر أثبت كفاءة إدارية ممتازة عند ولايته لمصر ، فقد بنى مدينة القسطنطينية وحفر خليج أمير المؤمنين الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ونظم قضايا الري ، وكان عمر بن الخطاب يقدر لعمر بن الخطاب كل ذلك ، ومع هذا كان يحاسبه أشد الحساب على الخراج وحتى على ماله الخاص ، ويرسل من يسأل عمر : من أين لك هذا ؟ ، وقد قاسمه عمر ماله (١١١) ، كما قاسم غيره من الأمراء ، واستقدمه مع ابنه محمد ليحاسبه حساباً عسيراً على ضرب ابنه محمد أحد المصريين دون مبرر .

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن عمرو ، ومات أبو بكر وعمر وهما راضيان (١١٢) .

وأقره عثمان بن عفان على مصر أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها وولاهها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان ذلك بدء الشر بين عمرو وعثمان (١١٣) ، فقدم عمرو على عثمان مغضباً (١١٤) ومضى يستثير الناس على الخليفة ويقضي وقته متنقلاً من مجلس إلى مجلس يسطر للناس أخطاء عثمان ويحرضهم على الثورة ، فأرسل إليه عثمان يوماً فقال له : « يا ابن النابغة ! ... اتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر !؟ ... » فقال عمرو : « ان كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولائهم باطل ، فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيته » ، فقال عثمان : « والله لقد استعملتك على ظلمك وكثرة القالة فيك » ، فقال عمرو : « قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ، ففارقني وهو عني راض » ، فقال عثمان : « وأنا والله لو

(١١٠) الاستيعاب (١١٨٨/٣) .

(١١١) البلاذري (٢٢١) .

(١١٢) اليعقوبي (١٦١/٢) .

(١١٣) الاستيعاب (١١٨٢/٣) وفي الطبري (٣١٢/٣) أن عثمان أقر عمر على مصر سنتين .

(١١٤) الطبري (٣١٥/٣) .

أخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت عليك فاجترأت عليّ ؛
أما والله لأننا أعز منك نفراً في الجاهلية وقبل أن ألي هذا السلطان » ، فقال
عمرو : « دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وهذان به . قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاص
كان أشرف من أبيك » (١١٥) . وخرج عمرو الى منزله بفلسطين ، فكان
يقول : « والله وان كنت لألقى الراعي فاحرضه عليه » (١١٦) ، ولما
بلغه مقتل عثمان فرح ولم يكتم فرحه وقال : « أنا أبو عبد الله ! إذا
حككت قرحة نكأتها !! » (١١٧) .

وفرق علي بن أبي طالب عماله على الأمصار ، فلم يكن عمرو من بينهم
(١١٨) ، فعلم أنه لا حظ له في حكومة علي ، فأخذ يترصد حتى جاءه
كتاب معاوية بن أبي سفيان : « أما بعد ، فانه كان من أمر علي وطلحة
والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط الينا مروان في رافضة أهل البصرة ،
وقدم عليّ جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وحبت نفسي عليك حتى تأتيني ،
فأقدم علي بركة الله تعالى » ، فلما انتهى اليه الكتاب دعا ابنه : عبد الله
ومحمداً فاستشارهما ، فقال له عبد الله : « أيها الشيخ ! إن رسول الله
قبض وهو عنك راض ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنك راضيان ، فإنك
إن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً في النار » ،
ثم قال لمحمد : « ما ترى ! » ، فقال : « بادر هذا الأمر ، فكن فيه
رأساً قبل أن تكون ذنباً » (١١٩) ، فقال عمرو مخاطب ابنه : « أما أنت
يا عبد الله ، فأمرني بالذي أسلم في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرني بالذي

(١١٥) الطبري (٣/٢٩٢) .

(١١٦) الطبري (٣/٣٩٥) .

(١١٧) ابن الأثير (٣/٦٣) .

(١١٨) انظر الطبري (٣/٤٦٢-٤٦٥) وابن الأثير (٣/٧٨-٨١) .

(١١٩) اليعقوبي (٢/١٦١) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٩٥) .

أنبه لي في دنياي وأشر لي في آخرتي ، وإن علياً قد بوع له وهو يُدَلّ بسابقته وهو غير مشركي في شيء من أمره . ارحل يا وردان » (١٢٠) ... فلما أصبح دعا وردان مولاه ، فقال له : « ارحل يا وردان » ثم قال : « حط يا وردان » فحط ورحل ثلاث مرات ، فقال وردان :

« لقد خلطت أبا عبد الله ، فان شئت أخبرتك بما في نفسك » ، قال : هات » ، قال : « اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : عليّ معه آخرة بلا دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ، وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فليست تدري أيهما تختار !! » (١٢١) .

وخرج عمرو ومعه ابنه حتى قدم على معاوية ، فبايعه على الطلب بدم عثمان ، وكتب بينهما كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد قتل عثمان بن عفان ، وحمل كل واحد صاحبه الأمانة ؛ أن يبتنا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في أمر الله والاسلام ولا يخلد أحدهنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة ، ولا يحول بيننا ولد ولا والد أبداً ما حيننا فيما استطعنا ؛ فإذا فتحت مصر ، فان عمرأ على أرضها وامارته التي أمره عليها أمير المؤمنين ، وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نابنا من الأمور ، ومعاوية أمير على عمرو بن العاص في الناس وفي عامة الأمر ، حتى يجمع الله الأمة ، فإذا اجتمعت الأمة فانهما يدخلان في أحسن أمرهما على أحسن الذي بينهما في أمر الله الذي بينهما من الشرط في هذه الصحيفة » (١٢٢) .

وشهد عمرو معركة (صفين) مع معاوية ، فلما رأى أن أمر أهل العراق

(١٢٠) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/ ٩٦) .

(١٢١) اليعقوبي (٢/ ١٦١-١٦٢) .

(١٢٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤) .

قد اشتد وأن الدائرة تدور على أهل الشام ، قال معاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ » ، فقال معاوية : « نعم » ، فقال : « نرفع المصاحف ثم نقول : هذا حكم بيننا وبينكم ، فان أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ؛ وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى أجل » ، فرفعوا المصاحف بالرماح ، وقالوا : هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . مَنْ لثغور الشام بعد أهله ؟ ! مَنْ لثغور العراق بعد أهله ؟ ! ... فلما رآها الناس قالوا : نجيب الى كتاب الله ! ، فقال لهم علي : « عباد الله ! أمضوا على حقكم وصدقكم وقاتل عدوكم ... ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة » . فقالوا : لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله (١٢٣) فذب الخلاف بين أصحاب علي ! فقالت طائفة : أولسنا على كتاب الله وبيعنا ؟ وقال آخرون كرهوا القتال : أجبنا الى كتاب الله ! فلما رأى علي وهنهم وكراهم للقتال ، قارب معاوية فيما يدعو اليه . واختلف بينهم الرسل ، فقال علي « قد قبلنا كتاب الله ، فمن يحكم بكتاب الله بيننا وبينك ؟ » فقال معاوية : « نأخذ رجلاً منا نختاره وتأخذ منكم رجلاً تختاره » ؛ فاختار معاوية عمرو بن العاص واختار علي أبا موسى (١٢٤) .

والتقى الحكمان في (دومة الجندل) (١٢٥) ، فقال عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري : « احذر عمراً ، فانما يريد أن يقدمك ويقول : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسنّ مني ؛ فكن متدبراً لكلامه » ، فكان إذا التقيا يقول عمرو : « إنك صحبت رسول الله صلى

(١٢٣) الطبري (٢٤/٤) وابن الأثير (١٢٦/٣) .

(١٢٤) طبقات ابن سعد (٢٥٥-٢٥٦/٤) .

(١٢٥) دومة الجندل : حصن على سبعة مراحل من دمشق ، يقع بين دمشق والمدينة المنورة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٦/٤) . وفي طبقات ابن سعد (١٦٦/٢) : أن بين دومة الجندل وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

الله عليه وسلم قبلي وأنت أسنّ مني ، فتكلّم ثم أتكلّم ! » وانما يريد عمرو أن يُقدّم أبا موسى في الكلام ليخلع علياً ، فاجتمعا على أمرهما ، فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وقال أبو موسى : « عبد الله بن عمر » ؛ فقال عمرو : « أخبرني عن رأيك » ، فقال أبو موسى : « أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين ، فيختارون لأنفسهم من أحبوا ! » ، فقال عمرو : « الرأي ما رأيت !! » ، فأقبلا على الناس وهم مجتمعون ، فقال له عمرو : « يا أبا موسى ! أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع » . وتكلّم أبو موسى فقال : « إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح به أمر هذه الأمة » ، فقال عمرو : « صدق وبرّ ونِعَم الناظرُ للإسلام وأهله ! فتكلّم يا أبا موسى » ، فأتاه عبد الله بن عباس فخلا به وقال له : « أنت في خدعة . ألم أقل لك : لا تبدأه وتعقبه ، وإني أخشى أن يكون أعطاك أمراً خالياً ثم ينزع عنه على ملأ من الناس واجتماعهم » ، فقال الأشعري : « لا تخش ذلك ، قد اجتمعنا واصطلحنا » . فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ! قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعبيها من أن لا نَبْتَزّ أمورها ولا نعصبها حتى يكون ذلك على رضى منها وتشاور . وقد اجتمعت أنا وصاحبي على أمر واحد : على خلع علي ومعاوية وتَسْتَقْبِل هذه الأمة هذا الأمر فيكون شورى بينهم يولّون منهم من أحبوا عليهم ؛ وإني قد خلعت علياً ومعاوية ، فولوا أمركم من رأيتم » ؛ ثم تنحّى . وأقبل عمرو ابن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن هذا قد قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه . وإني أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية ، فانه ولي ابن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه » (١٢٦) .

(١٢٦) طبقات ابن سعد (٢٥٨-٢٥٩) وانظر تفاصيل التحكيم في الطبري (٤٩/٤-٥٢) وابن الأثير (١٣١-١٣٢) واليعقوبي (١٦٥-١٦٦) .

تلك هي نماذج من دهاء عمرو ، لذلك كان الشعبي يقول : « دهاء العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزباد . فأما معاوية فللحلم والأناة ، وأما عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، وأما زياد فللكبير والصغير » (١٢٧) . لقد كان بحق أحد الدعاة المقدمين في المكر والرأي (١٢٨) ! وكان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم (١٢٩) .

وسيره معاوية الى مصر ، فاستنفذها من محمد بن أبي بكر عامل علي ابن أبي طالب عليه ، فاستعمله معاوية عليها الى أن مات (١٣٠) .

وأخيراً ، داهم الموت هذا الداهية ، قال أحد شهود احتضاره : « حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، فحوّل وجهه الى الحائط يبكي طويلاً وابنه يقول له : ما يبكيك ؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ أما بشرك بكذا ؟ وهو في ذلك يبكي ووجهه الى الحائط ، ثم أقبل بوجهه اليّنا فقال : إن أفضل ما تتعد عليّ شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكني قد كنت على أطباق ثلاث : قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض اليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحب اليّ من أن استمكن منه فأقتله ، فلو مت على تلك الطريقة لكنت من أهل النار . ثم جعل الله الاسلام في قلبي ، فأثيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبائعه ، فقلت : أبسط يمينك أبابعدك يا رسول الله ، فبسط يده ، ثم إني قبضت يدي ، فقال : ما لك يا عمرو ؟ فقلت :

(١٢٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٦) .

(١٢٨) الاستيعاب (١١٨٨/٣) .

(١٢٩) أسد الغابة (١١٧/٤) .

(١٣٠) طبقات ابن سعد (٤٩٣/٧) والاصابة (٢/٥) وأسد الغابة (١١٧/٤) والاستيعاب

(١١٨٨/٣) . وانظر تفاصيل استعادته مصر في الطبري (٧٨-٧٦/٤) وابن الاثير (١٤٠/٢) -

(١٤٣) .

أردت أن اشترط ! فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت : أشرط أن يُغفر لي .
 فقال : أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم
 ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رأيتني ما من الناس أحب الي
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلّ في عيني منه ، ولو سئلت أن
 أنعمته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني إجلالاً له ، فلو متّ على
 تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة . ثم ولينا أشياء بعد ، فلست
 أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها . فإذا أنا متّ فلا تصحيني نائحة ولا نار ،
 فإذا دفنتوني فسنوا على التراب سنّاً ، فإذا فرغتم من قبري فامكثوا عند
 قبري قدر ما يُنحَرُ جزور ويُقسَم لحمها ، فاني أستاذس بكم حتى أعلم
 ماذا أراجع به رسل ربي . ثم قال : اللهم لا بريء فأعتذر ولا عزيز فأنتصر ،
 وإلا تُدركني برحمة أكن من الهالكين (١٣١) . ثم أخذ يردد : لا إله الا
 الله ، فلم يزل يرددّها حتى مات (١٣٢) يوم الفطر بمصر سنة ثلاث وأربعين
 للهجرة (٦٦٤ م) (١٣٣) في خلافة معاوية ، وكان له من العمر تسعون سنة .
 فقد عاش بعد عمر بن الخطاب عشرين سنة ، وكان عمر عمر بن الخطاب ثلاثاً
 وستين سنة ، وقد كان عمرو يقول : « أذكر ليلة ولد عمر بن الخطاب » ،
 فكان عمره لما ولد عمر بن الخطاب سبع سنين (١٣٤) . أي انه ولد سنة سبع
 وأربعين قبل الهجرة (٥٧٧ م) ودفن بالمقطم (١٣٥) .

لقد كان عمرو يحب الامارة ويحب المال ، قال له معاوية يوماً وهو شيخ
 كبير : « ما بقي منك يا عمرو ؟ » فقال : « مال أغرسه فأصيب من ثمرته

(١٣١) طبقات ابن سعد (٢٥٩/٤ - ٢٦٠) .

(١٣٢) أسد الغابة (١١٧/٤) والاستيعاب (١١٨٩/٣) .

(١٣٣) طبقات ابن سعد (٢٦١/٤) و (٤٩٤/٧) وأسد الغابة (١١٧/٤) والطبري

(١٣٧/٤) وشرقات الذهب (٥٣/١) وتاريخ أبي الفدا (١٨٤/١) والاستيعاب (١١٨٨/٣) .

(١٣٤) الاصابة (٣/٥) .

(١٣٥) أسد الغابة (١١٧/٤) والاستيعاب (١١٨٩/٣) .

وغلته . وقيل لعمر : ما المروءة ؟ فقال : « يُصلح الرجل ماله ويُحسن إلى إخوانه » (١٣٦) ، فلما مات عمرو خلف ألف ألف درهم ودوراً عديدة في مصر وأرض الشام .

وكان ذكياً كاتباً قارئاً ، بليغاً في نثره ونظمه ، ولعل كتابه إلى عمر بن الخطاب يصف فيه مصر بعد من أبلغ الرسائل ليس في العربية فقط بل في كل لغات العالم (١٣٧) ، فلما ورد هذا الكتاب إلى عمر بن الخطاب قال : « لله درك يا ابن العاص ! لقد وصفت لي خيراً أكأني أشاهده » . وقد اشتهر عمرو بحكمه البليغة ، وله أقوال مأثورة منها : « ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه يعرف خير الشرين » . وقال يوماً لمعاوية : « إن الكريم يصول إذا جاع ، واللئيم يصول إذا شبع . فسُدْ خصاصة (حاجة) الكريم واقمع اللئيم » . قال معاوية لعمر : « مَنْ أبلغ الناس ؟ » ، قال : « مَنْ كان رأيه راداً لهواه » . فقال : « مَنْ أسخى الناس ؟ » ، قال : « مَنْ بذل دنياه في صلاح دينه » ، قال : « مَنْ أشجع الناس ؟ » فقال : « مَنْ ردَّ جهله بحمله » . ومن غرر أقواله : « موت ألف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة » . وقال : « إذا أنا أفشيت سري إلى صديقي فأذاعه فهو في حل » ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « أنا كنت أحق بصيانته » (١٣٨) .

وقد رويت له آثار في الشعر والخطب الطوال تسلكه بين الشعراء والخطباء ، فمن شعره :

(١٣٦) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٦١) .

(١٣٧) نشر نص ترجمة كتاب عمرو الكاتب الفرنسي (اوكتاف اوزان) ووصفه بأنه من أكبر آيات البلاغة في كل لغات العالم . انظر تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم ص (١٦٩) .

(١٣٨) زعماء الاسلام - للدكتور حسن ابراهيم حسن ص (١٣٦) وانظر ما جاء في فصل : (من كلامه) في كتاب : ابن العاص - للمقاد .

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبّه
ولم يترك قلباً غاوباً حيث يمتا
قضى وطراً منه وغادر سبّه
إذا ذكرت أمثالها تملأ الفضا (١٣٩)

وقال (١٤٠) :

معاوى لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع
فان تعطي مصرأ فأربح بصفقة
أخذت بها شيخاً يضر وينفع
وله شعر كثير (١٤١) ، وكل ما ينسب اليه من شعر فهو من هذه الطبقة
التي لا تسف ولا تغلو الى الذروة بين بدائع الشعراء .
وكان محدثاً روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثين حديثاً (١٤٢) ،
وكان فقيهاً من أصحاب الفتيا من الصحابة (١٤٣) ، وقد وصفه رجل
بقوله : « صحبت عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلاً أئين قرأناً ولا
أكرم خلقاً ولا أشبه سيرة بعلائية منه » (١٤٤) .
بل كان مجتهداً في أمور الدين ، فقد روي أنه لما بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام ذات السلاسل ، قال : « احتلمت في ليلة باردة شديدة

(١٣٩) اسد الغابة (١١٧/٤) والاستيعاب (١١٨٨/٣) .

(١٤٠) اليعقوبي (١٦٢/٢) والمقد الفريد (١١٤/٣) .

(١٤١) أنظر سيرة ابن هشام (١١٠-١١١/٣) و (١١٧-١١٦/٣) .

(١٤٢) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٠) . وانظر مسند

الامام احمد بن حنبل (٢٠٥-٢٠٦/٤) .

(١٤٣) أصحاب الفتيا من الصحابة - لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠) .

(١٤٤) الاصابة (٢/٥) .

البرد ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال : يا عمرو ، صليت بأصحابك وأنت جنب ؟! فقلت : نعم يا رسول الله ! إني احتملت في ليلة باردة شديدة البرد ، فأشفقت إن أنا اغتسلت أن أهلك ، وذكرت قول الله عز وجل : (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) فتيمنت ثم صليت ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً » (١٤٥) ، ولا عجب من ذلك فهو الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي بين خصمين جاءه ، فقال « اقض بينهما يا عمرو ! » فقال عمرو : « أنت أولى بذلك مني يا رسول الله » قال : « وان كان » . وهو الذي كان يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر » (١٤٦) .

وكان حليماً ، فقد ذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر ، فسأله فقال : أُمِّي سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة من بني عزة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها النفاكة بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جُدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فولدت له ، فأنجبت ، فان جعل لك شيء ، فخذ » (١٤٧) .

وكان يعزّ بنفسه وبكرامته ، فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمرو وهو على مصر يسأله فيه عن أصل المال الذي جمعه ، فغضب ابن العاص ، وكان مما اجاب به : « ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك وقد ائتمنتني ، فان لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغتتنا عن خيانتك » (١٤٨) .

وكان إدارياً حازماً : تحبّب الى سكان البلاد الأصليين ، وردّ اليهم

(١٤٥) مستد الامام أحمد بن حنبل (٢٠٥/٤) .

(١٤٦) مستد الامام أحمد بن حنبل (٢٠٤/٤) .

(١٤٧) آمد الغابة (١١٥/٤ - ١١٦) والاستيعاب (١١٨٤/٣ - ١١٨٥) .

(١٤٨) انظر الفاروق عمر الدكتور هيكل (٣٠/١) .

حقوقهم المغتصبة ، وقطع دابر ما كان يثير تدميرهم ، ومنحهم الحرية الدينية الكاملة ، وأبقى أرضهم على حالها لم يقسمها بين الفاتحين من المسلمين (١٤٩) ، وحرص على رفاهية السكان وعدم إرهابهم بالضرائب ، فقد جبر خراج مصر وجزيئها ألفي ألف وجباها خلفه عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف ، فقال عثمان لعمر : « إن اللقاح بمصر بعدك درت البانها » ، فقال عمرو : « ذاك لأنكم أعجفتم أولادها » (١٥٠) ... ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبط نصاً وروحاً : « اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم ذمة ورحماً » (١٥١) .

وكان أدعج أبلج قصير القامة (١٥٢) يخضب بالسواد ويهيم بقيافته وبمسكرته ومأكله وملبسه (١٥٣) .

وليس من شك أن عمر إذا كان يتمتع بخصال انسانية ممتازة تجعله بين صفوف الخالدين من ذوي المواهب والعقول ، وقد أنصف عمرو نفسه حين قسم حياته الى ثلاثة أدوار : دور الجاهلية ، ودور الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخين والصدر الاول من عهد عثمان بن عفان ، ودور الاسلام بعد عزله عن مصر في أيام عثمان حتى توفاه الله ، ولعله قد جزع حين وفاته مما جنت يده في الدور الثالث من حياته ، فأخذ يردد وهو يحتضر : « اللهم أمرتني فلم أأتم ، وزجرتني فلم أنزجر » ، ودخل عليه ابن عباس في مرضه فقال : « كيف أصبحت يا ابا عبد الله ؟ » ، فقال « أصلحت من دنياي قليلاً ، وأفسدت من ديني كثيراً ، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت ... » (١٥٤) .

(١٤٩) البلاذري (٢١٥) و (٢٢٠) .

(١٥٠) البلاذري (٢١٧) .

(١٥١) البلاذري (٢٢٠) .

(١٥٢) الاصابة (٢/٥) .

(١٥٣) أسد الغابة (١١٧/٤) .

وأرى ان شعور عمرو بالخزن والأسى والندم على ما فرط في جنب الله ، دليل قاطع على ايمانه العميق ؛ إذ لو لم يكن مؤمناً حقاً ، لما أُنْب نفسه علناً أمام الناس قبل أن يؤنبه غيره ، لذلك قال النبي الكريم عنه وعن أخيه : « ابنا العاص مؤمنان : عمرو وهشام » (١٥٥) .

وليس ادل على ايمانه من قوله من على منبره : « لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه : أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيها . والله ما أنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من دهره إلا كان الذي عليه أكثر مما له » (١٥٦) وكان يقول : « والله إن كنت لأشدّ الناس حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأت عيني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راجعته بما أريد حتى لحق بالله عز وجل حياءً منه » (١٥٧) ، فهل يمكن أن تصدر مثل هذه الأقوال إلا عن مؤمن قوي الايمان ؟ .

القيائد :

كان عمرو من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم (١٥٨) وكان جريئاً مقداماً (١٥٩) وذارأي قريش كما وصفه أبو بكر الصديق (١٦٠)

(١٥٤) الاستيعاب (٣/ ١١٨٩) .

(١٥٥) الاستيعاب (٣/ ١١٩١) ، وقد رواه الامام احمد بن حنبل . انظر مفتاح كنوز السنة ص (٣٦٤) .

(١٥٦) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٠٤) .

(١٥٧) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٠٤) .

(١٥٨) الاستيعاب (٣/ ١١٨٨) .

(١٥٩) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص (٥٢) نقلاً عن كتاب تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم ص (٨١) . ونص ما جاء فيه : ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على عمر بن الخطاب ، فقال عمر : كتبت الى عمر بن العاص يسير الى مصر من الشام ، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ان عمراً لجروء وفيه اقدام وحب للامارة ... الخ . (١٦٠) اليعقوبي (٢/ ١٠٧) .

وبذلك اجتمعت لعمر و أهم عناصر القيادة : الشجاعة الشخصية والبطولة
والجرأة والإقدام والرأي السديد والعقل الراجح والمنطق السليم .

فاذا أضفنا الى ذلك حرص عمرو على استكمال جمع المعلومات عن
عدوه وعن طبيعة الارض التي يقاتل عليها ، وذلك بالاستطلاع الشخصي ،
والاستطلاع بالعيون والارصاد ، فقد تيسرت لعمر و كافة عوامل اعداد
خطة مناسبة ناجحة .

لقد كان عمرو يقدر قيمة الاستطلاع حق قدره ، لذلك كان يتقدم
لمواجهة عدوه وهو يعرف عنه كل شيء ... يتقدم نحوه مفتوح العينين في
نور لا في ظلام .

كان من أسباب نجاحه في غزوة ذات السلاسل ، أن أم العاص بن وائل
والد عمرو من بني (بلي) (١٦١) ، لذلك عاونه أخواله في تيسير مهمته
وأمدوه بالمعلومات الضرورية للنجاح .

وكان لمعرفته الشخصية بطبيعة أرض فلسطين وبمناطقها المناسبة للقتال
وبالطرق التقرية اليها وبمزايا أهلها ومزايا الروم ، أثر حاسم على انتصاره
في معارك فتح هذه البلاد ..

والظاهر أنه لم يكتف بالمعلومات المتيسرة لديه عن فلسطين ، بل أقدم
على مغامرة استطلاعية فذّة ، فقام بالاستطلاع الشخصي لمقر قائد الروم
(أرتوبون) ، فاطلع على نقاط الضعف في مواضع الروم - وبذلك انتصر
عليهم ، وكاد هذا النصر يكلفه حياته من جراء مغامرته الاستطلاعية هذه .

وكان لحضور عمرو الى مصر في جاهليته أثر كبير على معرفته بأحوال
مصر وأخبارها : طرقها وطبيعة أرضها ومدى الاضطهاد الديني والسياسي

(١٦١) الطبري (٢ / ٣١٥) ، وفي ابن الاثير (٢ / ٨٨) : ان أمه من (بلي) والصحيح أن
أم والده من بلي .

الذي يتحمله أهل مصر من الروم - فلا عجب أن يقدم عمرو على دخول مصر على رأس ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فقط ؛ إذ لولا تيسر المعلومات الكافية لديه عن مصر وأهلها وضعف حاميتها لما كان من المعقول أن يقدم على فتح مصر بمثل هذا العدد الضئيل من الرجال .

وكان عمرو يتمتع بحاسة معرفة تأثير طبيعة الأرض على المعركة ، فهو الذي أشار على قادة المسلمين في أرض الشام بالاجتماع في (البرموك) ، فلما نزل الروم معسكرهم انتقل المسلمون الى معسكر مناسب ونزلوا على طريق انسحاب الروم وليس للروم طريق الا على المسلمين !... حينذاك هتف عمرو : «أيها الناس ! أبشروا ، حصرت والله الروم ، وقل ما جاء محصور بخير !!» (١٦٢) .

وكان يؤمن بأهمية (الضبط) والطاعة والسيطرة ، لذلك كان يفرض على رجاله ضبطاً عالياً ويطالبهم بالطاعة المطلقة لأوامره ويسيطر عليهم سيطرة تامة ؛ ولعل منع رجاله - وفيهم بعض كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح - من إشعال النار ليلاً على الرغم من شدة البرد ، ليحول دون كشف مواضعهم للعدو ، مثال رائع لشدة ضبط عمرو وسيطرته النافذة على مروؤسيه بصرف النظر عن قيمتهم الاجتماعية .

وكان بعيد النظر ، يحسب لكل شيء حسابه بدقة واتقان ، ولا يترك أمراً تحت رحمة الصدفة ؛ فحين فزع أهل المدينة لبس عمرو سلاحه وقصد المسجد على حين تفرق المسلمون ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «ألا كان مفزعكم الى الله ورسوله ؟ ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان ؟» (١٦٣) . كما ان بعد نظره جعله يمنع رجاله من مطاردة قضاة بعد هزيمتها خوفاً من وجود مدد لها ، فيقع رجاله في كمين يكبدهم خسائر فادحة .

(١٦٢) الطبري (٢/٥٩٠-٥٩١) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

(١٦٣) مستد الامام أحمد بن حنبل (٢٠٣/٤) والاصابة (٣/٥) والرجلان هما : عمرو ابن العاص وسالم مولى أبي حليفة .

وكان عمرو يحارب بسيفه وعقله على حد سواء ! كان يباشر القتال بنفسه ، وقد باشر القتال في القلب ايام صفين فلما كان يوم من تلك الايام اقتتل أهل العراق وأهل الشام حتى غابت الشمس ، ثم اقتتلوا ساعة من الليل حتى كثرت القتلى بينهم ، فصاح عمرو بأصحابه : الأرض يا أهل الشام ، فترجلوا ودبّ بهم وترجل أهل العراق أيضاً ، فكان عمرو يقاتل وهو يقول :
وصبرنا على مواطن ضنك

وخطوب ترى البياض الوليدا

فأقبل رجل من أهل العراق وضرب عمراً ضربة جرحه على العاتق ، فأدركه عمرو فضربه ضربة قضت عليه (١٦٤) .

وكان يحارب بعقله كما يحارب بسيفه ، بل كان عقله أمضى حداً من سيفه ، فكان يحاول أن يحول المعركة بين معاوية وعلي من حرب السيوف الى حرب الفكر واللسان لكي يشل قوة رجال علي !

لقد عمل جاهداً على تشكيك علي بن ابي طالب بأخلص رجاله ، وأغرى بعض أهل الكوفة بالمال وبالوعود ليكونوا رتلًا خامساً بين صفوف قوات علي .

وقد منع أصحاب معاوية الماء عن أصحاب علي ، فلما غلب أصحاب علي على الماء استفاد عمرو من شهامة علي وإيمانه فأورد رجاله الماء بدون قتال (١٦٥) ولما حاقت الهزيمة بأهل الشام أشار عمرو على معاوية برفع المصاحف ، فدبّ الخلاف بين رجال علي : منهم من أجاب ومنهم من خالف لعلمه بأن رفعها خدعة ، وبذلك نجى أهل الشام من اندحار أكيد ، وتفرق شمل أهل العراق فلم يجتمع بعدها أبداً .

(١٦٤) طبقات ابن سعد (٢٥٤/٤-٢٥٥) .

(١٦٥) انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة (١٠٦-١٠٥) .

لقد كان عمرو يجيد حرب الدعاية ويؤمن بمبدأ : الحرب خدعة .

وكان يقدر أهمية توحيد القيادة وضرورة وجود قائد واحد يدير معركة واحدة على رأس قوة واحدة ، وعلى الرغم من حرصه الشديد على الامارة ، إلا أن التفاتته البارعة الى حصر القيادة بيده فقط في معركة ذات السلاسل كانت ذات أهمية بالغة من الناحية العسكرية البحتة ، لأن وجود قائدين على رأس قوة واحدة يؤدي الى الارتباك والبلبلة وضياع المسؤولية وتفرق الشمل وبعثرة الجهود .

لقد كان عمرو أوسع قواد المسلمين حيلة وأشدهم ذكاء ، وكان قائدا عقائدياً يتمتع بشخصية جبارة و ارادة حديدية وذكاء خارق ودهاء عجيب ، وكان يتحمل المسؤولية كاملة مهما تكن النتائج .

وكانت معاركه (تعرضية) ، يعمل على (مباغتة) عدوه كما فعل في فتح حصن بابلين ، وينجز (تحشيد قوته) قبل الاقدام على خوض معاركه كما فعل في طلب المدد قبل معركة ذات السلاسل وكما أشار باجتماع المسلمين في اليرموك قبل خوض هذه المعركة الحاسمة .

كما كان يحرص على تطبيق مبدأ (الأمن) ، لذلك حرص على السرى ليلاً والاختفاء نهاراً في مسير الاقتراب الى غزوة (ذات السلاسل) ، كما حرص على عدم ايقاد النار وعدم المطاردة في تلك المعركة ، وتلك أمثلة على تطبيقه مبدأ (الأمن) في المدى التعبوي . أما تطبيقه هذا المبدأ في المدى السوقي فمظهره في فتح ليبيا لتأمين مصر من الغرب ومحاولته فتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب .

وكان يبذل قصارى جهده لتأمين (تعاون) قواته وأرتاله في القتال ، كما كان (يديم معنويات) رجاله بشتى الوسائل قبل المعركة وفي أثناءها وبعدها ويسهر على توفير (الأمور الادارية) لقواته .

لقد كان قائداً مثالياً بكل ما في القيادة المثالية من معنى .

عمرو في التاريخ :

هناك اختلاف بين المؤرخين في تقدير أعمال عمرو إنساناً ، ولكن هناك اجماع بين المؤرخين على تقدير اعمال عمرو قائداً .

لقد كانت من ثمرات جهاد عمرو فتح فلسطين ومصر وليبيا - وهي بلاد لم يفتح غيره من قادة العرب في عهد الاسلام اوسع منها وأكثر خيراً .

إن التاريخ يذكر لعمرو دهاءه الفذ وإدارته الحكيمة للبلاد التي كان يحكمها ، ويذكر له جهاده في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده في حروب الردة وفتح فلسطين ومصر وليبيا .

إنه يحتل أنصع صفحات الفتح الاسلامي في كل تاريخ العرب والمسلمين . رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الاداري الداهية ، عمرو ابن العاص السهمي .

أبو أَمَامَة الْبَاهِلِي

فاتح العَرَبَة والدَّائِن من أرض فلسطين

(أنت مني وأنا منك)

(حديث شريف)

إسلامه :

أسلم أبو أَمَامَة واسمه : الصُّدَيّ بن عجلان الباهلي قبل (أحمّد) ، وقد شهد هذه الغزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند ضعيف فقد روي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال : « ادع الله لي بالشهادة » ، فقال : « اللهم سلمتهم وغنمهم »^(١) .

ومن المؤكد أنه أسلم قبل غزوة (الحُدَيْبِيَّة) التي حدثت في السنة السادسة للهجرة^(٢) ، فلما نزلت : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) ، قال أبو أَمَامَة : « يا رسول الله ! أنا ممن يابِعك تحت الشجرة » فقال : « أنت مني وأنا منك »^(٣) .

وأرسله رسول الله إلى قومه (باهلة) فأنهى إليهم وهو طائر^(٤) وهم يأكلون اللحم ، فقالوا : هلُمَّ ! فقال : « إنما جئت أهاكم عن هذا »^(٥) .

(١) الإصابة (٢٤٠/٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٩٥/٢) .

(٣) الإصابة (٢٤٠/٣) .

(٤) الطوى : الجوع ، وطاو : جائع .

(٥) الإصابة (٢٤٠/٣) .

وهذا يدل على انه كان موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

كان أبو أمامة في جيش يزيد بن أبي سفيان في طريقه من المدينة الى أرض الشام ، وفي الطريق علم يزيد أن الروم حشدوا قواتهم (بالعربية) (٦) من أرض فلسطين ، فوجه اليهم أبا أمامة فهزمهم ، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد (٧) ، فانسحب الروم الى (الدائن) (٨) وهناك هزمهم أبو أمامة أيضاً (٩) ، مما أدى الى رفع معنويات المسلمين من جهة وتحطيم معنويات الروم من جهة أخرى .

وكان بعد ذلك يقاتل تحت لواء أبي عبيدة في كافة معاركه ، فقد كان مع أبي عبيدة في فتح (قورس) (١٠) حيث واصل الجهاد ضد الروم ، ولا بد أن يكون قد أبلى أعظم البلاء في جهاده ، لأن قيامه بواجب قتال الروم لأول مرة يدل على أنه كان مجاهداً من الطراز الأول ، فليس من المعقول أن يغمد سيفه على الرغم من سكوت التاريخ عن ذكر تفاصيل جهاده في فتح أرض الشام وفي ساحات القتال الأخرى .

الانسان :

أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى قومه (باهلة) فأسلموا عن آخرهم على يديه (١١) ، وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه

(٦) حربة : موضع في أرض فلسطين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٣٨/٦) ، وهي قرب العقبة من الأردن في حدودها الحالية .

(٧) ابن الاثير (١٥٥/٢) والبلاذري ص (١١٧) ومعجم البلدان (١٣٨/٦) .

(٨) الدائن : ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٤) .

(٩) ابن الاثير (١٥٥/٢) .

(١٠) البلاذري (١٥٤) ومعجم البلدان (٢٨٥/٣) .

(١١) الاصابة (٢٤١/٣) .

وسلم^(١٢)، وكان يحدث الحديث كالرجل الذي يؤدي ما سمع . دخل عليه جماعة من المسلمين فقال لهم : « إن دخولكم عليّ رحمة لكم وحجة عليكم ، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء أشد خوفاً على هذه الأمة من الكذب والعصية ؛ إلا وإياكم والكذب والعصية ، ألا وإنه أمرنا أن نبليكم ذلك عنه ، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عنا ما قد بلغناكم^(١٣) . وكان يقول : « إن هذه المجالس من بلاغ الله إياكم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أرسل به إلينا ، فبلغوا عنا أحسن ما تسمعون^(١٤) » وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي حديث وسبعين حديثاً^(١٥) .

شهد (صفين) مع علي بن أبي طالب^(١٦) ، وقد قال : « شهدت صفين ، فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلاً^(١٧) .

سكن مصر ثم انتقل منها إلى حمص فسكنها ومات بها^(١٨) سنة ست وثمانين^(١٩) هجرية (٧٠٥ م) وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له من العمر مائة وست سنين^(٢٠) ، أي أنه ولد سنة عشرين قبل الهجرة (٦٠٢ م) .

(١٢) الاستيعاب (١٦٠٢/٤) .

(١٣) اسد الغابة (١٧-١٦/٣) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٤١٢/٧) .

(١٥) أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد - لابن حزم - ملحق بمجموع السيرة ص (٢٧٧) . وفي تهذيب الأسماء واللغات (١٧٦/٢) : أنه روى مائتي حديث وخمسين حديثاً .

(١٦) الاصابة (٢٤١/٣) .

(١٧) طبقات ابن سعد (٤١١/٧) .

(١٨) الاستيعاب (١٦٠٢/٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١٦٧/٢) .

(١٩) طبقات ابن سعد (٤١٢/٧) والاصابة (٢٤١/٣) . وفي تهذيب الأسماء واللغات

(١٧٦/٢) : أنه توفي سنة احدى وثمانين .

(٢٠) الاصابة (٢٤١/٣) .

لقد كان يهتم بمظهره ويصفّر لحيته (٢١) ، وكان كريماً مضيفاً شهماً
غيوراً صادقاً وفياً تقياً ورعاً يتفانى في سبيل عقيدته ومبادئه ، وكان من وجوه
قومه في الجاهلية والاسلام (٢٢) ومن مشهوري الصحابة (٢٣) .

القائد :

الظاهر أن أبا أمامة كان من أولئك القادة المشبعين بروح التعرض والمباغثة ،
وكان من القادة الشجعان الذين تستهويهم المغامرة ولا تخيفهم الأهوال ،
بدلنا على ذلك إقدام أبي أمامة على مهاجمة الروم في معركتين كبيرتين داخل
بلادهم وفي عقر دارهم ، إذ لا بد أن يكون الروم حينذاك قد حشدوا
قواتهم واستحضروا للقتال ، لأن الروم كان لها الوقت الكافي لتحشيد قواتهم
وإعداد كافة متطلباتها الادارية لتكون مستعدة لخوض معركة مدبرة ،
ولأن كل جيش يبذل قصارى جهده لا حراز النصر في المعارك الاولى التي ترفع
معنويات المنتصر وتخطم معنويات المندحر .

لقد كان لأبي أمامة شرف رفع معنويات المسلمين في المعارك الأولى ضد
ضد الروم ، ورفع المعنويات معناه إحراز نصف النصر كما يقولون .
إن انتصار أبي أمامة على الروم دليل على تمتعه بعقلية جواله وتفكير
صائب وإرادة قوية وشخصية نافذة وشجاعة نادرة وإقدام فذ ، كما أنه
كان قديراً على إصدار القرارات السريعة الجريئة الصائبة ، وكان موضع
ثقة وحب رجاله وروثائه على حد سواء ، كما أن تكليفه بهذا الواجب
دليل قاطع على ماضيه الناصع المجيد .

(٢١) طبقات سعد (٤١٢/٧) واسد الغابة (١٦/٣) .

(٢٢) الاصابة (٢٤١/٤) .

(٢٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٧٦/٢) .

أبو امامة في التاريخ :

لقد بجل التاريخ حقاً على أبي امامة في إعطائه حقه من التقدير والذكر ، ومن المؤلم ألا نجد في التاريخ تفاصيل تلقي ضوءاً ولو قليلاً على حياة هذا القائد العظيم .

إن أسامة بن زيد كان أول من جرّأ العرب على مهاجمة الروم فكان صاحب الفضل الأول في فتح أرض الشام . أما أبو امامة فكان صاحب الفضل بعد أسامة في اثبات مقدرة العرب عملياً على دحر الروم ، وكان صاحب الفضل في رفع معنوياتهم وجعلهم يستهينون بالروم غير مكترئين بتفوق الروم عددياً عليهم وأن الروم يقاتلون في بلادهم ويستندون على قواعد قريبة ، بينما جاء العرب المسلمون من مكان بعيد في عدد قليل وعدد بالية بالنسبة لعدد وعدد الروم .

أليس من العجوق ألا نعرف أبا امامة وفضله الكبير على فتح الشام ؟ إن أبا امامة فتح بمعاركه قلوب أهل الشام ، وقد فتح القادة الآخرون في معاركهم التالية ديار أهل الشام . رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الفقيه المحدث ، أبي امامة الباهلي .

أبو الأعور السلمي

فاتح طبرية (١)

اسلامه :

كان أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي قد شهد (حُنيناً) وهو مشرك مع مالك بن عوف النضري قائد المشركين يوم (حنين) ثم أسلم (٢) بعدُ هو ومالك وحدث بقصة هزيمة هوازن (بُحَيْن) (٣).

وقد اختلف في صحبته ، وأكثرهم يقول : بأنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما ينكر بعضهم صحبته (٤) ، وأرجح أنه كان صحابياً ، لأنهم لم يكونوا يؤمّرون في الفتوح غير الصحابة ، خاصة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥). وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث : « إنما أخاف على أمي شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، وإماماً ضالاً » (٦).

والظاهر أنه شهد تحت راية الرسول القائد غزواته الأخرى بعد حنين ،

(١) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢/٦) .

(٢) الاصابة (٣٠٢/٤) والاستيعاب (١٦٠٠/٤) .

(٣) الاستيعاب (١٦٠٠/٤) .

(٤) أنظر الاصابة (٣٠٢/٤) وأسد الغابة (١٠٩/٤) والاستيعاب (١١٧٨/٣) و (٤/٤) (١٦٠٠) .

(٥) الاصابة (١٩٤/٢) و (٣٠٩/١) .

(٦) أسد الغابة (١٠٩/٤) والاستيعاب (١١٧٩/٣) .

وبذلك نال أبو الأعور شرف الصلابة وشرف الجهاد تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

شهد أبو الأعور أكثر معارك الفتح في أرض الشام ، وكان على كردوس في معركة البرموك الحاسمة (٧) ، وشهد فتح دمشق ثم سرحه أبو عبيدة مع عشرة قواد آخرين الى (فحل) (٨) ، فتقدم جيوش المسلمين اليها ، فلما نزلها تركها أهلها وقصدوا (بيسان) ، فلما وصلت قوات المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسنة ، قدم أبا الأعور الى (طبرية) (٩) .

ولما فرغ شرحبيل من معركة (فحل) هاجم (بيسان) فحاصرها أياماً فخرج المدافعون عنها ولكنهم هُزموا ، فصالح شرحبيل أهل (بيسان) على مثل صلح دمشق . وبلغ أهل (طبرية) الخبر ، فصالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل ؛ فصالح شرحبيل أهلها على صلح دمشق أيضاً على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها ، فيدعون لهم نصفاً ويحتمعون في النصف الآخر ، وعن كل رأس دينار كل سنة ، وعن كل جريب أرض جريب بر أو شعير أي ذلك حرث ... الخ (١٠) .

ولما أنجز المسلمون فتح (الأردن) ، انصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد الى (حمص) ، وتوجه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة لإكمال فتح فلسطين ، فاستخلفا على (الأردن) أبا الأعور (١١) حتى لا يوثى

(٧) الطبري (٥٩٣/٢) .

(٨) فحل : اسم موضع بأرض الشام في ناحية الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٣٤٠) .

(٩) الطبري (٦٢٩/٢) .

(١٠) الطبري (٦٣٠/٢) وابن الأثير (١٦٦/٢) .

(١١) ابن الأثير (١٩٣/٢) .

المسلمون من الخلف أو من الجانب ، وحتى يكون الاردن قاعدة أمينة للمسلمين يندفعون منها لإكمال فتح أرض الشام ؛ فسيطر أبو الاعور على (الاردن) سيطرة ممتازة ، فلم يلحق جيوش المسلمين من جهته أي ضرر . وشهد غزوة (عمورية)^(١٢) وكان على جيش الشام ، كما شهد غزو جزيرة (قبرس) مع معاوية بن أبي سفيان^(١٣) ، وبقي الى آخر حياته يجاهد في صفوف أهل الشام .

الانسان :

كان أبو الاعور حليف أبي سفيان بن حرب الاموي^(١٤) ، وهذا يفسر لنا : لماذا ربط أبو الاعور مصيره بمصير معاوية بن أبي سفيان ، ولماذا أخلص له الاخلاص كله طيلة حياته .

لقد كان في عهد عمر بن الخطاب أحد القادة البارزين المعروفين بالصلاح ، فقد كتب عمر الى أمراء الآفاق أن يبعثوا اليه من كل عمل رجلاً من صالحها ، فبعثوا اليه أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر ، فاتفق أن الأربعة من بني سليم ، وكان أبو الاعور مبعوث أمير الشام^(١٥) ، وهذا يدل على أنه كان شخصية معروفة بحسن تصرفها وباتزانها ومنطقها السليم وذكائها الوقاد وحسن خلقها وتدينها ، لذلك استخلفه عمرو بن العاص وشرحبيل على الاردن في أخرج الظروف وهي أيام الفتح ، كما كان على الاردن في أيام عثمان بن عفان^(١٦) بعد أن جمع عثمان أرض الشام كلها لمعاوية^(١٧) ،

(١٢) عمورية : بلدة في بلاد الروم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٦ / ٦) .

(١٣) الاصابة (٣٠٢ / ٤) .

(١٤) الاصابة (٣٠٢ / ٤) .

(١٥) الاصابة (٣٠٢ / ٤) .

(١٦) الطبري (٤٤٦ / ٣) وابن الاثير (٧٢ / ٣) .

(١٧) أسد الغابة (٣٨٦ / ٤) والاصابة (١١٣ / ٦) وطبقات ابن سعد (٤٠٦ / ٧) .

فعمل أبو الاعور بامرة معاوية المباشرة طيلة عهد عثمان بن عفان .
وفي الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان ،
انحاز ابو الاعور الى جانب معاوية ، فشهد معه (صفين) (١٨) ، كما
شهد اجتماع الحكّمين مع أصحاب معاوية (١٩) .
ولا نه ف كيف ومتى انتهت حياته ، الا اننا نرجح أنه بقي على الاردن
حتى توفاه الله .

لقد كان من أعيان أصحاب معاوية (٢٠) ، بل كان من أعيان أهل الشام ،
فلا بد أن يكون متمتعاً بمزايا انسانية رفيعة جعلته يتبوأ هذا المركز المرموق .

القائد :

من الواضح أن أبا الاعور كان شجاعاً مقداماً جريئاً ، وكان الى جانب
ذلك ذا عقلية راجحة وذكاء لماع وقابلية على إدارة الرجال .

هذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
ومعاوية بن أبي سفيان ، فكان عليه مدار الحرب ، أيام فتح الشام وأيام
الفتح البحري ، كما كان عليه مدار الحرب في صفين (٢١) أيضاً على الرغم
من أنني لا أعتبر معركة (صفين) جهاداً ، لأن سيوف العرب كانت تأكل
العرب وكانت من قبل تأكل الفرس والروم .

وهذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة رجاله ، وجعلت قراراته وخططه
صحيحة صائبة ، فلم يفشل في أية معركة خاضها قائداً مسؤولاً أو قائداً
مروئوساً .

(١٨) ابن الاثير (١١٦/٣) والاصابة (٣٠٢/٤) والاستيعاب (١٦٠٠/٤) واسد الغابة
(١٠٩/٤) .

(١٩) ابن الاثير (١٢٨/٣) .

(٢٠) اسد الغابة (١٠٩/٤) .

(٢١) أسد الغابة (١٠٩/٤) .

انه كان شخصية قوية لها ارادة صلبة ، وكان يقاتل بسلاحين : عقله وسيفه .

ابو الاعور في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي الاعور جهاده المشرف في أرض الشام خاصة في معركة اليرموك وفي فتح طبرية وفي ادارة بلاد الأردن مدة طويلة تميزت بالهدوء والاطمئنان .

فهل تذكره اليوم (طبرية) ، أم نستع في خضم مأساتها القاصمة التي تعيشها في ظل إسرائيل؟؟

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، أبي الاعور السلمي .

معاوية بن أبي سفيان الأموي

فانح عرقة وقيسارية وعسقلان وقبرس

« اللهم اجعله هادياً مهدياً »

(حديث شريف)

امره :

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي ، ويكنى أبا عبد الرحمن (١) .

وأبوه هو أبو سفيان صخر بن حرب من أكبر تجار قريش ومن أكبر قادتها في الجاهلية . كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين . أسلم ليلة الفتح وشهد (حُنيناً) و (الطائف) وكان من المؤلفة قلوبهم . ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فخرج مجاهداً الى أرض الشام وقاتل يوم اليرموك تحت لواء ابنه يزيد وفقئت عينه يومئذ ، وكانت عينه الأخرى قد فقئت يوم الطائف ؛ وقد روى الامام سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول : يا نصر الله اقرب . قال : فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد » . وهذا يدل على أنه أسلم وحسن اسلامه ، ولا صحة لما يروى خلاف ذلك (٢) .

(١) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والاصابة (١١٢/٦) وأسد الغابة (٣٨٥/٤) والاستيعاب (١٤١٦/٣) والمعارف ص (٣٤٤) و (٣٤٩) .

(٢) انظر التفاصيل في الاصابة (٢٣٨/٣) وأسد الغابة (١٢/٣) والاستيعاب (٧١٤/٣) .

وأمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كانت امرأة لها نفس وأنفة ؛ شهدت (أحداً) كافرة مع زوجها أبي سفيان بن حرب ، فلما قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبت عليه ومثلت به وشقت بطنه واستخرجت كبده فشوت منه وأكلت ، لأنه كان قد قتل أباهما يوم (بدر) .

أسلمت يوم الفتح ؛ فلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، فقال : « لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن » ، قالت هند : « يا رسول الله . إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليّ حرج أن أصيب من طعامه من غير اذنه ؟ » ، فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرطب ولم يرخص لها في اليابس . وقال : « ولا يزنين » ، فقالت : « وهل تزني الحرّة ؟ » . وقال « ولا يقتلن أولادهن » ، فقالت : « وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر ؟ » وتوفيت هند في خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل : إنها ماتت في خلافة عثمان بن عفان (٣) .

لقد كان والد معاوية يتمتع بشخصية قوية وعقلية راجحة وكان سيداً في قومه قائداً لقواتهم ؛ وكانت أم معاوية تتمتع بشخصية قوية وعقلية راجحة ، وكانت معروفة بالدهاء بين نساء قومها ؛ فورث معاوية هذه الصفات العالية عن أمه وأبيه ؛ فلما جاء الاسلام ضاعفت الأحداث التي عاشها من تجاربه ، فتكاملت شخصيته ؛ إذ تيسر له الطبع الموهوب والعلم المكتسب .

نظر أبو سفيان الى معاوية وهو غلام ، فقال : « إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه » ؛ فقالت أمه هند : « قومه فقط ؟ ! » ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة (٤) . وكان معاوية

(٣) انظر التفاصيل في الاصابة (٢٠٦/٨) وطبقات ابن سعد (٢٣٥/٨) والاستيعاب (٤/١٩٢٢) . وفي المعارف (٣٤٩) : أنها أسلمت عام الفتح .
(٤) الاصابة (١١٣/٦) .

(بمضى) (٥٠) مع أمه إذ عثر ، فقالت : « قم لا رفعك الله » ، فقال لها أعرابي : « ليمّ تقولين له هذا ؟ ! والله إني لأراه سيسود قومه » ، فقالت : « لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه » (٦) .

اسلامه :

أسلم معاوية بعد (الحُدَيْبِيَّة) وكنم إسلامه حتى أظهره عام الفتح ، وكان في عمرة القضاء مسلماً (٧) ، قال معاوية : « أسلمت يوم القضية ولقيت النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً » (٨) ، وكان يكنم إسلامه عن أمه وأبيه (٩) .

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له ، وشهد معه (حُنبناً) و (الطائف) ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم (حُنين) مائة من الابل وأربعين أوقية (١٠) . وهاجر الى المدينة فأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أحد أصحابه (١١) . وكان زيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار ألزم الناس للقيام بواجب الكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تلاه معاوية بعد الفتح ، فكانا ملازمين للكتابة بين يديه في الوحي وغير ذلك ، لا عمل لهما غير ذلك (١٢) .

(٥) منى : الواحي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ١٥٨) .

(٦) الإصابة (١١٢/٦-١١٣) .

(٧) الإصابة (١١٢/٦) وأسد الغابة (٣٨٤/٤) وطبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) .

(٨) الاستيعاب (١٤١٦/٣) .

(٩) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والإصابة (١١٣/٦) .

(١٠) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) وسيرة ابن هشام (١٤٠/٤) .

(١١) سيرة ابن هشام (٢٢٣/٤) . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين معاوية وبين الحنات بن يزيد المجاشعي .

(١٢) جوامع السيرة لابن حزم (٢٦-٢٧) والسيرة الحلبية (٣٦٤/٣) .

لقد نال معاوية شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ - في الشام :

اجتمع الى أبي بكر بعض المجاهدين ، فأرسلهم مع معاوية وأمره بالحق بأخيه يزيد بن أبي سفيان (١٣) ، فشهد تحت راية أخيه معركة (اليرموك) وفتح (بُصرى) وفتح (دمشق) ، وكان على مقدمة يزيد بن أبي سفيان عند فتح (صَيْدَاء) و (عِرْقَة) و (جُبَيْل) و (بيروت) ، وتولى معاوية فتح (عِرْقَة) (١٤) في ولاية أخيه يزيد . ثم إن الروم غلبوا على بعض سواحل الشام في آخر خلافة عمر بن الخطاب وأول خلافة عثمان بن عفان ، فقصدهم معاوية وأعاد فتحها وأعاد ترميمها وشحنها بالمجاهدين وخصص لهم القطائع (١٥) يعيشون على وارداتها .

وكتب عمر بن الخطاب الى يزيد ، أن يوجه معاوية الى (قَبْسَارِيَّة) (١٦) بفتحها ، وكتب عمر الى معاوية يأمره بذلك ؛ فسار معاوية اليها وحصر أهلها ، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردّهم الى حصنهم ، ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألفاً (١٧) .

(١٣) ابن الاثير (٢/ ١٥٥) . وفي البلاذري ص (١١٦) : ان معاوية سار مع أخيه يزيد الى الشام وكان يحمل لواء جيش يزيد .

(١٤) عرق : بلدة في شرقي طرابلس الشام بينهما أربعة فراسخ . راجع معجم البلدان (٦/ ١٥٥) .

(١٥) ابن الاثير (٢/ ١٦٥) والبلاذري ص (١٣٣) .

(١٦) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ١٩٥) .

(١٧) الطبري (٣/ ١٠٠-١٠١) وابن الاثير (٢/ ١٩٢) والبلاذري ص (١٤٥-١٤٦) .

وتولى معاوية الشام بعد موت أخيه يزيد ، فكتب عمر الى معاوية يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين ، ففتح (عَسْقَلَان) (١٨) صلحاً (١٩) .
ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية أرض الشام ، وجه معاوية سفيان ابن مجيب الأزدي الى (طرابلس) ، ففتحها وكتب بالفتح الى معاوية (٢٠) .

٢ - فتح قبرس (٢١)

غزا معاوية في البحر غزوة (قُبْرُس) الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية قد استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له ؛ فلما ولي عثمان بن عفان كتب اليه يستأذنه في غزو قبرس ويعلمه قربها وسهولة فتحها ؛ فكتب اليه عثمان : « أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر - رحمه الله - حين استأمرته في غزو البحر » .

وعاد معاوية يهون على عثمان ركوب البحر الى (قبرس) ، فكتب اليه عثمان : « فإن ركبت البحر ومعك امرأتك ، فاركبه مأذوناً ، وإلا فلا ! » ؛ فركب معاوية البحر من (عَكَا) ومعه مراكب كثيرة ، وحمل امرأته فاخته بنت قرظة وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ؛ فلما وصل المسلمون (قبرس) نزلوا الى ساحلها ، فبعث اليهم حاكمها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها ، فصالحهم معاوية واشترط على أهل قبرس ألاّ ينصروا عدوهم عليهم ولا ينصروهم على عدوهم ؛ ولكنهم بعد حوالي ثلاث سنين أعانوا الروم على الغزاة المسلمين في البحر ، فغزاهم معاوية في خمسمائة مركب ففتح (قبرس) عنوة وقتل وسبي ،

(١٨) عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٧٤ / ٦) .

(١٩) البلاذري ص (١٤٨) .

(٢٠) ابن الأثير (١٦٦ - ١٦٥ / ٢) .

(٢١) قبرس : جزيرة في بحر الروم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦ / ٧) .



ثم أقرهم على صلحهم وبعث اليهم باثني عشر ألفاً من المجاهدين فبنوا بها المساجد ، ونقل إليها جماعة من (بَعْلَبَك) وبنى بها مدينة ؛ وبقي المجاهدون بالجزيرة الى أن توفي معاوية (٢٢) .

٣ - غزوة ذات الصواري :

وفي أيام عثمان أيضاً خرج قسطنطين بن هرقل في جمع لم تجمع الروم مثله مذ كان الاسلام ، فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة ، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم ، فأرسل المسلمون والروم وسكنت الريح ؛ فقال المسلمون : الأمان بيننا وبينكم ، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلّون . وقرب المسلمون صباح الغد سفنهم من سفن الروم ، وربطوا بعضها ببعض - سفن المسلمين بسفن الروم - واقتتلوا بالسيوف والخنجر ، فقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يصبروا مثله في موطن قط ؛ فخرج قسطنطين قائد الروم وانهمز الروم ، فلم ينج منهم إلا الشريد (٢٣) .

٤ - في أرض الروم :

وفي أيام عثمان أيضاً غزا معاوية الروم في عقر دارهم ، فغزا مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة ابنة قرظة وقيل فاخته (٢٤) ، فعاد من هذه الغزوة وقد أثر على معنويات الروم أسوأ التأثير ، إذ أصبحت حتى عاصمتهم مهددة بالغزو . وعاد معاوية بعد عام لغزو (حصن المرأة) من أرض الروم بناحية (مَلَطِيَّة) (٢٥) ؛ وهكذا استمر تعرض

(٢٢) البلاذري (١٥٧-١٥٨) والطبري (٣١٥-٣١٩) وابن الاثير (٣٦٣-٣٧) .

(٢٣) الطبري (٣٣٨-٣٤١) وابن الاثير (٤٤-٤٥) .

(٢٤) الطبري (٣٥٠) وابن الاثير (٥٠) .

(٢٥) مليطة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام . راجع للتفاصيل في معجم=

المسلمين بالروم في عقر دارهم مما أدى الى تحطيم معنويات الروم من جهة ورفع معنويات المسلمين من جهة أخرى .

٥ - شرقاً وغرباً :

توقف الفتح الاسلامي في أواخر أيام عثمان بن عفان وفي أيام الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية ، فأصبحت البلاد الاسلامية مهددة بالغزو من الروم .

ولما ولي معاوية الخلافة ، أستأنف الفتح في أيامه ، فسارت رايات الفاتحين شرقاً وغرباً : شرقاً أعيد فتح (سجستان) وفتحت (كابل) ، كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جِيَحُون) ، ففتحت (بُخارى) و (سَمَرْقند) و (تَرْمِذ) (٢٦) . وغرباً افتتح عُقْبَةُ بن نافع شمالي (إفريقية) واختط مدينة (الْقَيْرَوَان) وسكن المسلمون إفريقية وأسلم البربر وكانوا نصارى ، وفشا الاسلام الى أن اتصل ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسي (٢٧) .

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهناك مات أبو أيوب الأنصاري صاحب رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره هناك محفوظ مشهور الى اليوم (٢٨) .

لقد فُتحت كل هذه البلاد الشاسعة في أيام خلافته ، وذلك لأن العالم الاسلامي كان يعيش في استقرار نسبي لا تشوبه إلا ثورات الخوارج بين

= البلدان (١٥٠/٨) وانظر الطبري (٣/٣٦٠) وابن الاثير (٥٢/٢) حول غزوة معلوية لحصن المرأة .

(٢٦) انظر ابن الاثير (٣/١٧٤) وجوامع السيرة لابن حزم (٣٤٨-٣٤٩) .

(٢٧) جوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٤) وابن الاثير (٣/١٨٤) وأبو الفدا (١/١٨٧) .

(٢٨) جوامع السيرة لابن حزم (٣٤٥) وابن الاثير (٣/١٨١-١٨٢) وأبو الفدا (١/١٨٦) .

حين وآخر ، وهكذا فان الوحدة قوة والتفرقة خراب .
لقد مهد معاوية بهذه الفتوحات للمسلمين من بعده ، أن يفتحوا الأندلس
غرباً والهند شرقاً وتركستان كلها شمالاً ، وبذلك اسدى للفتح الاسلامي
أعظم الخدمات .

الانسان :

كان معاوية موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك جعله أحد
كتّابه (٢٩) ، ودعا له بقوله : « اللهم اجعله هادياً مهدياً » (٣٠) وبقوله :
« اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » (٣١) .

وعن معاوية قال : « اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء ،
فلما توضأ نظر الي فقال : يا معاوية ! إن وليت أمراً فاتق الله واعدل ؛
فما زلت أظن أني مبتلى بعمل » (٣٢) ، وقال معاوية : « ما زلت أطمع
في الخلافة مذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن وليت فأحسن » (٣٣)
وكان موضع ثقة أبي بكر الصديق أيضاً ، إذ ولاه جيشاً من جيوش
المسلمين وبعثه الى أرض الشام مدداً لأخيه يزيد (٣٤) .

وكان موضع ثقة عمر الفاروق ، إذ ولاه الشام بعد موت أخيه يزيد ؛

-
- (٢٩) الطبري (٤٢١/٢) وابن الاثير (١١٩/٢) وأبو الفدا (١٥٤/١) وطبقات ابن سعد
(٤٠٦/٧) والاصابة (١١٣/٦) وأسد الغابة (٣٨٥/٤) والاستيعاب (١٤١٦/٣) وجوامع
السيرة لابن حزم (٢٦) وشرحات الذهب (٦٥/١) والمعارف (٣٤٩) .
(٣٠) رواه الترمذي ، انظر مفتاح كنوز السنة للدكتور فنسك ص (٤٧٦) وتاريخ الخلفاء
للسيوطي ص (١٣٠) وأسد الغابة (٣٨٦/٤) .
(٣١) رواه الامام أحمد بن حنبل . انظر مفتاح كنوز السنة للدكتور فنسك ص (٤٧٦)
وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٠) .
(٣٢) الاصابة (١١٣/٦) .
(٣٣) أسد الغابة (٣٨٧/٤) .
(٣٤) ابن الاثير (١٥٥/٢) .

فقد بلغ عمر وفاة يزيد ، فقال لأبي سفيان : « أحسن الله عزاءك في يزيد رحمه الله » ، فقال له أبو سفيان : « مَنْ وليت مكانه ؟ » ، فقال : « أخاه معاوية » ، فقال أبو سفيان : « وصلتك رحم يا أمير المؤمنين » (٣٥) .

وكان موضع ثقة عثمان بن عفان ، إذ أقره وجمع له الشام جميعه (٣٦) ، فأخلص له معاوية المشورة والنصح (٣٧) .

لقد كان معاوية رجل دولة يحرص على الضبط والنظام ، وقد عمل على تطوير الحكم فنظم الشرطة وجعل عليها مسؤولاً يدير شؤونها ويسهر على أمر قيامها بواجباتها ، وكان له كاتب خاص وحرس خاص وحجّاب خاصون ، وكان له قضاة يقضون بين الناس ، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من قبل (٣٨) ، وأول من اتخذ المقصورة بالجامع ، وأول من استخلف بالبيعة (٣٩) وأول خليفة بايع لولده وأول من وضع البريد (٤٠) .

وكان من دهاة العرب المشهورين ، بل كان داهية العرب رأياً وحزماً ولساناً ، وكان له حلم ودهاء وجود بالمال ، قال يوماً : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت » ، فقليل : وكيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : « إذا مدّوها خلّيتها ، وإذا خلّوها مددتها » . وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالعطاء ، وربما احتال عليه فبعث به في الحروب

(٣٥) أسد الغابة (٣٨٦-٣٨٥/٤) والاستيعاب (١٤١٧/٣)

(٣٦) أسد الغابة (٣٨٦/٤) والاصابة (١١٣/٦) وطبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) .

(٣٧) أنظر الامامة والسياسة لابن قتيبة (٣٢-٢٩/١) .

(٣٨) الطبري (٢٤٤-٢٤٣/٤) وابن الاثير (٤/٤) .

(٣٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٤) .

(٤٠) أبو الفدا (١٨٩/١) .

وقدّمه (٤١).

ومن دهائه ، أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية قال : « هذا كسرى العرب » ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال : « أنت صاحب الموكب العظيم ؟ » قال : « نعم يا أمير المؤمنين ! » ، قال : « مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ! » ، قال : « مع ما يبلغك من ذلك ! » ، قال : « ولم تفعل هذا ؟ » ، قال : « نحن بأرض ، جواسيسُ العدو بها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت » ، فقال عمر : « ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس ! إن كان قلت حقاً إنه لرأي أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! » ، قال : « فمرني يا أمير المؤمنين » ، فقال عمر : « لا آمرك ولا أنهاك ! » ، فقال عمرو ابن العاص : « ما أحسن ما صدرَ الفتي عما أوردته فيه ! » فقال عمر : « لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه ! » .

وذم معاوية عند عمر يوماً ، فقال : « دعونا من ذم فتي قريش : من يضحك في الغضب ولا يتنال ما عنده إلا على الرضا ، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه (٤٢) » .

وكان يضرب بحلمه المثل : كان الرجل يقول لمعاوية : « والله لتستقيم بنا يا معاوية أو لنقومنك ! » ، فيقول : « بماذا ؟ » ، فيقول : بالخشب ! ! ، فيقول : « إذن نستقيم ! » وقال قبيصة بن جابر : « صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أثقل حُلماً ولا أبطأ جهلاً ولا أبعد أناة منه » (٤٣) . ودخل شاب من قريش على معاوية فأغلظ عليه ، فقال له : « يا ابن

(٤١) يعقوبي (٢١٢/١) .

(٤٢) الاستيعاب (١٤١٧-١٤١٨) .

(٤٣) تاريخ الخلفاء السيوطي ص (١٣٠) وانظر شذرات الذهب (٦٥/١) .

أخي ! أنهلك عن السلطان . إن السلطان يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد » . قال زياد بن أبي سفيان : « استعملت رجلاً فكثُر خراجه فخنني أن أعاقبه ففرّ الى معاوية ، فكتبت اليه : إن هذا أدب سوء لمن قبسلي ، فكتب اليّ : إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة : أن نلين جميعاً فتمرح الناس في المعصية ، ولا أن نشد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ؛ ولكن تكون للشدة والفظاظة ، وأكون للين والرأفة » (٤٤) .

وقال معاوية : « إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، وجهل أكبر من حلمي ، وعورة لا أوارىها بستري ، وإساءة أكثر من إحساني » . وقال لعبد الرحمن بن الحكم : « يا ابن أخي . إنك قد لحت بالشعر ، فإياك والشيب بالنساء فتعير الشريفة ؛ والهجاء ، فتعثر كريماً وتستثير لثيماً ؛ والمدح ، فانه طعمة الوقاح ؛ ولكن افخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزيّن به نفسك وتودّ ببه غيرك » . وسئل معاوية أي الناس أحب اليك ؟ قال : « أشدهم لي تحيياً الى الناس » . وقال : « العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطي العباد ، فاذا ذكرّ ذكر ، وإذا أعطي شكر ، واذا ابتلي صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا اساء استغفر ، وإذا وعد أنجز » . واغلظ لمعاوية رجل فأكثر ، فقيل له : أتحملم عن هذا ؟ فقال : « إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا » (٤٥) .

والحق إنه كان حليماً حازماً داهية عالماً بسياسة الملك ، وكان حلمه قاهراً لغضبه وجوده غالباً على منعه ، يصل ولا يقطع (٤٦) ؛ لذلك قال عنه عمر بن الخطاب : « تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية ؟ » (٤٧)

(٤٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٥) .

(٤٥) الطبري (٢٤٩ / ٤ - ٢٤٩) . وابن الأثير (٥ / ٤) .

(٤٦) أبو الفدا (١ / ١٨٨) .

(٤٧) الطبري (٢٤٤ / ٤) .

وكان عبد الله بن العباس يقول عنه : « ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية : ان كان يرد الناس منه على أرجاء وادٍ رجب » (٤٨) ... وقال ابن عمر : « ما رأيت أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود » (٤٩) من معاوية ، فقيل له : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي !! فقال : « كانوا والله خيراً من معاوية وأفضل ، ومعاوية أسود » (٥٠) .

وكان ابن عباس يقول عنه : « إنه فقيه » ؛ إذ أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس ، فأثنى ابن عباس وأخبره بذلك فقال : « دعه فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقيل لابن عباس : هل لك في أمير المؤمنين معاوية ، فإنه ما أوتر الا بواحدة ، فقال : « إنه فقيه » (٥١) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستين حديثاً (٥٢) كما كان معدوداً من أصحاب الفتيا من الصحابة (٥٣) .

وعلى الرغم من فضله ومزاياه الرفيعة ، فقد نازع علي بن أبي طالب الخلافة ، فلم يبايع علياً ثم حاربه واستقل بالشام ، ثم أضاف لها مصر ثم تسمى بالخلافة بعد الحكّمين ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن بن علي ، فسمي ذلك العام : عام الجماعة (٥٤) ، إذ لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي كما قال الامام أحمد بن حنبل (٥٥) ؛ فكان من آثار الفتنة الداخلية التي حدثت بين المسلمين إراقة كثير من دماء المسلمين

(٤٨) الطبري (٢٤٩/٤) .

(٤٩) أسود : من السيادة ، أي فيه سات السيادة والملك .

(٥٠) أسد الغابة (٣٨٩/٤) .

(٥١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨١/٧) والاصابة (١١٣/٦) .

(٥٢) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من المدد لابن حزم - ملحق بمجموع السيرة ص

(٢٧٧) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٠) .

(٥٣) أصحاب الفتيا من الصحابة لابن حزم - ملحق بمجموع السيرة ص (٣٢٠) .

(٥٤) الاصابة (١١٣/٦) .

(٥٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٣) .

وتوقف الفتح الاسلامي وطمع أعداء الاسلام بالمسلمين ، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام ، فخاف معاوية أن يشغله ذلك عما يحتاج الى تدبيره وإحكامه ، فوجه اليه فصاحبه على مائة الف دينار ، فكان معاوية أول من صالح الروم ؛ فلما استقام الأمر له أغزى أمراء الشام على الصوائف ، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة ، فطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعف المال فلم يجبه معاوية الى طلبه (٥٦) .

لقد كان طويلاً أبيض أجلىح (٥٧) ، جهم الوجه جاحظ العين وافر اللحية عريض الصدر وافر الاليتين قصير الساقين والفخذين (٥٨) ، وكان يعتني بملبسه ومأكله (٥٩) ، وكان يصفر لحيته فتصير وكأنها الذهب (٦٠) .

ولما حضرته الوفاة قال لابنه : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج لحاجة فأتبعته بأداة فكساني أحد ثوبيه الذي كان على جلده ، فخبأته لهذا اليوم . وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظفاره وشعره ذات يوم ، فأخذته وخبأته لهذا اليوم . فإذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي ، وخذ ذلك الشعر والأظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني ، فان نفع شيء فذاك ، والا فان الله غفور رحيم » . وقد توفي معاوية بدمشق في رجب لأربع ليال بقين منه سنة ستين للهجرة (٦١) ، وكان عمره خمساً وسبعين سنة (٦٢) أي أنه ولد سنة

(٥٦) اليعقوبي (١٩٣/٢) .

(٥٧) أجلىح : هودج ماله رأس مرتفع ، وسطح لم يحجز بحداد . يقصد : انه كان قصير الرقبة .

(٥٨) انظر الاصابة (١١٣/٦) واليعقوبي (٢١٣/٢) .

(٥٩) الاصابة (١١٤/٦) .

(٦٠) الاستيعاب (١٤٢٠/٣) .

(٦١) الاستيعاب (١٤١٩/٣-١٤٢٠) وانظر شذرات الذهب (٦٥/١) والمعارف (٣٤٩)

(٦٢) أبو الفدا (٦٨٨/١) والطبري (٢٤٠/٤) . وفي المعارف ص (٣٤٩) : إنه توفي

وهو ابن اثنتين وعثمانين سنة .

خمس عشرة قبل الهجرة (٦٠٨ م) وأوصى بنصف ماله يرد الى بيت المال ، كأن أراد أن يطيب له الباقي ، لأن عمر قاسم عمّاله .

ولما مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر وأكفان معاوية على يديه تلوح ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن معاوية كان عود العرب وحّد العرب ، قطع الله عز وجل به الفتنة ومملّكه على عباده وفتح به البلاد . الا انه قد مات ، فهذه أكفانه فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلّون بينه وبين عمله ، ثم هو البرزخ الى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضّر عند الأولى » (٦٣) . وقد توفي معاوية بدمشق ودفن بها ، وبذلك مات أول ملوك العرب بعد الاسلام بعد أن أمضى في الشام عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة (٦٤) .

لقد ادركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزعوا يداً من طاعة ولا فارقوا جماعة ، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية (٦٥) .

ووفد عليه المسور بن مخرمة ، فلما دخل عليه قال له معاوية : « ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور ؟ » فقال : « دعنا من هذا وأحسن فيما قدّمنا له » . قال : « والله لتكلمن بذات نفسك » ، فلم يدع المسور شيئاً يعيبه عليه إلاّ بيّنه له . فقال معاوية : « لا أتبرأ من الذنوب ، فما لك يا مسور ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفر الله لك ؟ ! » ، فقال المسور : « بلى » ؛ فقال معاوية : « فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني ؟ فوالله لما آتاني الاصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التي لست أحصيتها ولا تحصيها أكثر مما تلي ، وإني لعلّ دين يقبل

(٦٣) الطبري (٢٤٢/٤) وأسد الغابة (٢٨٧/٤) .

(٦٤) الاستيعاب (١٤١٨/٣) .

(٦٥) الاستيعاب (١٤٢٠/٣) .

الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات . والله لعلّ ذلك ما كنت لأُخَيَّرَ بين الله وبين ما سواه إلا اخترت الله على ما سواه .

ولم يجد عمر بن عبد العزيز سوطاً في خلافته إلا رجلاً شتم معاوية عنده ، فجلبه ثلاثة أسواط (٦٦) .

ومرّ عبد الملك بن مروان بقبر معاوية ، فوقف عليه وترحم ، فقال رجل : قبر من هذا ؟ فقال : « قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن فهم . إذا أعطى أغنى ، وإذا حارب أفنى ، ثم عجل له الدهر ما أخره لغيره ممن بعده .. هذا قبر أبي عبد الرحمن بن معاوية » (٦٧) .

القائد :

كانت سيرة معاوية إنساناً ولا تزال وستبقى موضع اختلاف بين محبيه ومبغضيه ، ولكن سيرته قائداً هي موضع تقدير وإعجاب الناس جميعاً ، على الرغم من أن سيرته إنساناً طغت على سيرته قائداً ، فضاعت فتوحاته العظيمة في خضم أعماله السياسية .

ولست أشك أن حسناته في الفتح ، تضع عن كاهله كثير أ من سيئاته في السياسة ؛ ولو أن معاوية اقتصر على أعماله في الجهاد والفتح ، لأصبح معدوداً من أعظم قادة الفتح الاسلامي .

فما هي مزاياه قائداً؟؟

قال معاوية : « أعنت على علي بثلاث : كان رجلاً ربما أظهر سرّه ،

(٦٦) الاستيعاب (١٤٢١/٣-١٤٢٢) .

(٦٧) ابن الاثير . وانظر بعض اخباره في العقد الفريد (١٢٥/٣-١٣٣) . وسئل الامام احمد بن حنبل . « أيما أفضل ، معاوية أو عمر بن عبدالعزيز » ؟ ، فقال : « لغير الحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبدالعزيز » انظر شذرات الذهب (٦٥/١) .

وكننت كتوماً لسرّي ؛ وكان في أخصب جند وأشدّه خلافاً عليه ، وكننت في أطوع جند وأقله خلافاً عليّ ؛ ولما ظفر بأصحاب الحمل لم أشك أن بعض جنده سيعدّ ذلك وهناً في دينه ، ولو ظفروا به كان وهناً في شوكته ؛ ومع هذا فكنت أحبّ الى قریش منه ، لأنني كنت أعطيهم ويمنعهم ، فكم سبب من قاطع الي ونافر عنه ، (٦٨) .

هذا الكلام يعطي فكرة واضحة عن بعض سمات قيادة معاوية ، فقد كان كتوماً لا يبيح بنواياه لأحد ، فيبقى خصمه في جهل مطبق لنواياه . إن كشف نوايا الخصم من أهم عوامل إعداد الخطط المناسبة لاجباطها ، لذلك نصت الكتب العسكرية على : « أن الكتمان من أهم عوامل المباغنة أهم مبادئ الحرب » .

ولا أشك أن تتمتع معاوية بمزية الكتمان سرت بالعدوى الى نفوس رجاله ، فأصبحوا يقدّرون أهمية الكتمان ، ولا يسألون عن أشياء ليست من اختصاصهم ؛ فقد اجتمع الحكماء أبو موسى الأشعري عن علي بن أبي طالب ورجاله ، وعمرو بن العاص عن معاوية ورجاله ، وكان مع أبي موسى الأشعري عبدالله بن عباس في أربعمئة رجل من أصحاب علي يصلي بهم ويولي أمورهم ؛ وكان عمرو بن العاص في أربعمئة رجل من أهل الشام ، فكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري هو بما جاء فيه قبل أن يقرأه ولا يسأله أهل الشام عن شيء ، وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن كل كتاب يصله من علي ، فان كنتمهم ظنوا به الظنون ، فقال لهم ابن عباس : « أما تعقلون ؟! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم أحد بما جاء به ولا يُسمع لهم صياح ، وانتم عندي كل يوم تظنّ فيّ الظنون » (٦٩) .

(٦٨) الاستيعاب (١٤٢٢/٢) .

(٦٩) ابن الاثير (١٣١/٣) .

وكان للاختلافات الناشئة في صفوف جيش علي ، أثر بالغ على تردّي ضبطه وطاقته ، ولسنا بصدد تعداد أسباب تلك الاختلافات إذ ليس هذا البحث ميداناً مناسباً لها ، ولكنني أعتقد أن معاوية ضلعاً في هذه الاختلافات ، فقد كان يكتب بعض رجالات أهل الكوفة سرّاً ويبدّل لهم المال ويغدق لهم الوعود ليعاونوه سرّاً أو جهراً على علي بن أبي طالب ، كما كان يبدّل قصارى جهده لإلقاء الشك في نفس علي في اخلاص بعض رجاله له ، فقد أرسل عليّ قيس بن سعد الذي كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم فتح مكة أميراً على مصر ، وكان من ذوي الرأي والبأس ؛ فلما وصل مصر خافه معاوية وحاول إغراءه بالوعد وإخافته بالوعيد فلم ينل منه شيئاً ، إذ كتب الى معاوية : « أما بعد . فالعجب من اغترارك بي وطمعك في واستسقاطك إياي !! اتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الخ » فلما رأى معاوية أنه لم تنجح في سعد حيلة ، كاد منه من قبل علي ، فقال لأهل الشام : « لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه ، فانه لنا شيعة . قد تأتينا كتبه ونصيحته سرّاً ! ألا ترون ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل (خَيْرِ بَنَاتٍ) (٧٠) يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم » ؛ وافتعل معاوية كتاباً عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك ، وقرأه على أهل الشام ، فبلغ ذلك علياً فأعظمه وأكبره ، ثم عزله ، فخسر بذلك أعظم أنصاره عقلاً وشجاعة . وقدم قيس الى علي بعد أن أمضى وقتاً بالمدينة المنورة ، فعلم عليّ من قيس أنه كان يقاسي أموراً عظيماً من مكابدة معاوية (٧١) ، وأنه كان ضحية من ضحايا تلك

(٧٠) خرجنا : كورة من كور مصر بالقرب من الاسكندرية . انظر معجم البلدان (٤١٤/٣) .

(٧١) ابن الاثير (١٠٦/٣) ، وقد غضب قيس لعزله فخرج من مصر مقبلاً الى المدينة

المكايد !

تُرى كم من الرجال استطاع معاوية أن يحرم علياً من معاونتهم بمثل هذه الأقوال ؟

ولم يقتصر معاوية على بثه دعايته لتحطيم معنويات خصومه ، فقد سلط جهاز دعايته على أهل الشام لرفع معنوياتهم ولجعلهم يقاتلون أهل العراق بضراوة وعن عقيدة وإيمان . فقد أشاع بينهم أنهم إنما يقاتلون طلباً لدم عثمان بن عفان (٧٢) ، وأن أعداءهم لا يصلون (٧٣) فهم يقاتلون تاركين الصلاة !!

وكان محبوباً من قريش ، لأنه كان يعطيهم بسخاء عطاء من لا يخشى الفقر : أعطى عقيل بن أبي طالب مائة ألف دينار ، وكان قد سأل أخاه علياً ، فقال : « إني محتاج ، وإني فقير ، فاعطني » ، فقال علي : « اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين » (٧٤) .

لقد كان علي يسير على هدى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، فكان خليفة لا ملكاً . أما معاوية ، فقد كان أول الملوك ، وكان ملكاً لا خليفة . دخل عليه سعد بن أبي وقاص لما استقر له الأمر ، فقال : « السلام عليك أيها الملك » ، فضحك معاوية وقال : « ما كان عليك يا أبا اسحاق لو قلت : يا أمير المؤمنين !! » ، فأجابه سعد : « أتقولها جذلان ضاحكاً ؟ ! والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به » (٧٥) .

« فأخافه مروان بن الحكم أمير المدينة ، فخرج منها قيس إلى علي ، فكتب معاوية إلى مروان يخطب عليه ويقول له : « لو أمددت علياً بمائة ألف مقاتل ، لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه » .

(٧٢) ابن الأثير (١٢٣/٣) .

(٧٣) ابن الأثير (١٢٤/٣) .

(٧٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٦) .

(٧٥) ابن الأثير (١٦٣/٣) .

لقد كان معاوية إذاً ، كئوباً ، يؤمن بأن : الحرب خدعة ، ويتخذ كافة الوسائل التي تؤمن له التغلب على عدوه ، وكان محبوباً من قومه ، وكان ذكياً يستشير رجاله ويثبت عيونه وأرصاده — كل ذلك أدى الى أن تكون خططه سليمة صائبة . وكان شجاعاً مقداماً ، أقدم على خوض معارك قاسية في البحار ، وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة .

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب ، نجد أنه (يختار مقصده ويديمه) و (يتعرض) بخصمه و (يباغته) ، وللنجاح بالتعرض والمباغته (يحدد قوته) ويحرص على (أمنها) و (يديم معنوياتها) ويؤمن لها (أمورها الادارية) .

إنه كان قائداً ممتازاً من كافة الوجوه .

معاوية في التاريخ :

يردد التاريخ آراء متضاربة حول معاوية الانسان ، ولكن التاريخ يجمع على تقدير معاوية القائد .

فقد شهد أكثر معارك فتح أرض الشام ، وفتح بنفسه (عيرقة) و (قيسارية) و (عسقلان) و (قبرس) ، وقاد غزوة (ذات الصواري) وغزوة مضيق (القسطنطينية) .

وفتح في أيامه أكثر شمالي (إفريقية) وأكثر بلاد السودان وفتح (كابل) وبعض أراضي (السند) و (بخارى) و (سمرقند) و (ترمذ) ، كما فتحت جزيرة (أرواد) (٧٦) و (رودس) (٧٧) كما حوصرت

(٧٦) أرواد : جزيرة في البحر غزاها المسلمون وفتحوها سنة ٥٤ هـ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٧/١) .

(٧٧) رودس : جزيرة للروم مقابل الاسكندرية على ليلة منها في البحر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٠/٤) .

القسطنطينية ، وأديم زخم الهجوم على الروم بصورة خاصة صيفاً وشتاءً !!
تلك فتوحات عظيمة ، نجعله ثاني الخلفاء فتحاً بعد عمر بن الخطاب من
وجهة سعة المناطق المفتوحة برأ ، وأول الخلفاء فتحاً من وجهة سعة المناطق
المفتوحة بجرأ .

فهل تشفع له هذه الفتوحات التي نشرت الاسلام في بلاد شاسعة
شرقاً وغرباً وفي البر والبحر عند من يُنحي باللوم على سيرته إنساناً ، أم
أن كل هذه الأعمال المجيدة غير كافية لتخفيف غلواء لومه ونقده عند
هؤلاء؟! .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الخليم الداهية ، القائد الفاتح ، معاوية
ابن أبي سفيان الأموي .

قائِة ففتح مصر

- ١ - عمرو بن العاص السهمي^(١)
- ٢ - الزبير بن العوام الأسدي
- ٣ - عبد الله بن حذافة السهمي
- ٤ - خارجة بن حذافة العدوي
- ٥ - عمير بن وهب الجمحي
- ٦ - عقبة بن عامر الجهني
- ٧ - عبادة بن الصامت الخزرجي

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص (١٢٣-١٦٣).

الزُبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ الْقُرَشِيُّ الْأَسَدِيُّ

قائد جيش المدد لفتح مصر وفاتح حصن بابلليون^(١)
والساعد الايمن لفاتح مصر

« لكن نبي حوارى (٢) ، وحواريّ الزبير »
(محمد رسول الله)

نسبه وایامه الاولى :

هو الزُبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ
الْقُرَشِيِّ الْأَسَدِيِّ^(٣) ، ويكنى : أبا عبدالله^(٤) .

وأمه : صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم عمه رسول الله صلى الله عليه

(١) بابلليون : اسم عام لديار مصر بلغة القدماء ، وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة .
انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠/١) و (٣٧٩/٦) ، وهذا الحصن هو موضع مدينة
الفسطاط يقع في القاهرة القديمة ولا تزال اطلاله باقية حتى اليوم .

(٢) حوارى : المخلص ، الخليل ، الناصر ، الذي تصلح له الخلافة . انظر الاستيعاب
(٥١٢/٢-٥١٣) والحواري : الناصر . انظر (١٦١/٥) من شرح الامام النووي على
صحيح الامام مسلم والرياض النضرة (٣٤٣/٢) . وسمي الحواريون : لياض ثياهم .
والحواري هو النسل بالنبطية لكنهم يحملون الحاء هاء . والحواري : هو الذي يصلح للخلافة ،
وهو الوزير ، وهو الناصر ، وهو الخالص ، وهو الخليل . انظر فتح الباري بشرح البخاري
(٦٤/٧) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٠٠/٣) والاصابة (٥/٣) وأسد الغابة (١٩٦/٢) والاستيعاب
(٥١٠/٢) .

(٤) المعارف ص (٢١٩) وأسد الغابة (١٩٦/٢) والرياض النضرة (٣٥٢/٢)
والبدع والتاريخ (٨٣/٥) .

وسلم^(٥) ، فهو ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم وابن أخي خديجة بنت خويلد أم المؤمنين^(٦) .

وأبوه : العوام بن خويلد ، قتل يوم (الفُجَّار) كما قتل جد الزبير لأبيه خويلد في الجاهلية^(٧) ؛ وكان العوام أبو الزبير خياطاً^(٨) .

وكان للزبير خمسة أخوة ، السائب وأمه صفية بنت عبدالمطلب ، وقد شهد (أحداً) والحندي ، وقتل يوم اليمامة . وعبدالرحمن وأسود وأصرم ويعلى ، ولم يعقب أحد منهم غير الزبير^(٩) .

يجتمع نسب الزبير ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصي ابن كلاب ، وينسب الى أسد بن عبد العزى بن قصي ، فيقال : الأسدي . وقد قال الزبير لابنه عبد الله : « كانت عندي أمك^(١٠) وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم خالتك عائشة ، وبينني وبينه من الرحم ما قد علمت ، وعمه أبي أم حبيبة بنت أسد جدته ، وأمي عمته ، وأمه أمنة وجدتي هالة بنت وهب بن عبد مناف ، وزوجته خديجة بنت خويلد عمي »^(١١) .

وقد تربى الزبير منذ نعومة أظفاره تربية خشنة عنيفة ، فكانت أمه تضربه ضرباً شديداً ليتعود الحياة القاسية فيلبي داعي الحرب ولا يقَرَّ في بيته كالنساء . وقد كسر الزبير يد غلام مثله يوماً فكان ذلك مدعاة لفخر أمه باقدامه وشجاعته ؛ وقد قاتل بمكة وهو غلام رجلاً فكسر يده وضربه ضرباً شديداً ، فكان ذلك مدعاة لفخر أمه بشجاعته واقدامه أيضاً^(١٢) .

(٥) المعارف ص (١٢٨ و ٢١٩) والاستيعاب (٥١٠/٢) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) . والبدء والتاريخ (٨٣/٥) .

(٦) أسد الغابة (١٩٦/٢) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) . (٧) المعارف ص (٢١٩) .

(٨) المعارف ص (٥٧٥) . (٩) المعارف ص (٢٢٠) .

(١٠) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة أم المؤمنين . وكانت أسماء تسمى : ذات الطاقين .

(١١) للرياض النضرة (٣٥٢/٢) .

(١٢) طبقات ابن سعد (١٠١/٣) والاصابة (٥/٣) .

لقد نشأ الزبير في بيت عريق رفيع العماد من قریش معروف بشجاعة رجاله أباً عن جد ، وتربى تربية تنمى فيه الشجاعة والاقدام وتوهمه لتحمل مسؤولياته كاملة في القتال .

مع النبي :

١- كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه مُحَبَّباً سهلاً ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، فجعل يدعو الى الله والى الاسلام مَنْ يثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه ؛ فأسلم بدعائه : عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ؛ فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا وصلّوا (١٣) ؛ وكان إسلامه بعد أبي بكر رابعاً أو خامساً (١٤) بين الرجال الاحرار ، وقد أسلم وهو ابن ست عشرة سنة (١٥) ؛ فعلقه عمه في حصير ودخن عليه ليرجع الى الكفر ، فكان يقول : « لا أكفر أبداً » (١٦) .

(١٣) سيرة ابن هشام (٢٦٨/١) وعيون الاثر (٩٤/١) والسيرة الحلبية (٣١٢/١) .
(١٤) طبقات ابن سعد (١٠٢/٣) والرياض النضرة (٣٥٣/٢) وصفة الصفوة (١/١٣٣) والبدع والتاريخ (٨٣/٥) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٧/٥) وذيل المذيل للطبري ص (١١) وأسد الغابة (١٩٧/٢) . وانظر تسلسل الذين أسلموا من الرجال الاحرار في جوامع السيرة ص (٤٥-٤٦) وهم : ١- أبو بكر ٢- عمرو بن عبسة السلمي ٣- خالد بن سعيد ابن العاص ٤- عثمان بن عفان ٥- الزبير بن العوام . فهو خامس من أسلم ، وهذا بالطبع تسلسل الرجال الاحرار فقط ، ولا يشمل النساء ولا الصبيان ولا الموالي وغير الاحرار .

(١٥) طبقات ابن سعد (١٠٢/٣) وذيل المذيل للطبري ص (١١) وحلية الاولياء (١/٨٩) والرياض النضرة (٣٥٣/٢) . وهناك اختلاف في سنة عند اسلامه . انظر الاصابة (٣/٥) وأسد الغابة (١٩٦/٢) والاستيعاب (٥١٠/٢) ، ونرجح ما ذكرناه أعلاه لاقتران أكثر المصادر على ذكره وحده فقط ، ولذكركه في المصادر الاخرى مع غيره ، ولأن الزبير عندما أسلم عد من الرجال ولم يذكر بين من أسلم من الصبيان ، والرجل لا يكون عمره أقل من ست عشرة سنة .

(١٦) الاصابة (٥/٣) وحلية الاولياء (٨٩/١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٦/٥) والبدع والتاريخ (٨٣/٥) .

٢ - هاجر الزبير الى الحبشة المجرتين (١٧) حيث لقي المسلمون فيها رعاية خاصة من النجاشي ملك الحبشة . وعندما كان المسلمون هناك ، نازع النجاشي "رجل" من الحبشة ، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً . ودارت بين جيش النجاشي وجيش عدوه رحى معركة حامية ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ، ثم يأتيها بالخبر ؟ » ، فقال الزبير : « أنا » وكان من أحدث القوم سناً ، فنفخوا له قرية فجعلها في صدره ، ثم سح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ! وانتصر النجاشي على عدوه ، فعاد الزبير الى المسلمين ليبشرهم بهذا النصر قائلاً : « ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ، ومكّن له في بلاده » ، ففرح المسلمون المهاجرون بذلك فرحاً شديداً (١٨) .

وعاد الزبير من الحبشة الى مكة حين بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا الى أرض الحبشة ، اسلام أهل مكة ، فلما دنوا من مكة علموا ان خبر اسلام قريش الذي بلغهم عار عن الصحة ، فلم يدخل مكة أحد من المسلمين العائدين الا بجوار أو مستخفياً (١٩) ، فوجدوا البلاء والاذى على المسلمين الذين بمكة ، فصبروا على الاذى الى أن هاجروا من مكة الى المدينة (٢٠) .

وحين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين في مكة ، آخى بين الزبير وبين عبد الله بن مسعود (٢١) .

-
- (١٧) ذيل المنيل للطبري ص (١١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) وسيرة ابن هشام (٣٤٤/١) .
 (١٨) سيرة ابن هشام (٣٦١/١) .
 (١٩) سيرة ابن هشام (٣٨٩/١) وعيون الاثر (١٢٠/١) وجوامع السيرة ص (٦٥) .
 (٢٠) جوامع السيرة ص (٦٦) .
 (٢١) الاستيعاب (٥١١/٢) وأسد الغابة (١٩٧/٢) والاصابة (١٠٤/٣) .

وفي مكة كان الزبير أول من سلّ سيفه في سبيل الله من المسلمين ، فقد أرجف المشركون : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل » ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مالك يا زبير ؟ ! » فقال : « أخبرت أنك أخذت ! » فصلى عليه ودعا له ولسيفه (٢٢) .

٣- ولما أذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة الى المدينة هاجر الزبير وحده ولم يكن احد من المهاجرين معه (٢٣) ؛ فلما قدم المدينة نزل على المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح (٢٤) بالعُصبة (٢٥) ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش (٢٦) حين آخى بين المهاجرين والانصار (٢٧) . ولما خط النبي صلى الله عليه

(٢٢) الاستيعاب (٥١١/٢) والاصابة (٦/٣) والرياض النضرة (٣٥٤/٢) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٧/٥) وحلية الأولياء (٨٩/١) وغلصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) .

(٢٣) تهذيب ابن عساكر (٣٥٨/٥) .

(٢٤) المنذر بن محمد بن عقبة الانصاري الخزرجي : شهد بدرأً وأحدأً واستشهد يوم بئر معونة . انظر الاصابة (١٤٠/٦) وأسد الغابة (٤٢٠/٤) والاستيعاب (١٤٥١/٤) .
(٢٥) العصبة : موضع يقبأ في ضواحي المدينة المنورة . انظر معجم البلدان (١٨٣/٦) .
وانظر طبقات ابن سعد (١٠٢/٣) وجوامع السيرة ص (٨٩) وسيرة ابن هشام (٩١/٢) حول نزول الزبير على المنذر بن محمد الانصاري الخزرجي .

(٢٦) سلمة بن سلامة بن وقش الانصاري الاشعري : أبو عوف ، شهد العقبة الاولى والثانية وشهد بدرأً والمشاهد بعدها ، وكان يؤم بني عبد الاشهل . ولاء عمر اليمامة ، ومات سنة أربع وثلاثين ، وقيل بل تأخر الى سنة خمس وأربعين وبه جزم الطبري ، ومات وهو ابن أربع وسبعين سنة وهو بالمدينة . انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٤٣٩/٣) والاصابة (١١٦/٣) وأسد الغابة (٣٣٦/٢) والاستيعاب (٦٤١/٢) .

(٢٧) الاستيعاب (٥١١/٢) واسد الغابة (١٩٧/٢) وجوامع السيرة ص (٩٦) وسيرة ابن هشام (١٢٥/٢) . وفي طبقات ابن سعد (١٠٢/٣) : أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين الزبير وبين طلحة بن عبيد الله في رواية ، وبين الزبير وبين كعب بن مالك في رواية أخرى .

وسلم الدور بالمدينة ، جعل للزبير بَقِيْعاً (٢٨) واسعاً (٢٩) .

٤ - وبدأ الزبير بالمدينة صفحة جديدة لجهاده وجهوده في سبيل الله ، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مع ثلاثة آخرين من أصحابه (٣٠) يتحسسون خبر المشركين من قريش على ماء (بدر) فوجدوا روايا قريش فيها سقائهم فأخذوهم . واستنطقهم الرسول القائد فعرف منهم مكان قريش وعددهم (٣١) .

وكان مع المسلمين يوم (بدر) فرسان ، أحدهما للزبير (٣٢) ، وكان في هذه المعركة على الميمنة (٣٣) ، وكانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها ، وكانت على الملائكة يومئذ عمام صفر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة نزلت على سيما الزبير » (٣٤) . وقد قتل الزبير في هذه المعركة عبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية (٣٥) وقتل عمه : نوفل بن خويلد بن أسد (٣٦)

(٢٨) البقيع : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى . وهناك بالمدينة بقيع الزبير فيه دور ومنازل . انظر معجم البلدان (٢٥٤/٢) .
(٢٩) طبقات ابن سعد (١٠٣/٣) .

(٣٠) هم : علي بن أبي طالب وسعد ابن أبي وقاص وبسيس بن عمرو .
(٣١) طبقات ابن سعد (١٥/٢) وجوامع السيرة ص (١١٠) وسيرة ابن هشام (٢٥٥/١)
(٣٢) طبقات ابن سعد (١٠٣/٣) وجوامع السيرة ص (١١٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٨٥/٥) . وفي طبقات ابن سعد (١٤/٢) : وكانت الخيل فرسين ، فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمروث بن أبي مروث الغنوي .. انتهى . والاول أصح لاجتماع كافة المصادر عليه ومنها طبقات ابن سعد أيضاً . وفي سيرة ابن هشام (١٣٢/٢) : أن فرس الزبير كان اسمه : يمسوب .

(٣٣) صفة الصفوة (١٣٢/١) والرياض النضرة (٣٥٥/٢) .
(٣٤) طبقات ابن سعد (١٠٣/٣) والاصابة (٥/٣) وأسد الغابة (١٩٧/٢) والاستيعاب (٥١٣/٢) والرياض النضرة (٣٥٥/٢) . والاعتجار : لف العمامة على الرأس . والسيما : العلامة .

(٣٥) جوامع السيرة ص (١٤٧) وسيرة ابن هشام (٣٥٦/٢) .

(٣٦) جوامع السيرة ص (١٤٨) .

عدا الذين قتلهم من غير المعروفين أو الذين نساهم التاريخ ، حيث قاتل قتالاً رهيباً حتى أحدث فلكة فلها في سيفه (٣٧) ، وحتى جرح جرحين غائرين (٣٨) .

وشهد غزوة (أحد) ، فكان من المعدودين الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة بعد فرار المسلمين ، وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة على الموت (٣٩) .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يوم (أحد) رجلاً يقتل المسلمين قتلاً عنيفاً ، فقال : « قم اليه يا زبير » ، فرقى اليه الزبير حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتقه فأقبلا ينحدران حتى وقعا الى الأرض ، فوقع الزبير على صدره وقتله (٤٠) .

لقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم للزبير يوم (أحد) أبويه تقديرًا لجهاده المشرف ، فقد قال الزبير : « جمع لي الرسول صلى الله عليه وسلم يوم (أحد) أبويه » (٤١) . وقالت عائشة : « كان أبو بكر والزبير ممن استجاب لله والرسول من بعدما أصابهم القرع بعد (أحد) » (٤٢) .

وكان الزبير يقاتل الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ،

(٣٧) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٢٣٣) . والفلة بفتح الفاء فلها : أي كسر قطعة من حد سيفه .

(٣٨) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٢٣٣) .

(٣٩) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٤) وصفة الصفوة (١ / ١٣٢) .

(٤٠) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٨) .

(٤١) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٩) وصفة الصفوة (١ / ١٣٣) وخلاصة تهذيب الكمال

(١٠٣) والرياض النضرة (٢ / ٣٥٧) وسنن الامام ابن ماجة (١ / ٢٠) .

(٤٢) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٥) والاصابة (٢ / ٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٨)

وسنن الامام ابن ماجة (١ / ٣٠ - ٣١) وشرح النووي على مسلم (٥ / ١٦١ - ١٦٢) .

فقال : « من يأتي بني قريظة فيقاتلهم ؟ » فتطوع الزبير وقاتلهم ^(٤٣) .
 وندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق ، فانتدب الزبير ، ثم
 ندبهم فانتدب الزبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي حواري ،
 وحواري الزبير » ^(٤٤) ، وجمع له يومئذ أبويه ، فقال : « فذاك أبي
 وأمي » ^(٤٥) . وكان الزبير يقول : « جمع لي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أبويه مرتين : في أحد وفي قريظة » ^(٤٦) .

وشهد الزبير فتح (خَيْبَرَ) ، فكان سهمه من مقاسم خير بالحوء
 من النطاة ^(٤٧) .

وقبيل حركة المسلمين الى فتح مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة
 الى قريش كتاباً يخبرهم فيه بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فدعا
 النبي علي بن أبي طالب والزبير والمقداد - وهم فرسان - وقال لهم : « انطلقوا
 الى (روضة خاخ) » ^(٤٨) فان بها ضعينة ^(٤٩) معها كتاب لقريش

(٤٣) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٦٤/١) وشرح النووي على مسلم (١٦١/٥) وفتح
 الباري بشرح البخاري (٦٥/٧) .

(٤٤) فتح الباري بشرح البخاري (٦٤/٧) وشرح النووي على مسلم (١٦/٥) .
 وندب : أي دعاهم للجهاد وحرصهم عليه .

(٤٥) شرح النووي على مسلم (١٦١/٥) ومسند الامام أحمد بن حنبل (١٦٤/١) وصفة
 الصفوة (١٣٤/١) وطبقات ابن سعد (١٠٦/٣) .

(٤٦) الرياض النضرة (٣٥٧/٢) والاستيعاب (٥١٣/٢) وأسد الغابة (١٩٧/٢) .

(٤٧) جوامع السيرة ص (٢١٤) وسيرة ابن هشام (٤٠٥/٣) .

أ - الخوء : جبل أو موضع قرب خير معروف . انظر معجم البلدان (٤٩٠/٣) .

ب - النطاة : اسم لارض خير واسم حصن بخير ، واسم عين تسقى بها بمض قراها . انظر
 التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٧/٨) .

(٤٨) روضة خاخ : موضع على المقيق يبعد حوالي عشرين ميلا عن المدينة المنورة بين المدينة ومكة
 بقرب حمراء الاسد من المدينة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٤/٣) .

(٤٩) الضعينة : المرأة في هودجها ، وقد يقال لها ضعينة وان لم تكن في الهودج .

فانطلقوا وأتوا بالكتاب النبي صلى الله عليه وسلم (٥٠).

وكان الزبير يوم فتح مكة على المجنبية اليسرى ، وكان معه إحدى رايات المهاجرين الثلاثة (٥١) . وحين فرق الرسول القائد جيشه من (ذي طوى) حسب الخطة المرسومة لدخول مكة من جميع أطرافها ، أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من (كُدى) (٥٢) ، فكان أحد قادة المسلمين في فتح مكة .

ويوم (حُنين) طاعن الزبير المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم (٥٣) ؛ وكان قائد المشركين يراقب سير القتال ، فأخبره أصحابه أنهم يرون فارساً واضعاً رمحاً على عاتقه (٥٤) عاصباً رأسه بملاءة (٥٥) حمراء ، فقال : « هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللائات ليخالطنكم فاثبتوا له » ، فلما انتهى الزبير الى مواضع المشركين وأبصرهم ، قصدهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزالهم (٥٦) عنها (٥٧) .

لا عجب - وهذا مبلغ إخلاص الزبير في جهاده لتكون كلمة الله هي

(٥٠) جوامع السيرة ص (٢٢٦) وسيرة ابن هشام (١٦/٤) والطبري (٢٢٨/٢) .
(٥١) طبقات ابن سعد (١٠٤/٣) و (٢٦/٤) والطبري (٣٣٤/٢) . وفي رواية : انه كان على كل المهاجرين والانصار . انظر الطبري (٢٣١/٢) .
(٥٢) سيرة ابن هشام (٢٥/٤ - ٢٦) وجوامع السيرة ص (٢٣١) والطبري (٢٣٤/٢) .
أ - ذو طوى : واد بمكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٤/٦) .
ب - كدى : موضع بأسفل مكة عند ذي طوى . انظر معجم البلدان (٢٢٠/٧) و (٧/٢٢٣) .

(٥٣) تهذيب ابن عساكر (٣٥٩/٥) .
(٥٤) العاتق : ما بين المنكب والعتق .
(٥٥) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة .
(٥٦) اللات : اسم صنم بالطائف كانت تمجده قريش وثقيف وجميع العرب . انظر التفاصيل في كتاب الاصنام للكلبي ص (١٦) ومعجم البلدان (٣٠٩/٧) .
(٥٧) ازالهم عنها : أزالهم .
(٥٨) سيرة ابن هشام (٨٩/٤) .

العليا ؛ لم يتخلف عن غزوة غزاها الرسول القائد (٥٩) ، ونحمل في سبيل ذلك ما تحمل حتى لم يبق له عضو من أعضائه إلا قد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى فرجه (٦٠) — أن يكون أحد العشرة المبشرين بالجنة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض (٦١) ، وأن يدينه الرسول صلى الله عليه وسلم ويمحضه الحب فيكون هو وعلي ابن أبي طالب أكرم الناس عليه (٦٢) ، وأن يقطعه نخلاً كانت من أموال بني النضير (٦٣) ويرخص له في لبس الحرير (٦٤) .

جهاده :

١ — بعد أن ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة من كل قبيلة ، وذلك بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ونجم النفاق واشترأت اليهود والنصارى ، وأصبح المسلمون كالغيم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم وقتلهم وكثرة عدوهم (٦٥) — في ذلك الموقف الحرج — بعث عبس وذبيان ومن انضم اليهم من بني كنانة وغطفان وفزارة جمعاً منهم أقامت على مقربة من المدينة ، وأرسل رؤساء هذه الجموع وفوداً منهم الى المدينة لمفاوضة أبي بكر : يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ! فكان جواب أبي بكر قوياً حاسماً : « والله لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه » (٦٦) .

(٥٩) ذيل المذيل ص (١١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وحلية الاولياء (٨٩/١) وطبقات ابن سعد (١٠٤/٣) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) وأسد الغابة (١٩٨/٢) .

(٦٠) أسد الغابة (١٩٧/٢) .

(٦١) المعارف ص (٢٢٠) والاستيعاب (٥١٣/٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٥/٥) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) والاصابة (٥/٣) وأسد الغابة (١٩٨/٢) والرياض النضرة (٣٥٩/٢) وتأريخ الخلفاء للسيوطي ص (٣٦) .

(٦٢) الاستيعاب (٥١٤/٢) .

(٦٣) طبقات ابن سعد (١٠٤/٣) والحراج ص (٧٣) .

(٦٤) طبقات ابن سعد (١٠٣/٣) وذلك لحكمة كانت به . أنظر الرياض النضرة (٣٦٥/٢) .

(٦٥) الطبري (٤٦١/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢) .

(٦٦) الطبري (٤٧٦/٢) وابن الاثير (١٣١/٢) .

وعادت تلك الوفود الى قبائلها بعد أن اطلّعت على نقاط الضعف في دفاعات المدينة : مداخلها ومخارجها ، وقلة المدافعين عنها ؛ فأُنذر أبو بكر أهل المدينة بالخطر ، وحشد المقاتلين بعدة القتال في المسجد لرد العدوان الخارجي المحتمل ، وجعل على مداخل المدينة علي بن أبي طالب والزبير وعبد الله بن مسعود (٦٧) .

ولم يلبث أهل المدينة الا ثلاثة أيام ، حتى زحف عليهم مانعو الزكاة ، فأحسّ العسّس (٦٨) المقيمون على مداخل المدينة قدوم القبائل ، فأرسل علي بن أبي طالب والزبير وطلحة بن عبيد الله بالخبر الى أبي بكر ، فأجابهم : « الزموا أماكنكم » ، وخرج في أهل المسجد على الإبل حتى بلغ مواقع القبائل المهاجمة (٦٩) ، فاستطاع التغلب عليهم ودفع خطرهم عن المدينة (٧٠) .

وكان الزبير أحد كبار المهاجرين من أمثال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف يؤلفون : هيئة شورى أبي بكر ؛ فكان مركز القيادة العامة قوياً بهم وبما يضعون من خطط ويدبرون من أمور ؛ فكان الزبير أحد الذين أشاروا على أبي بكر بغزو أرض الشام (٧١) .

وسار الزبير مع المجاهدين في أيام أبي بكر الى أرض الشام ، فشهد معركة (اليرموك) الحاسمة قائداً لأحد الكراديس (٧٢) ، فحمل على الروم حتى شق صفوفهم ثم عاد أدراجه وقد جرح جرحاً غائراً (٧٣) .

(٦٧) الطبري (٢/٤٧٦ - ٤٧٧) وابن الأثير (٢/١٣١) .

(٦٨) المس : الخفراء ، الحراس اليليون . وعس : طاف بالليل . وعسس : جمع عاس كخادم ، جمعها : خدم .

(٦٩) الطبري (٢/٤٧٧) .

(٧٠) انظر التفاصيل في الطبري (٢/٤٧٧ - ٤٧٩) وابن الأثير (٢/١٣١ - ١٣٢) .

(٧١) أنظر : الصديق أبو بكر للدكتور هيكل الطبعة الرابعة ص ٢٦٨ .

(٧٢) تهذيب ابن عساكر (٥/٣٥٥) والطبري (٢/٥٩٤) .

(٧٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٢٣٣ - ٢٣٤) .

وشهد الزبير (الجالية) (٧٤) مع عمر بن الخطاب (٧٥) حين قدم من المدينة على رأس جيش من المسلمين الى أرض الشام مدداً لأبي عبيدة ابن الجراح الذي تحشد الروم بقوات ضخمة لغزوه (٧٦).

٢ - ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل (٧٧)، فكتب الى عمر بن الخطاب يستمده (٧٨)، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً (٧٩)، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل عليهم من الصحابة الكبار: الزبير والمقداد بن الأسود وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن مخلد؛ وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع (٨٠)، فشهد مع عمرو بن العاص فتح مصر (٨١).

وكان الزبير قد همَّ - بالغزو وأراد إتيان (إنطاكية) فقال له عمر: «يا أبا عبد الله! هل لك في ولاية مصر؟»، فقال: «لا حاجة لي فيها، ولكن أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً، فإن وجدت عمرأ قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت الى بعض السواحل فربطت به، وإن وجدته في جهاد كنت معه»، فسار على ذلك (٨٢).

(٧٤) الجالية: قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣).

(٧٥) تهذيب ابن عساكر (٣٥٥/٥).

(٧٦) انظر التفاصيل في الطبري (١٥٥/٣-١٦١).

(٧٧) البلاذري ص (٢١٤).

(٧٨) فتوح مصر والمغرب لابن عبدالحكم ص (٩١).

(٧٩) البلاذري ص (٢١٤) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٢).

(٨٠) معجم البلدان (٣٨٧/٦) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٢).

(٨١) البلاذري ص (٢١٦) وأسد الغابة (١٩٨/٢) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٣).

(٨٢) البلاذري ص (٢١٤).

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن (بَابِلْيُون) ، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ، ثم فَرَّقَ الرجال حول الخندق (٨٣) . وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر ، فقبل للزبير : إن بها الطاعون ، فقال : « إنما جئنا للطنن والطاعون » (٨٤) .

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص ، فقال الزبير : « إني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » ، فوضع سلماً وأسنده الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعاً ، فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف ، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر ، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، وبذلك فتح حصن بابلون أبوابه للمسلمين (٨٥) ، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر .

وعقد عمرو بن العاص والمقوقس صلحاً بعد استسلام حصن بابلون للمسلمين ، وكان الزبير وابنه عبد الله وابنه محمد شهوداً على وثيقة الصلح بين الطرفين (٨٦) ، فاخطت الزبير بمصر وابنتي بها داراً معروفة (٨٧) .

ولما أنجز عمرو بن العاص بمعاونة الزبير فتح مصر ، قال الزبير : « أقسمها يا عمرو » فأبى إلا أن يأتيه أمر عمر بن الخطاب بذلك ، فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ، فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب ، فلم يوافق عمر على قسمتها (٨٨) .

(٨٣) فتوح مصر والمغرب ص (٩٢) .

(٨٤) طبقات ابن سعد (١٠٧/٣) والبلاذري ص (٢١٥) .

(٨٥) فتوح مصر والمغرب ص (٩٤) ومعجم البلدان (٣٧٨/٦) والبلاذري ص (٢١٥) .

(٨٦) انظر نص وثيقة الصلح بين عمرو بن العاص والمقوقس في الطبري (١٩٩/٣) .

(٨٧) البلاذري ص (٢١٥) .

(٨٨) البلاذري ص (٢١٥-٢١٦) .

الانسان :

١ - كان الزبير موضع تقدير وثقة وحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن الذين يستشيرهم^(٨٩) ويعتمد عليهم كل الاعتماد .
ولما التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى سارع الزبير الى مبايعة أبي بكر ، فقد تابع المهاجرون على بيعتهم من غير أن يدعوهم^(٩٠) .
وفي رواية ، انه تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي بن أبي طالب فكان منهم الزبير^(٩١) . وفي رواية : أنه لم يبايع وكان في بيت علي بن أبي طالب حين قدم عليهم عمر فقال : « انطلقوا فبايعوا أبا بكر » فأبوا ؛ وخرج الزبير بالسيف ، فقال عمر : « عليكم بالرجل فخذوه » فوثب عليه سلمة بن أسلم وأخذ السيف من يده وضرب به الجدار ؛ ثم انطلقوا به فبايع^(٩٢) . وفي رواية : أن أبا بكر صعد المنبر عقب البيعة فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا به ، فجاء ؛ فقال له : « ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ! أردت أن تشق عصا المسلمين ! » فقال الزبير : « لا تثريب يا خليفة رسول الله » ، فقام وبايعه^(٩٣) . وأرجح أن الزبير لم يتخلف عن بيعة أبي بكر لحظة واحدة ، فهو بدون شك يعرف منزلة أبي بكر وقدره في الاسلام ويعرف أنه ثاني اثنين إذ هما في الغار وأنه أفضل الصحابة فلا يمكن أن يتخلف عن بيعته أبداً ؛ وإذا كان الزبير قد أسلم على يد أبي بكر كما أسلفنا ، واطمأن الى أن يضع مصير آخرته بين يديه ، ألا يطمئن بعد الاسلام إلى أن يضع مصير دنياه بين يدي أبي بكر ؟؟

(٨٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٣٠) .

(٩٠) الطبري (٤٤٧ / ٢) .

(٩١) اليعقوبي (١٠٣ / ٢) وسيرة ابن هشام (٢٣٥ / ٤) وتاريخ أبي الفدا (١٥٦ / ١) .

(٩٢) الامامة والسياسة (١١ / ١) .

(٩٣) انظر تفاصيل روايات بيعة أبي بكر من كتاب : الصديق أبو بكر للدكتور هيكمل ص

(٧٢ - ٧٧) الطبعة الرابعة .

لقد كان الزبير صديقاً حميماً لأبي بكر قبل الاسلام وبعده ، وكان أحد أصحاب الشورى الذين يعتمد أبو بكر عليهم كل الاعتماد ، وقد أقطعه أبو بكر (الجُرف) (٩٤) .

٢- ولم تكن منزلة الزبير عند عمر أقل من منزلته عند أبي بكر ، فقد عرض عليه ولاية مصر فآثر أن يكون (غازياً) على أن يكون (والياً) ، ففولاه قيادة جيش المدد الذي أمد به عمرو بن العاص لمعاونته على فتح مصر ، وأقطعه (العقيق) (٩٥) . أجمع (٩٦) ، وكان عمر يقول عنه : « الزبير ركن من أركان الدين » (٩٧) . ويقول عنه : « الزبير عمود من عمد الاسلام » (٩٨) . وسمع ابن عمر رجلاً يقول : « أنا ابن الحواري » فقال : « إن كنت من آل الزبير ، وإلا فلا » (٩٩) . وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة من بعده شورى في ستة هم : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ومن المأثور عنه في استخلافهم قوله : « لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فأبهم استخلف فهو الخليفة من بعدي » (١٠٠) .

-
- (٩٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٧/٣) وانظر طبقات ابن سعد (١٠٤/٣) حول اقطاع أبي بكر الجرف للزبير .
- (٩٥) العقيق : العرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الارض فأنهره ووسعه : عقيق . وقال الاصمعي : الاعقة هي الودية . والعقيق : واد بناحية المدينة وفيه عيون ونخل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٨/٦) .
- (٩٦) طبقات ابن سعد (١٠٤/٣) .
- (٩٧) الاصابة (٦/٣) .
- (٩٨) تهذيب ابن عساكر (٣٦٢/٥) .
- (٩٩) طبقات ابن سعد (١٠٦/٣) والاصابة (٦/٣) وأسد الغابة (١٩٧/٢) والاستيعاب (٥١٢/٢) والرياض النضرة (٣٥٥/٢) .
- (١٠٠) الطبري (٢٩٣/٣) وابن الاثير (٢٥/٣) والامانة والسياسة (٢٤/١) -

٣- وحين اجتمع أصحاب الشورى ، كان هوى الزبير مع علي بن أبي طالب ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : « نصيبي لعلي » (١٠١) ، ولكنه بايع عثمان مع الناس حين تم اختياره خليفة للمسلمين ، فكان أثيراً عند عثمان طيلة حياته : كان أحد مجلس شوره ، وقد أجازته بستمائة ألف درهم فجعل الزبير يسأل عن أحسن المال ، فقيل له : مال أصبهان ، فقال : « أعطوني من مال أصبهان » (١٠٢) .

ومن الواضح أن الزبير لم يشتد في معارضة عثمان ، وإنما شارك الزبير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يوجهون الى عثمان من نقد ويسوقون اليه من نصح ، ولا نعرف أنه اشتد عليه إلا أن يكون في ذلك شريكاً لغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (١٠٣) .

وكان هوى أهل الكوفة الذين جاءوا الى المدينة وحاصروا عثمان بن عفان مع الزبير ، فأتوه وعرضوا عليه أن يبايعوه ، فصاح بهم وطردهم ، وكان قد أرسل ابنه عبد الله الى عثمان ليقاتل دونه (١٠٤) . ولما حصب بعض الناس عثمان في المسجد حتى صرع ، أقبل علي بن أبي طالب وطلحة والزبير يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون (١٠٥) . وقيل : إن الزبير خرج من المدينة قبل أن يقتل عثمان . وقيل : بل أدرك قتله ، وكان عبد الله بن الزبير

= واليعقوبي (١٢٨/٢) وتاريخ الخلفاء لسيوطي ص (٩٢) وتاريخ أبي الفداء (١٦٥/١) وتاريخ صر لا بن الجوزي ص (١٦٢) .

(١٠١) ابن الاثير (٢٧/٣) والامامة والسياسة (٢٤/١) . وفي الطبري (٢٩٦/٣) أنه رشح عثمان بن عفان . وارجح الرواية الاولى لانه كان قريب القرابة من علي ووثيق الصلة ببني هاشم حينذاك مع العلم أن الطبري ذكر الرواية الاولى أيضاً في (٢٩٦/٣) .

(١٠٢) طبقات ابن سعد (١٠٧/٣) .

(١٠٣) انظر كتاب : عثمان للكتور طه حسين ص (١٤٧) طبعة دار المعارف بمصر .

(١٠٤) ابن الاثير (٦١/٣) والطبري (٣٨٧/٣) وقد قاتل فعلاً وجرح جراحات . انظر

الطبري (٤١٤/٣) .

(١٠٥) ابن الاثير (٦٢/٣) والطبري (٣٨٩/٣) .

ممن استقتلوا دفاعاً عن عثمان (١٠٦).

ولكي نعرف حقيقة منزلة الزبير عند عثمان ، علينا أن نتذكر أن عثمان أراد أن يستخلف الزبير ، فقد أصاب عثمان رعاف شديد سنة الرعاف (١٠٧) حتى حبسه عن الحج وأوصى ، فدخل عليه رجل من قريش فقال : « استخلف » قال : « نعم . الزبير !.. أما والذي نفسي بيده ، إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١٠٨) .

٤ - وقتل عثمان ، ولم يكن الزبير يظن أن الأمر سيصير الى ما صار اليه ، فأصبح الستة الذين عهد اليهم عمر بالشورى أربعة : علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، وكان سعد قد اعتزل الفتنة ، فلم يبق إلا هؤلاء الثلاثة : علي وطلحة والزبير ، فامتنع طلحة والزبير عن البيعة فأكرههما الناس عليها ، فكانت بيعتهما لعلي على غير رضى ولا اقبال (١٠٩) . وفي رواية : إنه اجتمع بعد قتل عثمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا له : « لا بد للناس من إمام » ، فقال : « لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به » ، فقالوا : « ما نختار غيرك » . وترددوا اليه مراراً وقالوا له : « إننا لانعلم أحداً أحق به منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فقال : « لا تفعلوا ، فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً » ، فقالوا : « والله ما نحن بفاعلين حتى نباعلك » ، قال : « ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد » ؛ فكان أول من بايعه طلحة ثم بايعه الزبير ، فقال لهما : « إن أحببتما أن

(١٠٦) ابن الاثير (٦٨/٣) .

(١٠٧) كان ذلك سنة احدى وثلاثين للهجرة . أنظر فتح الباري بشرح البخاري (٦٤/٧) .

(١٠٨) فتح الباري بشرح البخاري (٦٤/٧) .

(١٠٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١١٧) وتاريخ أبي الفدا (١٧١/١) .

تبايعاني ، وإن أحببتما بايعتكما » ، فقالا : بل « نبايعك » ، ثم قالوا بعد ذلك : « إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا ، وعرفنا أنه لا يبايعنا » ، وهربا الى مكة بعد قتل عثمان بأربعة اشهر (١٠٩).

وأكاد أعتقد أن طلحة والزبير لم يُستكرها كما زعم بعض الرواة ، وإنما أقبلوا على البيعة راضيين ، ثم بدا لهما بعد ذلك حين رأيا من الخليفة الجديد ما لم يكونا يتظران ؛ إذ لم يشركهما في أمره ، ولم يولّ أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة كما كانا يطمعان (١١٠) ؛ بل أراد أن يسير فيهما سيرة عمر بن الخطاب ، فيحبسهما معه في المدينة كما كان عمر يحبس أعلام المهاجرين من قبل (١١١) . ولست أصدق أن علياً أكره أحداً على مبايعته ، ولو فعل لأكره سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبا سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد (١١٢) ، إذ كيف يستقيم أن علياً أكره طلحة والزبير فقط ولم يكره أحداً غيرهما ؟؟

وعلى كل حال ، فقد استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة فأذن لهما فلحقا بمكة (١١٣) ، وروى بعضهم أن علياً قال لهما أو لبعض أصحابه : « والله ما أرادا العمرة ، ولكن أرادا الغدرة (١١٤) » فلحقا عائشة أم

(١٠٩) الطبري (٤٥٠/٣) وابن الاثير (٣١/٣) واليعقوبي (١٥٤/٢) وتاريخ أبي الفدا (١٧١/١) .

(١١٠) أنظر الطبري (٤٥١/٣) وابن الاثير (٧٦-٧٧/٣) وأنظر الامامة والسياسة (٥٢/١) .

(١١١) أنظر كتاب (علي) للدكتور طه حسين ص (٢٢) طبعة دار المعارف بمصر وأنظر الامامة والسياسة (٥١/١) .

(١١٢) أنظر أسماء الذين لم يبايعوا علياً في ابن الاثير (٧٤-٧٥/٣) والطبري (٤٥٢/٣) و (٤٥٤/٣) .

(١١٣) الطبري (٤٦٥/٣) وابن الاثير (٤٦٥/٣) و (٧٩/٣) .

(١١٤) اليعقوبي (١٥٦/٢) .

المؤمنين بمكة وحرصاها على الخروج فأجابتهم الى الخروج (١١٥) .

وبلغ علياً خروجهم الى البصرة فخرج هو أيضاً (١١٦) ، وحاول علي بكل وسيلة أن يتفادى الحرب بين الطرفين ، فأرسل القعقاع بن عمرو التميمي الى البصرة لمفاوضة طلحة والزبير فافتنعا بالصلح واحلال السلام (١١٧) كما اتصل علي نفسه بالزبير وطلحة شخصياً ، فقال للزبير : « يا زبير ! ما أخرجك !؟ » فقال : « أنت ! ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا ! » فقال له : « تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يدك ، فسلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك إليّ ، ثم التفت اليك فقال لك : يا زبير ! انك تقاتل علياً وأنت له ظالم ! » فقال الزبير : « اللهم نعم ! » فقال علي : « فعلام تقاتلني ؟ » فقال الزبير : « نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك (١١٧) » .

وعاد الزبير أدراجه عازماً العودة الى المدينة ، فقال له ابنه عبد الله : « جمعت بين هذين الفئتين ، حتى اذا حدث بعضهم لبعض أردت أن تركهم وتذهب !؟ لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد » فقال : « إني حلفت ألا أقاتله » وأحفظه قول ابنه له ، فقال له عبد الله : « كفّر عن يمينك وقاتله » ، فأعتق غلامه وقاتل علياً (١١٨) ، وكان هو القائد الأعلى لرجاله ، وكان على الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد

(١١٥) الطبري (٤٧١ / ٣) وابن الاثير (٨١ / ٣) .

(١١٦) الطبري (٤٧٣ / ٣) وابن الاثير (٨٦ / ٣) وتاريخ أبي الفدا (١٧٣ / ١) واليعقوبي (١٥٧ / ٢) والامامة والسياسة (٥٤ / ١) .

(١١٧) الطبري (٥٠٢-٥٠٣ / ٣) وابن الاثير (٩٢ / ٣) .

(١١٨) الطبري (٤١٥ / ٣) وابن الاثير (٩٤ / ٣) والامامة والسياسة (٧٢ / ١) وتاريخ أبي الفدا (١٧٣ / ١) واليعقوبي (١٥٨ / ٢) والرياض النضرة (٣٦٥ / ٢) والاصابة (٧ / ٣) والاستيعاب (٥١٥ / ٢) ومروج الذهب على هامش ابن الاثير (١٩٠-١٩١) .

(١١٨) الطبري (٤١٥ / ٣) وابن الاثير (٩٤-٩٥ / ٣) واليعقوبي (١٩٥ / ٢) وتاريخ أبي الفدا (١٧٣-١٧٤ / ١) .

الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة (١١٩) .

وفي رواية ، إنه رجع عن الحرب فلم يشهد معركة (الحمل) ، فقد دخل على عائشة فقال : « يا أماء ! ما شهدت موطناً قط في الشرك ولا في الاسلام إلاّ ولي فيه رأي وبصيرة غير هذا الموطن ، فإنه لا رأي لي فيه ولا بصيرة ، وإني لعلّى باطل » . وقال لابنه : « إني راجع ، ولا تعد هذا مني جبناً ، فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية ولا إسلام » .. فقال ابنه : « فما يردّك ؟ » ، قال : « يردّني ما إن علمته كسرك (١٢٠) » .

وسواءً أرجع الزبير عن القتال بتأثير علي عليه في تذكره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ، أم لأن الزبير عاد عن القتال لأنه سمع أن عمار ابن ياسر موجود مع علي بن أبي طالب فخاف أن يقتل عماراً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عمار ! تقتلك الفئة الباغية (١٢١) » ، أم إنه عاد بتأثير عبد الله بن عباس الذي قال له : « أين صفيّة بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب » فرجع الزبير (١٢٢) ؛ أم عاد بتأثير تائب ضميره المؤمن الحي الذي كان يلحّ عليه : بأن مكانه ليس هنا يقاتل علماً ويفرق صفوف المسلمين ، وأن مكانه مع الجماعة : يجاهد من أجل وحدة الصفوف ؛ فقد قال جماعة من المسلمين للزبير : يا أبا عبد الله ! ما جاء بكم ؟! ضيّعتم الخليفة حتى قُتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟! » فقال الزبير : « وقد قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم : واتقوا فتنه

(١١٩) الامامة والسياسة (٧٠/١) .

(١٢٠) الامامة والسياسة (٧٣/١) وانظر تاريخ أبي الفدا (١٧٣/١) وابن الاثير

(٩٥/٣) . وفي الاستيعاب (٥١٥/٢) : كان الزبير قد انصرف عن القتال فادماً مفارقاً للجماعة التي خرج فيها منصرفاً الى المدينة .

(١٢١) الطبري (٥٢١/٣) وابن الاثير (٩٥/٣) .

(١٢٢) طبقات ابن سعد (١١٠/٣) والاصابة (٧/٣) .

لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة (١٢٣) لم تكن نحسب أننا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت (١٢٤) مما يدل على أن ضميره لم يكن مرتاحاً من موقفه الراهن تجاه علي بن أبي طالب وتجاه العمل على تفريق الصفوف .. سواء أعاد الزبير عن الحرب فلم يشهد معركة (الحمل) لسبب من هذه الأسباب أو لأكثر من سبب ، أو لكل هذه الأسباب مجتمعة ، وهي أسباب مهمة للغاية بالنسبة لمثل الزبير في إيمانه وورعه وتاريخه المجيد في خدمة الاسلام ، فانه لم يشهد تلك المعركة كما اعتقد ، إلا أنه لم ينبج من شرورها فقتل هو أيضاً في طريق عودته من البصرة إلى الحجاز .

فقد مضى الزبير فتعقبه عمرو بن جرموز التميمي ، فلما رآه الزبير قال له : « ما وراءك ؟ » ، فقال : « إنما أردت أن أسألك » ، فحذر الزبير من هذا الرجل غلامه ، فقال الزبير : « ما يهولك من رجل ! » . وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز : « الصلاة ! » ، فنزلاً واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه وقتله وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه ودفنه (بوادي السباع) (١٢٥) ورجع الى الناس بالخير (١٢٦) . . . وكان مقتله سنة ست وثلاثين للهجرة (١٢٧) (٦٥٦ م) وهو ابن أربع وستين سنة (١٢٨) .

(١٢٣) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٢٥) .

(١٢٤) مستد الامام أحمد بن حنبل (١٦٤/١) .

(١٢٥) وادي السباع : واد بين البصرة ومكة بينه وبين البصرة خمسة أميال . انظر

التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٣/٨) .

(١٢٦) الطبري (٥٤٠-٥٣٩/٣) وابن الاثير (٦٣/٣) . وانظر بعض الروايات

الاخرى عن مقتل الزبير في طبقات ابن سعد (١١٠/٣-١١٣) والرياض النضرة (٣٦٥/٢)

(٣٦٦-٣٦٧) والامامة والسياسة (٧٤-٧٣/١) وخزانة الادب ولب لباب لسان العرب (٣٥٠/٤)

و (٤٦٨/٢) وأسد الغابة (١٩٩/٢) والاصابة (٦/٣) والاستيعاب (٥١٥/٢) وذيل

المذيل للطبري (١١) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٥/٥) .. الخ

(١٢٧) البدء والتاريخ (٨٣/٥) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وخزانة الادب ولب

لباب لسان العرب (٣٥٠/٤) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) .

(١٢٨) طبقات ابن سعد (١١٣/٣) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) وذيل المذيل ص (١١) .

ولما أتى قاتل الزبير علياً برأسه يستأذن عليه ، لم يأذن له ، وقال للأذن
 « بشره بالنار » (١٢٩) . وجاء ابن جرموز بسيف الزبير الى علي فقال :
 « إن هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١٣٠) .
 وقال بنو تميم قدم ابن جرموز يخاطبونه : « فضحت والله اليمن بأسرها :
 قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه
 وابن عمته . والله لو قتلت في حرب لعزّ ذلك علينا ولمسنا عارك ، فكيف
 في جوارك وذمتك ؟! والله ليزيدنك على أن ييشرك بالنار » (١٣١) .
 وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير ترثيه وتذكر
 غدر ابن جرموز به (١٣٢) :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة (١٣٣)
 يوم اللقاء وكان غير معرّد (١٣٤)

وفي الإصابة (٧١/٣) : قتل وله ست أو سبع وستون سنة وكذلك في أسد الغابة (١٩٩/٢)
 والاستيعاب (٥١٦/٢) . وفي صفة الصفوة (١٣٣/١) : قتل يوم الجمل وهو ابن خمس
 وسبعين ويقال : ستين ، ويقال : بضع وخسين . وفي تهذيب ابن عساكر (٣٥٧/٥) : قتل
 وهو ابن بضع وستين . وفي الرياض النضرة (٣٦٧/٢) : قتل وسنه يومئذ سبع وستون سنة ،
 وقيل : ست وستون . وقيل : أربع وستون ، وقيل : ستون ، وقيل : إحدى وستون ،
 وقيل : خمس وسبعون ، وقيل : بضع وخسون . وأنت ترى أن أكثر مؤرخي حياته ذكروا
 أن عمره أربع وستون ، وهذا يتفق مع الرواية القائلة : إن عمره حين أسلم ست عشرة سنة ،
 لذلك أخذنا هذه الرواية .

(١٢٩) الاستيعاب (٥١٦/٢) والرياض النضرة (٣٦٧/٢) والإصابة (٧١/٣) .
 (١٣٠) أسد الغابة (١٩٩/٢) .

(١٣١) الامامة والسياسة (٧٤/١) . وفي طبقات ابن سعد (١١٣/٣) : أن علياً قال :
 اني لارجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم : (ونزعنا ما في صدورهم
 من غل على سرر متقابلين) .

(١٣٢) خزائن الادب ولب لباب لسان العرب (٣٥٠/٤) وطبقات ابن سعد (١١٢/٣)
 والاغانى (٢٦٤/١٦) وانظر رثاء جرير له في طبقات ابن سعد (١١٣/٣) .

(١٣٣) بهمة : الجيش . يقال : فلان فارس بهمة . ويقال أيضاً : بهمة للفارس شديد البأس .
 (١٣٤) اللقاء : الحرب . عرد : فر في الحرب .

يا عمرو لو نبّهته لوجدته
لا طائشاً رعرش الجنسان ولا اليد
شئت يمينك أن قتلت مسلماً
حلت عليك عقوبة المتعمد
إن الزبير لذو بلاء صادق
سمع سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يشه
عنها طرادك يا ابن فقع القرقد (١٣٥)
فأذهب فما ظفرت بذاك بمثله
فيما مضى ممن يروح ويغتدى

لقد أثار مقتل الزبير في نفوس المسلمين جميعاً موجة من الحزن والأسى
عليه (١٣٦) والسخط وعلى قاتله .

٥- كان الزبير يعمل جزاراً (١٣٧) في أيامه الأولى ، ثم أصبح تاجراً
يغدو ويروح الى الشام بتجارته (١٣٨) ، وكان تاجراً مجدوداً في التجارة ،
فقل له : « بما أدركت في التجارة ؟ » ، قال : « لأنني لم أشتر معيباً ،
ولم أرد رجلاً ، والله يبارك لمن يشاء » (١٣٩) .

(١٣٥) الفقع : بفتح الفاء وكسرهما وسكون القاف ، نوع من الكفاة ، وهو الكفاة الأبيض
والاحمر ، يقال : فقع قرقد للذليل . والقرقد : المكان المستوى .

(١٣٦) قال ابن عباس في طلعة والزبير بعد مقتلها : رحمة الله عليها ، كانا والله مسلمين
مؤمنين بارين تقيين خيرين فاضلين طاهرين ، زلزلتين والله غافر لها للصحة القديمة والعثرة
الكريمة والافعال الجميلة ؛ فأعقب الله من ييغضها بسوء الففلة الى يوم الحشر . أنظر الرياض
النضرة (٣٤٧/٢) .

(١٣٨) الرياض النضرة (٣٥٨/٢) .

(١٤٩) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) . مجدوداً : محظوظاً . واجد : الحظ . واجديد :
الحظيظ فعيل بمعنى مفعول .

وكان كريماً غاية الكرم ، فقد بعث لعائشة أم المؤمنين بفراريتين تبلغ ثمانين ومائة ألف درهم (١٤٠) ، وكان من أكرم الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤١) ، وكان ينفق أموالاً طائلة في سبيل الله ، فقد باع داراً بستمائة ألف ، فقيل له : « يا أبا عبد الله ، غيبت ! » ، فقال « والله لتعلمن أني لم أغبن ، وهي في سبيل الله (١٤٢) » .

وقد أوصى يوم الجمل ابنه عبد الله بدينه ، قال عبد الله : « جعل الزبير يوم الجمل بوصيني بدينه ويقول : إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي ! فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت : يا أبني ! من مولاك ؟ قال : الله تعالى ! . فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قالت : يا مولى الزبير ، اقض عنه ، فيقضيه . وإنما كان دينه الذي عليه ، أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه إياه ، فيقول : لا ، ولكنه سلف ، فاني أخشى عليه الضيعة . قال عبد الله : فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائة ألف ، فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين بعتهما وقضيت دينه ؛ فقال بنو الزبير : ميراثنا ! قلت : والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه » ، فجعل كل سنة ينادي ، فلما انقضت أربع سنين قسم بينهم ؛ وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف ، فجميع مال الزبير خمسون ألف ألف ومائتا ألف (١٤٣) . وقد أوصى بثلث ماله ينفق في سبيل الله ولم يدع ديناراً ولا درهماً (١٤٤) ولكنه ترك بمصر خططاً وبالإسكندرية خططاً وبالكوفة

(١٤٠) الرياض النضرة (٣٦٣/٢) . (١٤١) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) .

(١٤٢) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) .

(١٤٣) أنظر التفاصيل في الرياض النضرة (٣٦٨-٣٦٧/٢) وطبقات ابن سعد (٣) / ١٠٨-١٠٩) وانظر صفة الصفوة (١٣٥/١) حول ما كان عنده من مال .

(١٤٤) الرياض النضرة (٣١٨/٢) وطبقات ابن سعد (١٠٨/٣) وحلية الاولياء (٩١/١) .

خططاً وبالبصرة دوراً ، وكانت له غلاتٌ تقدم عليه من أعراض المدينة^(١٤٥) ، وكان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج ، فما كان يدخل في بيته درهم واحد ، إذ كان يتصدق بذلك كله ويقوم الى منزله ليس معه شيء^(١٤٦) .

وكان على جانب عظيم من الشهامة والأمانة ، لذلك كان موضع ثقة الناس جميعاً ، وقد أوصى اليه كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم عثمان والمقداد بن الاسود وعبدالرحمن بن عوف ، فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله^(١٤٧) .

وكان ورعاً تقياً نقياً ، قال عبدالله بن الزبير : « قلت للزبير ، ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث عنه أصحابه ؟ ، فقال : أما والله لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنني سمعته يقول : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(١٤٨) » ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثين حديثاً^(١٤٩) ، وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة^(١٥٠) .

لهذه الأسباب ولغيرها مدحه شاعر النبي صلى الله عليه وسلم حسان

(١٤٥) طبقات ابن سعد (١١٠/٣) .

(١٤٦) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) والاصابة (٦/٣) وأسد الغابة (١٩٨/٢) والاستيعاب

(٥١٤) وصفة الصفوة (١٣٤/١) .

وحلية الاولياء (٩٠/١) وأسد الغابة (١٩٨/٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٦٢/٥) .

(١٤٧) الرياض النضرة (٣٦٥/٢) وأسد الغابة (١٩٩/٢) والاصابة (٦/٣) .

(١٤٨) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) وطبقات ابن سعد (١٠٧/٣) والاصابة (٦/٣)

ومستد الامام أحمد بن حنبل (١٦٥/١) .

(١٤٩) خلاصة تذهيب الكمال ص (١٠٣) وأسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة

لابن حزم ص (٢٨٠) وأنظر مستد الزبير في مستد الامام أحمد بن حنبل (١٦٥-١٦٤/١) .

(١٥٠) أصحاب الفتيا من الصحابة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢٠) .

ابن ثابت الأنصاري ، ففضله على الجميع وقال (١٠١) :

أقام على عهد النبي وهدّيه
حواريه ، والقول بالفعل يعدل (١٠٢)

أقام على منهاجه وطريقه
يوالي وذي الحق ، والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول اذا ما كان يوم محجل

وإن امرأً كانت صفيةً أمه
ومن أسد في بيته لمرفل (١٠٣)

له من رسول الله قربي قريبة
ومن نصره الاسلام مجد موئل (١٠٤)

فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه
عن المصطفى ، والله يعطي ويجزل (١٠٥)

اذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
بأبيض سباق الى الموت يرقل (١٠٦)

(١٥١) الرياض النضرة (٢/٣٥٩-٣٦٠) والاصابة (٣/٦) وأسد الغابة (٢/١٩٨)
والاستيعاب (٢/٥١٤-٥١٥) وتهذيب ابن عساكر (٥/٣٦٢).

(١٥٢) الهدى : يفتح الماء واسكان الدال ، السيرة . يقول ما أحسن هديه : أي سيرته .

(١٥٣) رفل : رفل في ثيابه ، أطالها وجرها متبخراً ، ومرفل : أي متم وسعيد ..

(١٥٤) موئل : أي مؤصل . والتأثيل والتأصيل بمعنى واحد . يقال : مجد أثيل ، أي أصيل .

(١٥٥) في الديوان : فيجزل .

(١٥٦) كشفت الحرب عن ساقها : اشتدت . ومنه : يكشف عن ساق ، أي عن شدة .

حشها : أسمرها وهيجه . الأبيض : السيف . يرقل : يسرع ، والارقال : ضرب من العدو
نحو الخيب .

فما مثله فيهم ولا كان قبله
وليس يكون الدهر ما دام يدبُّل (١٥٧)

وكان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير ، خفيف اللحية ، أسمر اللون كثير الشعر ، وكان لا يغيّر شيبه (١٥٨) .

وكان له عشرون ولداً : أحد عشر ذكراً وتسع إناث (١٥٩) .

٦- والحق ان الزبير وأمثاله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يتوقعون أن الأمور ستتطور وتتعد إلى درجة قتل عثمان ابن عفان في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جوار قبره ، بل كانوا يعتقدون أن الأمور لن تصل إلى أكثر من حمل عثمان على الانصراف عما كان الناس يشكون منه ، فتستقيم الأمور وتسير على ما كانت عليه أيام الشيخين : أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

فلما قتل عثمان مظلوماً ، وجد الزبير وغيره من كبار الصحابة ، أن على عواقبهم مسؤولية ضخمة هي المطالبة بدم عثمان لكي ينال كل ذي حق حقه ولكي تنزل العقوبة الرادعة حسب تعاليم الشريعة الإسلامية بمن لطمخ يده بدم عثمان ، وحتى تعود للسلطان هيئته وحتى يسود الشرع ولا يتحكم في الناس غير شريعة الله .

كان خروج الزبير إلى البصرة بنية سليمة ما في ذلك شك ، وكان لسان

(١٥٧) يذيل : جبل مشهور الذكر بنجد . انظر معجم البلدان (٥٠٢/٨) .
(١٥٨) المعارف ص (٢٢٠) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) وذيل المذيل (١١) والرياض
النصرة (٣٥٢/٢) وطبقات ابن سعد (١٠٧/٣) وأسد الغابة (١٩٩/٢) والاستيعاب
(٥١٦/٢) . ويقال : انه كان أبيض ، أنظر فتوح مصر والمغرب ص (٩٥) وصفة
الصفوة (١٣٢/١) . ويقال : إنه كان طويلاً أزرق الشعر ، أنظر المعارف ص (٢٢٠)
وتهذيب ابن عساكر (٣٥٧/٥) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) .
(١٥٩) الرياض النصر (٢٦٨/٢) وانظر المعارف ص (٢٢١ - ٢٢٧) . وفي البدء
والتاريخ (٨٣/٥) : ان ولده سبع بنين غير البنات .

حاله يطابق ما قالته عائشة أم المؤمنين لأهل البصرة : « والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يُستحل دمه ، ولقد قتل مظلوماً . غضبنا لكم من السوط والعصا ، ولا نغضب لعثمان من القتل ؟ ! » وإن الرأي أن تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ، ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب (١٦٠) ولا ينكر أن الزبير كان تحت تأثير أهله — خاصة ابنه عبد الله الذي كان يحب الامارة حباً جماً — وأن أهله كانوا يوجبون في نفسه الشعور بالذنب لعدم قيامه بواجبه في الدفاع باستماتة عن عثمان ، ويحفزونه للتكفير عن هذا الذنب وذلك بالمطالبة بدم عثمان ، وقد قال سعد بن أبي وقاص عن الزبير : « إن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه (١٦١) » ، وقال الامام علي بن أبي طالب : « ما زال الزبير مناحتي نشأ بنوه فصرفوه عنا (١٦٢) — كل ذلك جعله يخرج للمطالبة بدم عثمان .

ولكنه وجد بصورة عملية أن هذه المطالبة لا يمكن أن تؤدي ثمرتها ما لم تستقر الأمور ويشيع الأمن والاستقرار . قال القعقاع بن عمرو لطلحة والزبير : « إني سألت أم المؤمنين : ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس . فما تقولان أنتما : أمّتيّعان أم مخالفان ؟ » فقالا : « متابعان » . قال القعقاع : « فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ، فوالله لئن عرفناه لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نُصلح ! » . قالوا : « قتلة عثمان رضي الله عنه ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياءاً للقرآن » . فقال القعقاع : « قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم اليوم : قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذي أفلت — يعني حرقوص بن زهير السعدي — فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فإن

(١٦٠) الامامة والسياسة (٦٨/١) .

(١٦١) الامامة والسياسة (٤٨/١) .

(١٦٢) الامامة والسياسة (١٠/١) .

تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوها عليكم ، فالذي حذرتكم وقربتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحميم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير » ، فقالت أم المؤمنين : « فتقول أنت ماذا ؟ » ، قال : « أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ... » فقالوا : « نعم إذا ، قد أحسنت وأصبحت المقالة ، فارجع فإن قدم علي وهو على مثلك رأيتك صلح هذا الأمر » ، وأشرف القوم على الصلح (١٦٣) .

لقد اطمأن الزبير بعد ذلك الى أن خروجه إلى البصرة كان خطأ ، كما اطمأن الى أن خروجه على علي بن أبي طالب كان خطأ أيضاً ، لذلك رجع عن الحرب غير مكترث بما يجره عليه رجوعه من نتائج قد تفسر بالجن والفرار وهما عاران على مثل الزبير البطل ، ولكن عار الآخرة أعظم على مثل الزبير في إيمانه العميق من عار الدنيا ، قال الزبير حين رجع عن الحرب (١٦٤)

اخترت عاراً على نار موجهة
ما ان يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله
عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عدل أبا حسن
فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

لقد آثر الزبير عار الدنيا على عار الآخرة ، فعاد عن الحرب ، وكان قد اجتهد فأخطأ فأراد ان يبادر الى اصلاح خطأه ، ولكنه دفع ثمن هذا

(١٦٣) الطبري (٥٠٣/٣) .

(١٦٤) أنظر مروج الذهب - على هامش ابن الاثير (١٩١/٥) .

الخطأ عاجلاً بسيل جارف من دمه ، فخسر كل شيء الا عقيدته ، ولو ربح كل شيء وخسر عقيدته لباء بالخسران العظيم .

القائد :

سأل أبو بكر الصديق عمرو بن العاص عن الزبير فقال : « شجاع جسر (١٦٥) وقيل لعلي بن أبي طالب وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أشجع الناس يا أبا الحسن ؟ » ، فقال : « ذاك - وأشار الى الزبير - الذي يغضب كالنمر ويشب وثوب الأسد (١٦٦) » .

وحين أمدّ عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل يعادل ألفا كتب اليه : « اني أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل رجل منهم رجل مقام ألف » وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال (١٦٧) .

ولما اقتنع الزبير بوجهة نظر علي بن ابي طالب وصمم على العودة عن الحرب - وذلك قبيل معركة (الحمل) تنفّس أصحاب علي الصعداء وقالوا « ما كنا نخشى في هذه الحرب غيره ولا نتقي سواه . إنه فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، ومن عرفت شجاعته وبأسه ومعرفته بالحرب ، فأذ قد كفناه الله فلا نعدّ من سواه إلا صرعى حول الهودج » (١٦٨) .

وفي طريق عودته من البصرة الى الحجاز ، قال له رجل من كلب : « أرى أن ترجع الى فرسك ودرعك فتأخذهما ، فإن أحداً من الناس

(١٦٥) اليقوي (١٠٧/٢) .

(١٦٦) تهذيب ابن عساكر (٣٦٢/٥) .

(١٦٧) فتوح مصر والمغرب ص (٦١) ومعجم البلدان (٣٧٨/٦) والرجال الاربعة هم : الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقال آخرون : خارجة ابن حذافة .

(١٦٨) الامامة والسياسة (٧٢/١) .

لا يُقدم عليك وأنت فارس أبداً (١٦٩) . وقد قال حسان في مدح الزبير :

هو الفارس المشهور والبطل الذي

يصول اذا ما كان يوم محجل (١٧٠)

لقد نشأ الزبير من عائلة معروفة بشجاعته وفدائها ، فمات أبوه وجده في ساحات الوغى ، وتربى تربية عنيفة لا هوادة فيها أعدته إعداداً كاملاً لتحمل واجبه بشجاعة واقدام في ميادين القتال ، فظهرت بؤادر شجاعته واقدامه وهو طفل صغير ، إذ كسر يد رجل كبير وهو لا يزال غلاماً ، وأقدم وحده على استطلاع حرب النجاشي وعدوه حين كان الزبير مهاجراً في الحبشة وعاد الى المسلمين بتفاصيل تلك الحرب ، وكان أول من سل سيفاً في سبيل الله عز وجل من المسلمين ، وقد هاجر الى المدينة وحده دون رفيق ، وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين : يوم (أحد) ويوم (قريظة) قائلاً له : « ارم فذاك أبي وأمي » (١٧١) . وكان من أبرز الشجعان يوم (اليرموك) ، كما أن شجاعته النادرة كانت السبب المباشر لانصار المسلمين على المقوقس في معركة (بابلون) الخامسة التي فتحت للعرب المسلمين أبواب مصر على مصراعها ؛ وكان في صدره مثل العيون من الطعن والرمي (١٧٢) .

إن شجاعة واقدام الزبير كانا مضرب الأمثال ، وهما المزيّتان البارزتان من بين مزايا قيادته . والحق انه كان جندياً ممتازاً يتحلّى بكل مزايا الجندي الممتاز : عقيدة راسخة ، وضبط متين ، وعقيلة منزنة ، وشجاعة شخصية ،

(١٦٩) الامامة والسياسة (٧٤/١) .

(١٧٠) أنظر قصيدة حسان في الاستيما (٥١٤/٢ - ٥١٥) .

(١٧١) الاستيما (٥١٣/٢) .

(١٧٢) صفة الصفوة (١٣٤/١) وقد سمي أولاده بأسماء الشهداء تقديراً لهم واعجاباً بتضحياتهم لهم وتشجيعاً لأولاده على الاقتداء بأفعالهم . أنظر طبقات ابن سعد (١٠١/٣) مما يدل على انه كان يهوى البطولات ويقدر الأبطال ويفخر في أولاده روح التضحية والفداء .

وتدريب جيد ، وقابلية بدنية ، ومعنويات عالية ؛ وبهذه المزايا برز الزبير بطلاً في كل معركة خاضها في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعده .

لقد برز (جندياً ممتازاً) في تلك المعارك ، فكانت شجاعته الشخصية واقدامه وفداؤه أمثلة رائعة يحتذى بها غيره ، فهو جندي ممتاز فحسب ، لذلك لم يتول مناصب القيادة في أيام الرسول ولا في أيام أبي بكر الصديق ، وقد تولى منصب قيادة (المدد) فقط في أيام عمر ، فكان (لشجاعته) أثر حاسم على انتصار المسلمين في معركة (بابلون) الحاسمة ، ولم تكن لقيادته أثر ما في هذه المعركة وفي غيرها من المعارك . إنه جندي ممتاز .

الزبير في التاريخ :

يذكر التاريخ للزبير أنه كان أحد السابقين الأولين للإسلام ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له في كل غزوة موقف مشرف ؛ ويذكر له أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الشورى الذين اختارهم عمر ليختاروا من بينهم خليفة من بعده .

ويذكر له أنه كان عاملاً حاسماً في فتح حصن بابلون ، تلك المعركة الحاسمة التي انساح المسلمون من بعدها في أرض مصر وفتحوها .

ويذكر له ، أنه خيّر بين ما عند الناس : الخلافة والامرة والسلطان ؛ وبين ما عند الله : راحة الضمير والاخلاص للعقيدة ، وذلك قبيل معركة (الجمل) ؛ فاختر ما عند الله على ما عند الناس ، فعاد عن الحرب غير مكترث بما يحره ذلك على شخصه من نقد وتجريح .

رضي الله عن المؤمن القوي ، الأمين البطل ، الفارس الشجاع ، القائد الفاتح ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الزبير بن العوام القرشي الأسدي .

عبد الله بن حذافة القرشي السهمي

فاتح عين شمس (١) بمصر

مع النبي :

هو حذافة عبدالله بن قيس بن سعد بن سهم القرشي السهمي (٢) ، وأمه تيممة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو أخو خنيس بن حذافة زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد خنيس بدرأ ، ولم يشهد عبدالله بدرأ (٣) ولكنه قديم الاسلام بمكة ، وكان من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية (٤) . شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ابن حذافة ، فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظماً ، ثم قال : « من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبركم به ما دمت في مقامي هذا » ، فسأله عبدالله بن حذافة ، قال :

(١) عين شمس : اسم مدينة بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ ، وهي ليست على شاطئ النيل ، وكانت مدينة كبيرة ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٦/٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٨٩/٤) والاصابة (٥٥/٤) وأسد الغابة (١٤٢/٣) والاستيعاب (٨٨٨/٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٨٩/٤) وانظر المعارف ص (١٣٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (١٨٩/٤) وسيرة ابن هشام (٣٥١/١) والاصابة (٥٥/٤) وأسد الغابة (١٤٢/٣) والاستيعاب (٨٨٨/٣) . وقد عاد الى المدينة المنورة مع جعفر بن أبي طالب يوم فتح خيبر . انظر سيرة ابن هشام (٤١٣/٢ - ٤١٩) .

« مَنْ أَبِي ؟ » ، قال : « أبوك حذافة » ^(٥) ، فعاتبته أمه على سؤاله هذا قائلة : « أي بني ! لقد قمت اليوم بأملك مقاما عظيماً ، فكيف لو قال الاخرى ؟ » ، فقال : « أردت أن أبدي ما في نفسي » ^(٦) ثم أضاف قوله : « والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت به » ^(٧) .

وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية ، وكانت فيه دُعابة ، فأمر رجاله أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً ، فلما أوقدوها أمرهم أن يقتحموا النار ، وقال لهم : « ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي فقال : من أطاع أميري فقد أطاعني ؟ » فقال بعضهم : « ما آمنّا بالله واتبعنا رسوله الا لئلا ننجوا من النار » ؛ فصوّب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هؤلاء وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . قال الله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم) » ^(٨) ، ولم يلق في غزوته هذه كيداً ^(٩) .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس بكتاب يدعو به الى الاسلام ، فمزق كسرى الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم مزق ملكه » ^(١٠) ، وكان نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى كسرى : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد

(٥) أسد الغابة (١٤٣/٣) .

(٦) طبقات ابن سعد (١٩٠/٤) .

(٧) الاستيعاب (٨٨٩/٣) .

(٨) الاستيعاب (٨٩٠/٣) . وهناك رأيان في الطاعة : الاول الطاعة المطلقة للآمرين ، وعندما تكون الاوامر مغلوبة ينتج عنها ضرر يكون الامر الذي أصدر تلك الاوامر هو المسؤول عن تحمل نتائجها . والثاني الطاعة التي تقيد بشروط معينة ، وهذه الطاعة يكاد يجمع عليها العسكريون في الوقت الحاضر ، اذ كيف يمكن - مثلاً - تنفيذ أوامر تضر بالبلاد مثلاً أو بالامة أفراداً وجماعات بدون مبرر ؟

(٩) سيرة ابن هشام (٣١٨/٤) .

(١٠) طبقات ابن سعد (٨٨٩/٤) .

رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإني أدعوك إليّ بدعاء الله ، وإني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فاسلم تسلم ، فان توليت فان إثم المجوس عليك « (١١) » .

وشهد عبدالله كافة غزوات النبي صلى الله عليه وسلم بعد (خير) وكان معه في الحج ، فأمره أن ينادي في أهل (منى) : ألا يصوم هذه الايام أحد (١٢) .

لقد كان عبدالله موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم ووجه وتقديره .

جهاده :

شهد عبدالله معارك فتح أرض الشام ، فأمره الروم في بعض غزواته على (قيساريّة) (١٣) فقال له ملك الروم : « تنصر أشركك في ملكي » فأبى . فأمر به فصلب ، وأمر برميّه بالسهم ، فلم يجزع ، فأنزل ! وأمر ملك الروم بقدر فصب فيها الماء وأغلي عليه وأمر بالقاء أسير فيها ، فاذا عظامه تلوح ، فأمر بالقاءه بالماء الذي يغلي ان لم ينتصر ، فلما ذهبوا به بكى (١٤) ، فقالوا : قد جزع ! قد بكى ! فقال : « ردّوه » . فقال عبدالله : « لا ترى أنني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي إلاّ نفس واحدة يفعل بها هذا في الله ! كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ ، ثم تُسلط عليّ فتفعل بي هذا !! » ، فأعجب به ملك الروم وأحب أن يطلقه ، فقال له : « قبل رأسي وأطلقك » فقال : « ما أفعل » ، فقال : « تنصر وأزوجك بنتي

(١١) الطبري (٢٩٦/٢) وابن الاثير (٨١/٢) .

(١٢) الاصابة (٥٦/٤) وأسد الغابة (١٤٤/٣) وطبقات ابن سعد (١٩٠/٤) .

(١٣) أسد الغابة (١٤٣/٣) .

(١٤) الاصابة (٥٧/٤) .

وأقسامك ملكي». قال : ما أفعل ! . فقال : « قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين » ، فقال : « أما هذه ، فنعم ! » ، وقبل رأس الملك وأطلق معه ثمانين من المسلمين ، فلما قدموا على عمر بن الخطاب ، قام إليه عمر فقبل رأسه ، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبدالله ، فيقولون : قبلت رأس عالج !؟ فيقول لهم : « أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين » . (١٥) .

وشهد مع عمرو بن العاص فتح مصر ، فلما فتح عمرو (الفسطاط) وجه عبدالله ابن حذافة الى (عَيْن شَمْس) ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط (١٦) .

وبعد فتح مدينة الاسكندرية استخلف عمرو بن العاص عليها عبدالله في رابطة من المسلمين ، وانصرف عمرو الى الفسطاط ، فكتب الروم الى قسطنطين ابن هرقل الذي كان ملك الروم حينذاك يخبرونه بقلعة عدد المسلمين في الاسكندرية ، فبعث ملك الروم أحد قادته على رأس قوة مشحونة في ثلاثمائة مركب فدخل الاسكندرية ، ولكن المسلمين أعادوا فتح الاسكندرية مرة ثانية (١٧) .

الانسان :

كان عبدالله صلب العقيدة راسخ الايمان ، له عقلية راجحة ومنطق سليم ، كل ذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم يبعثه سفيراً الى كسرى يحمل اليه رسالة النبي الكريم ويدعوه الى الحق والهدى .

وقد صمد صمود الابطال وصبر صبر المجاهدين دفاعاً عن عقيدته

(١٥) أسد الغابة (١٤٣/٣) .

(١٦) البلاذري (٢١٨) .

(١٧) البلاذري (٢٢٢ - ٢٢٣) .

وتمسكاً بها عندما تعرض لمحنة الأسر ولمحنة التعذيب ؛ فقد حاول الروم بالوعد تارة وبالوعيد أخرى وبالتعذيب القاسي أن يشوه ولو بالظاهر عن عقيدته ، ولكنه أعرض عن الوعد واستهان بالوعيد وصمد للتعذيب الوحشي ، حتى انهارت أعصاب معذبيه فأطلقوا سراحه ... حيث خرج من محنته مرفوع الرأس موفور الكرامة وقد تضاعف إيمانه بعقيدته وبمثله العليا .

وكانت فيه دُعابة ، وكانت دعابته محببة الى النفس تلازمه حتى في أوقات الجلد ؛ فقد استعمله الرسول القائد على سرية ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : « أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ » قالوا : نعم ! فقال : « فأني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توابتم في هذه النار » ، فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : « اجلسوا فانما أضحك معكم » (١٨) ، وعلى الرغم من ذكر المؤرخين أنه أراد الدعابة بعمله هذا ، الا أنني أجد أنه أراد الجلد الصارم لا الدعابة بهذا العمل ، فقد امتحن شدة ضبط رجاله ودرجة متانة طاعتهم ، فعرف من ينفذ منهم أوامره بدون قيد ولا شرط ، ومن ينفذ منهم أوامره المعقولة فحسب .

ولم يسلم حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعابته ، فقد حل حزام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع ، وذلك ليضحك النبي الكريم (١٩) .

(١٨) سيرة ابن هشام (٣١٧/٤) والاستيعاب (٨٩٠/٣) .

(١٩) روى ذلك ابن وهب كما جاء في الاستيعاب (٨٩٠/٣) ، ولم يكن لابن وهب علم بلسان العرب ، وإنما تقول العرب لحزام الراحلة : غرصة اذا ركب بها على رجل ، فان ركب بها على جبل فهي : بطان ، وان ركب بها على فرس فهي : حزام ، وان ركب بها على رجل أدنى فهو : وضين . قال الشاعر :

اليك يعدو قلقاً وضينها مخالفاً دين النصارى دينها
معتزساً في بطنها جنينها قد ذهب الشعم الذي يزينها

لقد كان أريجياً محبباً الى النفوس كريماً مضيافاً شهماً غيوراً ذكياً ، وقد توفي بمصر ودفن بمقبرتها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٠) .

القائد :

لا شك أن الرسول القائد حين أمّر عبد الله على سرية من أصحابه ، قد لمس فيه قابلية على قيادة الرجال : الشجاعة والاقدام ، والشخصية القوية والارادة النافذة والعقلية المتزنة والقدرة على إعطاء القرارات الصائبة .

والحق أن مزايا قيادة عبد الله لم تظهر بوضوح - بالنسبة لدارس تلك المزايا - في أيام جهاده ، فهو لم يلق كيداً في سريته التي قادها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما لم تسمح له الظروف أن يقود معارك كبيرة حاسمة في أيام فتح أرض الشام ومصر ، ومع ذلك فإن ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بقيادته وثقة عمرو بن العاص بقيادته أيضاً دليلان قاطعان على تمتعه بمزايا القائد القدير .

لقد كان يثق برجاله ويشقون به ويحبهم ويحبونه ، وكان له ماض ناصع مجيد ، وحسبه أن يكون صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع ثقته !

عبد الله في التاريخ :

يذكر التاريخ لعبد الله محنته القاسية التي اجتازها بصبر وجلد ، فخرج منها بشرف ، وباء معذوبه بالخزي والعار .

ان التاريخ يضعه في مصاف أئمة المعتدّين في سبيل عقيدتهم وفي اعداد الصامدين أمام الوعد والوعيد ، ويضعه مع الصابرين المحتسبين الذين أصبحوا أسوة حسنة للصابرين المحتسبين ؛ والحق ان تعذيبه لم يكن مصاولة بين

(٢٠) طبقات ابن سعد (١٩٠/٤) والاسابة (٥٦/٤) وأسد الغابة (١٤٤/٣) والاستيعاب (٨٩١/٣) .

الصحابي الجليل وقبصر ، ولكنه مبارزة بين ارادة قبصر و ارادة الله ..
لذلك صبر عبد الله ، ولو صبر انسان لانهار كما ينهار الناس !

ويذكر له جهاده المشرف في فتح أرض الشام ومصر ، وخاصة فتحه
عين شمس ونشره الاسلام في ربوعها ، فهل يذكره أهل عين شمس اليوم ؟
ان جامعة عين شمس يجب أن يطلق عليها اسم : جامعة عبد الله بن
حذافة السهمي ، وهذا أقل ما يجب أن تفعله من أجل بعث ذكره ثانية
عند العرب المسلمين .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الصابر المحتسب ،
عبد الله بن حذافة السهمي القرشي .

خارجة بن حذافة العدوي

فاتح الصعيد

« أردت عمراً وأراد الله خارجة »

(عمر بن بكر)

مع النبي :

هو خارجة بن حذافة بن غانم العدوي القرشي ، وأمه فاطمة بنت عمرو ابن بَجْرَةَ العدوية ^(١) . كان أحد فرسان قريش ، قيل انه كان يعدل بألف فارس ^(٢) ، وهو من مسلمة الفتح ^(٣) ، وقد روى حديث الوتر فقال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد أمدّكم الله الليلة بصلاة لمي خير لكم من حُمُر النعَم . قلنا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الوتر فيما بين صلاة العشاء الى طلوع الفجر ^(٤) » .

ولم يرد له ذكر في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه على كل حال نال شرف الصحبة وهو شرف عظيم .

(١) طبقات ابن سعد (١٨٨/٤) والاصابة (٨٤/٢) وأسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

(٢) أسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

(٣) الاصابة (٨٤/٢) . أما ابن سعد في طبقاته ، فقد جعله من المهاجرين والانصار الذين لم يشهدوا بدرأ ولهم اسلام قديم ، ونرجح أنه من مسلمة الفتح . اذ لو كان من المسلمين القدماء وهو من هو شجاعة واقداماً ، لبرز ذكره في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) طبقات ابن سعد (١٨٩/٤) والاستيعاب (٤١٩/٢) .

جهاده :

شهد خارجة فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو فأمدّه بأربعة آلاف رجل^(٥) ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف : الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة ، وقال عمر : « اني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف »^(٦) .

وكان على رأس كمين قوته خمسمائة رجل سار على رأسهم قبيل الصبح الى (أم دين) وهي حي الازبكية الحالي ، فكان لكمينه أثر في تحطيم مقاومة المدافعين عن حصن (بابلليون)^(٧) .

ولما سار عمرو لفتح الاسكندرية ، خلف في حصن (بابلليون) مسلحة من المسلمين جعل عليها خارجة^(٨) .

فلما طال حصار الاسكندرية بعث عمرو كتابه لفتح الدلتا والصعيد ، فأرسل خارجة الى (القيّوم)^(٩) و (الأشمونين)^(١٠) و (اخميم)^(١١)

(٥) في أسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) أن عمر بن الخطاب أمد عمرو بن العاص بثلاثة آلاف رجل .

(٦) معجم البلدان (٣٧٨/٦) والفاروق عمر للدكتور هيكل (١٠٦/٢) .

(٧) أنظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (١٠٩-١٠٨/٢) .

(٨) أنظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (١٢٣/٢) والبلادري (٢٢١) .

(٩) الفيوم : ولاية غربية بينها وبين القسطنطين أربعة أيام ، بينها مفازة لا ماء بها ولا مرعى .

راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤١٤/٦) .

(١٠) الاشمونين : اسما اشمون ، وأهل مصر يقولون : الاشمونين ، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة ، أهلة ، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦١/١) .

(١١) اخميم : بلد بالصعيد ، وهو بلد قديم على شاطئ النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٥٣/١) .

و (البَشْرُودَات) (١٢) وقرى الصعيد ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صالح القسطاط (١٣) . وبذلك فتح خارجة بلاد الصعيد إلى حدود (طَيِّبَةَ) (١٤) .

لإنسان :

سكن خارجة مصر واختط بها (١٥) ، فكان موضع ثقة عمرو فولاه القضاء (١٦) ، وقيل كان على الشرطة (١٧) ولم يزل في مصر حتى قتل فيها .

فقد شهد بعض الخوارج موسم الحج ورأوا الحميج من أصحاب علي ابن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ، كل يأبى ان يصلي بصلاة أمير خصمه ؛ فضاق هؤلاء نفر من الخوارج بما رأوا ، وذكروا مصارع اخوانهم الذين قتلوا في (النَهْرَوان) ، واثمروا أن يريحوا الامة من هذا الاختلاف الذي تشقى به ، وان يقتلوا هؤلاء الثلاثة الذين هم اصل هذا الاختلاف : علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، واتفقوا على يوم بعينه ينفذون فيه ما صمّموا عليه ، وأقتوا ساعة لاغتيال هؤلاء الثلاثة ، وهي ساعة الخروج لصلاة الصبح من اليوم السابع عشر من شهر رمضان لعامهم ذاك سنة أربعين (١٨) . ولم يخرج عمرو يومذاك ، وأمر خارجة أن يصلي بالناس ، فتقدم الخارجي

(١٢) البشروادات : هكذا وردت في البلاذري (٢١٧) . وقد وردت في معجم البلدان : البشرد ، وهي الصحيح . وهي كورة من كور بطن الريف بمصر من كور اسفل الارض . انظر معجم البلدان (١٩٠/٢) .

(١٣) البلاذري ص (٢١٨) والفاروق عمر للدكتور هيكل (١٣٩/٢) .

(١٤) طيبة . قرية . من كورة الاشمونين بالصعيد . انظر معجم البلدان (٧٦/٦) . وانظر عن فتح الصعيد حتى طيبة في كتاب الفاروق عمر للدكتور هيكل (١٥٩/٢) .

(١٥) الاصابة (٨٤/٢) .

(١٦) طبقات ابن سعد (١٨٨/٤) و (٤٩٦/٧) والاصابة (٨٤/٢) وأسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

(١٧) الاصابة (٨٤/٢) وأسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

(١٨) انظر التفاصيل في ابن الاثير (١٥٨-١٥٥/٣) .

فضرب خارجة بالسيف وهو يظن انه عمرو بن العاص ، فقتله . وأخذ الخارجي وأدخل على عمرو ، فقيل له والله ما قتلت عمراً وإنما ضربت خارجة ، فقال : « أردتُ عمراً وأراد الله خارجة » ، فذهب قوله مثلاً^(١٩) .

لقد قتل خارجة سنة أربعين هجرية (٦٦٠ م) ، وقبره معروف بمصر عند أهلها^(٢٠) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث^(٢١) ، وكان فقيهاً في أمور الدين عادلاً مستقيماً حسن السيرة تقياً فولاه عمرو لذلك القضاء .

القالند :

كان خارجة شجاعاً ، فهو أحد فرسان قريش المعدودين يعد بألف فارس^(٢٢) ، لذلك أمره عمر بن الخطاب على ألف رجل من مدد لعمر و قال عنه : « إنه رجل مقام ألف » . وكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : « أن افرض لكل من بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء ، وابلغ ذلك لنفسك بامارتك ، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته^(٢٣) » .

إن شجاعته وماضيه المجيد في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده لاعلاء كلمة الله كانا من أهم عوامل ثقة رجاله به واعتمادهم عليه ، كما أنه كان حصيماً ذكياً فكانت خططه صحيحة . لذلك استطاع فتح منطقة الصعيد بسرعة ويسر وبخسائر لا تكاد تذكر .

(١٩) طبقات ابن سعد (٤٩٦/٧) والامامة والسياسة (١٦١/١) .

(٢٠) الاستيعاب (٤١٩/٢) .

(٢١) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٢٩٣)

(٢٢) الاستيعاب (٤١٩/٢) والاصابة (٨٤/٢) .

(٢٣) طبقات ابن سعد (٤٩٦/٧) .

خارجة في التاريخ :

يذكر التاريخ لخارجة جهاده المشرف في فتح مصر ، ويذكر له فتح الصعيد موطن العرب الاصليين أصحاب التقاليد العربية العريقة منذ الفتح الاسلامي حتى اليوم .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، القاضي العادل خارجة ابن حذافة العدوي .

عُمَيْر بن وَهْب الجُبَيْسِي

فاتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير^(١)

في الجاهلية :

هو عُمَيْر بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح الجُمَحِي القرشي ، يكنى
أبا أمية^(٢) ، وأمه سُخيلة بنت هاشم بن سَعِيد بن سهم . كان سيد بني
جُمَح^(٣) في الجاهلية ، وكان له قدر وشرف في قريش . شهد (بدرًا)

(١) ا. تنيس : جزيرة في بحر مصر ، قرية من البر ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في
شرقيها . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٩/٢) .

ب. دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨٥/٤) .

ج. تونة : جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية . راجع التفاصيل في معجم البلدان
(٤٣٥/٢) وهي الآن مدينة من أعمال المنيا .

د. دميرة : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ، وهما دمرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل
في طريق من يريد دمياط . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٥/٤) .

ه. شطا : بليد بمصر على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح . أنظر معجم البلدان (٢٦٤/٥)
و. دقهلة : بلد بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ ، وبينها وبين دميرة ستة
فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦٥/٤) . وهي محافظة الدقهلية .

ذ. بنا بلدة قديمة بمصر ، بينها وبين القسوطا ثمانية عشر ميلا . انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٢٨٦/٢) . يطلق عليها الآن : بنا .

ح. بوصير : اسم لأربع قرى بمصر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٦/٢) والمقصود بهذه
بوصير بنا ، واليوم تعرف باسم : أبو صير .

(٢) طبقات ابن سعد (١٩٩/٤) والاصابة (٣٦/٥) وأسد الغابة (١٤٨/٤) والاستيعاب
(١٢٢١/٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (١٩٩/٤) .

كافراً ، وهو القاتل يومئذ في الأنصار : « إني أرى وجوهاً كوجوه الحيات ، لا يموتون ظمأً أو يقتلون منا أعدادهم ، فلا تتعرضوا لهم بهذه الوجوه التي كأنها المصابيح » ، فقالوا : « دع عنك هذا وحرش بين القوم » ، فكان أول من رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشب القتال (٤) .

وهو الذي بعثته قريش ليحزر لهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويأتيهم بعددهم وعدتهم ، وكان حريصاً على رد قريش عن لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر (٥) ، فاستجال حول عسكر المسلمين بفرسه ، ثم رجع إليهم فقال : « ثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد » ، فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : « ما وجدت شيئاً ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلياء تحمل المنايا ، نواضح يشرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعمة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرأوا رأيكم » (٦) .

وجرح عير يوم (بدر) فوقع في القتلى ، فلما وجد برد الليل أفاق لإفاقة فجعل يحبو حتى خرج من بين القتلى ورجع الى مكة ، فبرأ من جرحه (٧)

(٤) الاستيعاب (١٢٢١/٣) .

(٥) طبقات ابن سعد (١٩٩/٤) .

(٦) سيرة ابن هشام (٢٦١/٢ - ٢٦٢) . والبلياء : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط عل قبر الميت فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت ، وكان بعض العرب من يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .

والنواضح : الأبل التي يسقى عليها الماء .

والناقع : الثابت .

(٧) طبقات ابن سعد (٢٠٠/٤) .

لقد كان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها^(٨) ، ومن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء بمكة^(٩) .

إسلامه :

جلس عمير في (الحِجْر) مع صَفْوَان بن أمية بعد مصاب أهل (بدر) من قريش ، فذكر أصحاب القلب ومُصَابِهِمْ ، فقال صفوان : « قبح الله العيش بعد قتلى بدر » ، وقال عمير : « أجل ، ولولا دَيْنُ عليّ لا أجد قضاءه ، وعيال لا أدع لهم شيئاً نخرجت الى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه ، فان لي علة أعتل بها ، أقول : قدمت على ابني هذا الأسير »^(١٠) ففرح صفوان وقال : « عليّ دينك ، وعيالك أسوة عيالي في النفقة » ، وجهزه صفوان وأمر بسيف فسمّ وصقل ، وأقبل عمير حتى قدم المدينة ونزل بباب المسجد .

ونظر عمر بن الخطاب وهو في نفر من الأنصار يتحدثون عن وقعة (بدر) الى عمير ، فلما رآه معه السيف ، فرع وقال : « عدو الله الذي حزرنا للقوم يوم بدر » ؛ ثم قام فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد متقلداً سيفاً وهو الغادر الفاجر يا رسول الله ... لا تأمنه على شيء !! » ، فقال : « أدخله عليّ »^(١١) .

وأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيف عمير ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : « أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده

(٨) الاستيعاب (١٢٢١/٣) .

(٩) سيرة ابن هشام (٣٠٦/٢) .

(١٠) أسر ابنه وهب بن عمير في (بدر) . انظر أسد الغابة (١٤٨/٤) وطبقات ابن سعد

(١٩٩/٤) .

(١١) أسد الغابة (١٤٩/٤) سيرة ابن هشام (٣٠٧/٢) والاصابة (٣٦/٥) .

واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غير مأمون » ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه ، قال : « أرسأه يا عمر . أدنُ يا عمير » ، فدنا وقال : « انعموا صباحاً » وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ! ... فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : « جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه . » قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » . قال : « قبّحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ ... إنما نسيت حين نزلت ! » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدقني ، ما أقدمك ؟ » . فقال : « قدمت في أسيري » ، قال : « فما شرطت لصفوان ابن أمية في الحجر ؟ ! » ، ففزع عمير وقال : « ما شرطت شيئاً ! ! » . « تحمّلت له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك ، والله حائل بينك وبين ذلك » . فقال عمير : « أشهد أنك رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله » . ففرح به المسلمون ، وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره » ؛ ففعلوا (١٢) .

وقال عمير : « يا رسول الله ! إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجل ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله تعالى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم » ، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم .

ولحق عمير بمكة ، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير يقول : « أبشروا بواقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بلر » ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلام عمير ، فحلف ألا يكلمه

(١٢) طبقات ابن سعد (٤/١٩٩ - ٢٠٠) والاصابة (٥/٣٦ - ٣٧) وأسد الغابة (٤/١٤٩) وسيرة ابن هشام (٢/٢٠٧ - ٢٠٨) .

أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً ؛ فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الاسلام ويؤذي من خالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير . (١٣)

ثم هاجر عمير الى المدينة ، فشهد (أحدًا) وما بعد ذلك من المشاهد (١٤) ، وبعد فتح مكة المكرمة خرج صفوان بن أمية يريد (جُدَّة) ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير : « يا نبي الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر » ، فأمنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « هو آمن » ، فقال عمير : « يا رسول الله ! فأعطني آية يعرف بها أمانك » ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال : « يا صفوان ، فذاك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئت بك به » فقال صفوان : « ويحك !! أغرب عني فلا تكلمني » ، فقال : « أي صفوان ، فذاك أبي وأمي ، أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ... ابن عمك : عزه عرك وشرفه شرفك وملكه ملكك » . قال : « إني أخافه على نفسي » ، فقال : « هو أحلم من ذاك وأكرم » ، فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : « إن هذا يزعم أنك قد أمتني » ، قال : « صدق ! » ، قال : « فأجعلني فيه بالخيار شهرين » ، قال : « أنت بالخيار فيه أربعة أشهر » (١٥) .

وبعد غزوتي (حنين) و (الطائف) ، أعطى النبي صلى الله عليه وسلم بعض المؤلفة قلوبهم وبعض رجالات قريش من قبىء هوازن بعض المال

(١٣) سيرة ابن هشام (٣٠٨/٢ - ٣٠٩) والاصابة (٣٧/٥) وأسد الغابة (١٤٩/٤ - ١٥٠)

(١٤) طبقات ابن سعد (٢٩٠/٤) .

(١٥) انظر سيرة ابن هشام (٣٨/٤) وجوامع السيرة لابن حزم (٢٣٥) وهذا هو المعنى

الصلي لقوله تعالى : (لا إكراه في الدين) .

والأبل ، فأعطى لعمير أقل من مائة بعير مع من أعطاه من رجالات قریش (١٦) كما شهد غزوة (تبوك) (١٧) وهي آخر غزوة قادها النبي القائد بنفسه .
لقد حسن إسلام عمير (١٨) ، وبذل قصارى جهده لنشر الاسلام بالدعوة لاعتناقه ، وجاهد حق الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

شهد عمير (أحدًا) وما بعدها من المشاهد تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاهد المرتدين في أيام أبي بكر ؛ فلما عادت الوحدة الى شبه الجزيرة العربية وعادت رايات الاسلام ترفرف في ربوعها ، وابتدأ الفتح الاسلامي ، كان عمير مع الفاتحين في ساحات أرض الشام .

وقصد عمرو بن العاص مصر لفتحها ، فأمدّه عمر بن الخطاب بالرجال وعلى رأسهم بعض أبطال المسلمين المعروفين - وكان عمير أحد هؤلاء الأبطال الذين أمد بهم عمر بن الخطاب عمرو بن العاص (١٩) ؛ فكان لعمير وأصحابه الأبطال أثر كبير على انتصار المسلمين على الروم في معركة فتح حصن بابلون .

وبعد ان فتح عمرو القسطنطينية وجه عمير الى (تَنيس) و (دَمِياط) و (تُونة) و (دَمِيرَة) و (شَطَا) و (دَقَهْلَة) و (بنام) و (بوصير) فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح القسطنطين (٢٠) . وشهد بعد ذلك تحت لواء عمرو بن العاص معركة فتح الاسكندرية ، حيث أكمل المسلمون فتح مصر كلها .

(١٦) انظر سيرة ابن هشام (٤/١٤٠) و (٤/١٤٣) .

(١٧) سيرة ابن هشام (٤/١٧٥) .

(١٨) طبقات ابن سعد (٤/٢٠٠) .

(١٩) الاستيعاب (٣/١٢٢٢) .

(٢٠) البلاذري (٢١٨) .

الانسان :

كان عمير سيد قومه في الجاهلية على الرغم من فقره المدقع ، مما يدل على أنه نبواً هذا المركز المرموق بين قومه بمزاياه الانسانية : شجاعته وكرمه ونخوته وشهامته .

وكان مخلصاً لعقيدته غاية الاخلاص : أخلص لعقيدته واندفع للدفاع عنها يوم كان مشركاً ، فلما أسلم وحسن اسلامه اندفع للدفاع عن عقيدته الجديدة باخلاص وحماس شديدين .

وقد عاش كل حياته فقيراً ، وكان بامكانه أن يصبح غنياً بعد الفتح ، ولكن كرمه وبذله ما يملك في سبيل عقيدته لم يبق له شيئاً من المال .

لقد بقي عمير بعد عمر بن الخطاب (٢١) وعاش الى صدر خلافة عثمان ابن عفان (٢٢) ، وتوفي حوالي سنة أربع وعشرين للهجرة (٦٤٤ م) .

القائد :

من دراسة حياة عمير العسكرية ، يتضح لنا أنه كان يحسن الاستطلاع ، فقد حذر بالضبط عدد المسلمين في (بدر) ، ولكنه لم يكتف بذلك بل دقق في استطلاعهم ليطمئن الى عدم وجود مدد أو كمين للمسلمين .

وكان يحسن تقدير الموقف ، فقد نصح قريشاً ألا تقاتل المسلمين على الرغم من تفوق قريش بالقدر والعُدَد على المسلمين تفوقاً ساحقاً ، مما يدل على بعد نظره وذكائه الخارق .

وبالاضافة الى ذلك ، كان من أبطال قريش المعدودين : ذهب وحده لاستطلاع عدد المسلمين وعدتهم في (بدر) على الرغم من خطورة هذا

(٢١) طبقات ابن سعد (٢٠١/٤) .

(٢٢) الاستيماص (١٢٢٢/٣) وفي ابن الاثير (٣٠/٣) انه توفي في أيام عمر بن الخطاب .

والظاهر انه توفي بعد عمر بقليل في صدر أيام عثمان بن عفان .

الواجب ، وجازف بالاقدام على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة حصنه الحصين وبين أصحابه الذين يقدونه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم ، وأقدم على الذهاب وحده الى مكة معقل المشركين يومذاك ليدعو الناس الى الاسلام ... وكان أول من رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنشب الحرب يوم (بدر) .

قال له عمر بن الخطاب يوماً : « أنت الذي حزرتنا يوم بدر ؟ » ، فلم يتردد عمير من القول : « نعم ! وأنا الذي حرّشت بين الناس ، ولكن جاء الله بالاسلام ، وما كنا فيه من الشرك أعظم من ذلك !! » ... فقال عمر : « صدقت » (٢٣) .

والقائد الذكي الذي يحسن تقدير الموقف والاستطلاع ، يحسن نتيجة لذلك إعطاء القرارات الصائبة السريعة . كما أن شجاعته الخارقة ومكانته وقدره بين قريش دليلاً على تمتعه بشخصية نافذة وإرادة قوية ، لذلك كان موضع ثقة رجاله وحبهم .

إن مزايا قيادة عمير جعلت مجرد وجوده بين الرجال من عوامل رفع معنوياتهم واطمئنانهم الى النصر .
لقد كان عمير قائداً فذاً بكل مزايا القيادة الفذة .

عمير في التاريخ :

يذكر التاريخ لعمير جهوده المثمرة في سبيل نشر الاسلام في مكة ، ويذكر له شجاعته النادرة وبطولته الفذة وجهاده لاعلاء كلمة الله .
ويذكر له فتحه منطقة واسعة جداً من أرض الكنانة ونشره الاسلام ولغة القرآن في ربوعها .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، البطل المجاهد عمير ابن وهب الجُمُحي القرشي .

(٢٣) الاصابة (٣٧/٥) .

عقبته بن عامر الجهناني

فاتح اسفل ارض مصر

(جنوبي مصر)

الصحابي :

هو عَقْبَةُ بن عامر بن عَبْس الجُهَنِّي ^(١) من قضاة بن مالك بن حمير ^(٢) ؛ أسلم بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، فقد ذكر عقبه أنه : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا في غم أرعاها ، فتركها ثم ذهبت اليه فقلت : تباعني يا رسول الله ؟ فقال : فمن أنت ؟ فأخبرته ! فقال : أيما أحب اليك ، تباعني ببيعة أعرابية أو ببيعة هجرة ؟ فقلت : ببيعة هجرة ! فباعني » ^(٣) . وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم ^(٤) وكان من الصحابة المشهورين ^(٥) ؛ ولم يشهد (بدرأ) ولكنه شهد (أحدأ) والمشاهد الأخرى بعد (أحد) ^(٦) ، وبذلك نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

(١) طبقات ابن سعد (٣٤٣/٤) و (٤٩٨/٧) والاصابة (٢٥٠/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) والاستيعاب (١٠٧٣/٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٤٤/٤) .

(٣) أسد الغابة (٤١٧/٣) وانظر أيضاً الاصابة (٢٥٠/٤ - ٢٥١) وطبقات ابن سعد (٣٤٣/٤ - ٣٤٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٧) .

(٥) الاصابة (٢٥٠/٤) .

(٦) لم يرد ذكره مع أسماء الصحابة الذين شهدوا (بدرأ) وقد ورد ذكره مع الذين شهدوا (أحدا) . انظر طبقات ابن سعد (٣٤٣/٤ - ٣٤٤) .

المجاهد :

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد عقبة فتوح الشام ، وكان على البريد الى عمر بن الخطاب بفتح دمشق ؛ كما شهد فتح مصر (٧) تحت لواء عمرو بن العاص .

ولما فتح عمرو بن العاص الفسطاط ، وجه عقبة الى سائر قرى أسفل الأرض ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط (٨) . وفي خلافة معاوية غزا عقبة البحر على رأس أهل مصر (٩) .

الانسان :

كان عقبة يعمل راعياً قبل إسلامه ، وبقي يعمل راعياً بعد إسلامه أيضاً ؛ وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ساعياً لجمع الصدقات ، قال عقبة : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعياً ، فاستأذنته أن تأكل من الصدقات ، فأذن لنا » (١٠) .

وتولى أيام معاوية بن أبي سفيان أمر الخراج والصلاة بمصر ، ثم عزله معاوية وولاه قيادة المسلمين من أهل مصر في البحر (١١) .

لقد تحول الى مصر فنزل بها وبني بها داراً (١٢) ؛ وتوفي سنة ثمان وخمسين بمصر (١٣) (٦٧٧ م) ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر (١٤) .

(٧) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٧) والاصابة (٢٥١/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) .

(٨) البلاذري ص (٢١٨) .

(٩) الطبري (١٧٣/٤) وابن الاثير (١٨١/٣) .

(١٠) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٤٥/٤) .

(١١) الاصابة (٢٥١/٤) والاستيعاب (١٠٧٣/٣) .

(١٢) طبقات ابن سعد (٣٤٤/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) .

(١٣) الاصابة (٢٥١/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) والاستيعاب (١٠٧٣/٣) وابن الاثير

(٢٠٤/٣) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٧) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وخمسين حديثاً (١٥) ؛ وكان قارئاً من أحسن الناس صوتاً بالقرآن (١٦) ، عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان شاعراً كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن (١٧) ؛ وكان مثلاً رفيعاً للخلق الكريم ، وكان يردد ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقه على نفسه ، فقد قال له : « يا عقبة بن عامر ! أملك لسانك وأباك على خطيبتك ، ويسمعك بينك » ؛ وقال له : « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ واعط من حرمك واعف عمن ظلمك » (١٨) .

وكان يخضب بالسواد وكان يقول : « نغَيِّرُ أَعْلَاهَا وَتَأْبَى أَصُولُهَا » (١٩) ؛ وقد أنفق ماله في سبيل الله فلما حضرته الوفاة كان له بضع وستون أو بضع وسبعون قوساً مع كل قوس قرن ونبل أوصى بهن في سبيل الله (٢٠) ! .

القائد

كان عقبة من هواة الجهاد في سبيل الله ، وكان الجهاد العمود الفقري لحياته كلها ؛ حتى أحاديث الحث على الجهاد ومتطلباته رواها عن الرسول القائد ؛ فقد روى حديث : « إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله » ؛ وقال : ارموا واركبوا ، ولئن ترموا أحب الي من أن تركبوا . وهو الذي روى حديث : « كل ميت يحتم على عمله إلا المرباط في سبيل الله ، فانه

(١٥) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لا بن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص

(٢٧٩) . وانظر تفاصيل حديث عقبة بن عامر الجهني في مستد الامام احمد بن حنبل (١٥٩-١٤٣/٤)

(١٦) أسد الغابة (٤١٧/٣) .

(١٧) الاصابة (٢٥٠/٤) .

(١٨) مستد الامام أحمد بن حنبل (١٥٨/٤) .

(١٩) طبقات ابن سعد (٣٤٤/٤) و (٤٩٨/٧) وأسد الغابة (٤١٧/٣) .

(٢٠) مستد الامام احمد بن حنبل (١٤٨/٤) .

يجري له أجر عمله حتى يبعث . وهو الذي قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

وكان يحب الرمي ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « من علم الرمي ثم تركه بعد ما علمه فهي نعمة كفرها » ، وكان يلهو بالرمي ويروى عن النبي الكريم قوله : « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله عز وجل ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » (٢١) ، لذلك كان كل رأس ماله الذي تركه بعد وفاته بضع وستون أو بضع وسبعون قوساً مع توابها !

لقد ذكرنا في مزاياه إنساناً إنه كان عالماً فقيهاً محدثاً ذا خلق رفيع ، وهذا يدل على تمتعه بعقلية راجحة تساعده على إعطاء القرارات الصائبة ، كما تجعله موضع ثقة ومحبة رجاله الذين يبادلهم ثقة بثقة وحباً بحب . كما أن توليه القيادة والأمانة دليل على تمتعه بشخصية نافذة وإرادة قوية بالإضافة الى ماضيه الناصع المجيد في صحبته وجهاده .

عقبة في التاريخ :

يذكر التاريخ لعقبة فتحه منطقة أسفل أرض مصر — تلك المنطقة الغنية الواسعة العامرة بالخيرات .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، عقبة بن عامر الجهني .

(٢١) انظر مسند احمد بن حنبل (٤/١٤٨ - ١٥٧) .

عُبَادَةُ بن الصَّامِتِ الأنصاري الخزرجي

فاتح مدينة أنطرطوس^(١) من ارض الشام

والاسكندرية من أرض مصر

(ارجع الى مكانك فقيح الله ارضاً لست فيها ولا امثالك)

(عمر بن الخطاب)

مع النبي :

قدم مكة الحَيَّسَرُ أنيس بن رافع^(٢) في مائة من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف مع قريش ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، فقال اياس بن معاذ^(٣) وكان شاباً حدثاً : « يا قوم ، هذا والله خير مما جئنا له ! » ، فضربه الحيسر وانتهره ، فسكت ! ولم يتم له الحلف ، فانصرفوا الى المدينة .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند (العقبة)^(٤) ستة نفر

(١) انطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص ، وهي مطلة على البحر في شرقي عرقة بينهما ثمانية فراسخ ولها برجان حصيان كالقلعتين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٩/١) .

(٢) الحيسر أنيس بن رافع أبو الجيش الاوسي : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مكة فأتاهم النبي فأسلموا وفي رواية أنه لم يسلم وله ابن شهد بداراً وابنة تزوجها عبد الرحمن بن عوف . راجع الاصابة (١٣٦/١) .

(٣) اياس بن معاذ الأنصاري الاشهلي : مات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن مات من المهاجرين الاولين والانصار . قدم مكة وهو غلام قبل الهجرة فرجع الى المدينة ومات قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها ، وقد ذكر قومه أنه مات مسلماً . راجع الاصابة (٩٢/١) وأسد الغابة (١٥٨/١) والاستيعاب (١٢٥/١) .

(٤) العقبة : العقبة هو الجبل الطويل يمرض للطريق . والعقبة : منزل في طريق مكة بمد واقصة =

من الأنصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم الى الاسلام فآمنوا وأسلموا ، وقالوا : « إنا قد تركنا قومنا وبينهم حروب فننصرف اليهم وندعوهم الى ما دعوتنا اليه ، فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك ، فإن اتبعوك فلا أحد أعز منك » .

وانصرفوا الى المدينة فدعوا الى الاسلام حتى فشا فيهم ، ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان العام القادم ، قدم الانصار اثنا عشر رجلاً ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وحضرها سبعة آخرون كان أحدهم عبادة بن الصامت ابن قيس الانصاري الخزرجي (٥) .

وشهد عبادة العقبة الثانية ، وباع مع من باع من الانصار على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزهرهم ، وأن يرحل اليهم وأصحابه (٦) .

لقد كان عبادة أحد النقباء الاثني عشر ، وقد آخى رسول الله صلى الله

وقبل القاع لمن يريد مكة . وهو ماء لبني عكرمة بن بكر بن وائل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩١/٦) .

(٥) أ . نفر الستة الذين لقيهم الرسول صلى الله عليه وسلم هم ١ . أبو أمامة أسعد بن زرار . ٢ . عوف بن الحارث . ٣ . رافع بن مالك . ٤ . قطبة بن عامر . ٥ . عقبة بن عامر . ٦ . جابر ابن عبد الله .

ب . لم يحضر جابر بن عبد الله في العام القادم ، وحضرها خمسة فقط من ذكرنا أعلاه كما حضرها سبعة آخرون هم : ١ . معاذ بن الحارث . ٢ . ذكوان بن عبد قيس . ٣ . عبادة بن الصامت . ٤ . يزيد بن ثعلبة . ٥ . العباس بن عبادة . وهؤلاء الخمسة من الخزرج ، وحضرها اثنان من الاوس هما : ١ . مالك بن تيهان . ٢ . عويم بن ساعدة .

ج . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢١٧/١ - ٢٢٠) وسيرة ابن هشام (٣٦/٢ - ٤٠) وجوامع السيرة (٦٩ - ٧٢) .

(٦) ١ . الازر : جمع ازار ، وهو كناية عن المرأة والنفس ، والثانية هي المقصودة منها . ب . سيرة ابن هشام (٥٠/٢ - ٥٢) وطبقات ابن سعد (٢٢١/١ - ٢٢٣) وجوامع السيرة (٧٤ - ٧٦) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) .

عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي^(٧) . وشهد بدرأً وأحدأً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٨) ، فكان عَقَبِيًّا نَقِيًّا بدرياً أنصارياً^(٩) ، وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وقال له : « اتق الله ! لا تأتي يوم القيامة ببعر تحمله له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها ثَوَاج » ، قال : « فوالذي بعثك بالحق ، لا أعمل على اثنين » ، وكان قد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ألا يخاف في الله لومة لائم^(١٠) .

وكان بنو قَيْنِقَاع حلفاء عبد الله بن أبي بن سلُول^(١١) ، كما كانوا حلفاء عبادة ، فلما حاربت بنو قَيْنِقَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عبد الله بن أبي دونهم فقال : « يا محمد ! أحسن في موالي » ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظِلًّا^(١٢) ، أما عبادة فقد مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلعهم وتبرأ من حلفهم ، وقال : « يا رسول الله ! أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم » ، ففيه وفي عبد الله بن أبي نزل قول الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين »^(١٣))

-
- (٧) أبو مرثد الغنوي : اسمه كنانز بن الحصين ، شهدا بدرأً وكان حليفاً لبني هاشم ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً ، وقد سكن الشام . راجع طبقات ابن سعد (٤٧/٣) والاصابة (١٧٤/٧) وأسد الغابة (٢٥٤/٤) والاستيعاب (١٧٥٤/٤) .
- (٨) طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣) والاصابة (٢٧/٤) وأسد الغابة (١٠٦/٣) والاستيعاب (٨٠٨/٢) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) والمعارف (٢٥٥) .
- (٩) طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣) وأسد الغابة (١٠٧/٣) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) .
- (١٠) أسد الغابة (١٠٦/٣ - ١٠٧) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٧/٧) .
- (١١) عبد الله بن أبي بن سلُول : هو زعيم المنافقين بالمدينة .
- (١٢) الظلل : جمع ظلة وهي في الاصل السحابة . فاستعارها هنا لتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم .
- (١٣) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ - ٥١) ، وانظر القصة في سيرة ابن هشام (٤٢٨/٢ - ٤٢٩) والاصابة (٢٨/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧ - ٢٠٩) .

وقد أمر الرسول القائد أن يُجْلُوا من المدينة وولى اخراجهم منها عبادة (١٤) .
لقد كان عبادة مثالا للامانة والاخلاص والايمان العميق .

جهاده :

كتب يزيد بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب : « قد احتاج أهل الشام الى من يعلمهم القرآن ويفقههم » ، فأرسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء (١٥) ، فأقام عبادة بحمص (١٦) فاستخلفه عليها أبو عبيدة ابن الجراح عندما سار لفتح (اللاذقية) ثم صرفه لفتح (انطُرطوس) ففتحها (١٧) .

وشهد فتح مصر وكان أمير ربيع المدد (١٨) ، فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص فأرسل الزبير بن العوام في أثره في اثني عشر ألفاً ، وفي رواية أن عمراً مدَّ عمراً بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف : الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة ابن حذافة (١٩) وقال عمر : « إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل

(١٤) طبقات ابن سعد (٢٩/٢) . وفي تهذيب ابن عساكر (٢٠٩/٧) : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بتخليفة بني قينقاع فجعلوا يقولون : يا أبا الوليد بين الاوس والخزرج ونحن مواليك ، فعلت هذا بنا ؟ » فقال لهم : لما حاربتم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له : اني أبرأ اليك منهم ومن حلفهم » ... الخ .

(١٥) الاصابة (٢٨/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢١٠/٧) .

(١٦) أسد الغابة (١٠٦/٣) وفي الاصابة (٢٨/٤) انه اقام بفلسطين ، ونرجح انه اقام بحمص لانه يتسق مع سير الحوادث . انظر تهذيب ابن عساكر (٢١٠/٧) .

(١٧) البلاذري (١٣٩) ومعجم البلدان (٣٥٩/١) وفي البلاذري (١٣٨) انه فتح اللاذقية ايضاً ، وهذا مرجوح في نظرنا اذ ان فتحها كان على يدي أبي عبيدة بن الجراح .

(١٨) الاصابة (٢٨/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) .

(١٩) خارجة بن حذافة : كان يعد بألف فارس وهو من مسلمة الفتح وأمد به عمر عمرو بن العاص فشهد معه فتح مصر ، وكان على شرطة عمرو ، فيقال ان عمرو بن العاص استخلفه على الصلاة ليلة قتل علي بن ابي طالب ، فقتله الخارجي الذي افتدب لقتل عمرو بن العاص وقال :

« أردت عمراً وأراد الله خارجة » . راجع طبقات ابن سعد (٤٩٦/٧) والاصابة (٨٤/٢) : وأسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

الف رجل منهم مقام الف « (٢٠) .

وأرسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم » ؛ فبعث عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة ، وكان أسود اللون (٢١) ضخماً طويلاً ، وأمره أن يكلم القوم وألا يجيبهم الى شيء يدعو اليه إلا إحدى هذه الخصال الثلاث (٢٢) ودخل القوم على المقوقس وأراد عبادة مخاطبته ، فلما رآه قال : « نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني » ، فأجابوه جميعاً : بأنهم يرجعون الى قول عبادة ورأيه . وتكلم عبادة وذكر ما أمر الله ورسوله المسلمين به من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، والجهاد في الله وحب الاستشهاد في سبيله . فقال المقوقس لعبادة : « لقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل ، وانا لنعلم أنكم لن تقدرُوا عليهم لضعفكم وقتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا شهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقتكم وقلة ما بأيديكم ، وتطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولا ميركم مائة دينار وخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به » ، فأجاب عبادة مزدرياً جمع الروم وعددهم ، ذاكراً قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) ، وأن كل رجل من المسلمين يدعو ربه صباح مساء أن يرزقه الشهادة ، وأنهم الى ذلك في

(٢٠) معجم البلدان (٣٧٨/٦) وفتوح مصر والمغرب (٩١) .

(٢١) في الاصابة (٢٨/٤) انه كان جبيلاً ، وهذا بالنسبة للعرب ، وهو أسود بالنسبة للروم فلا تناقض بين ما جاء في الاصابة وما جاء في أعلاه .

(٢٢) هي : ١ . الاسلام . ٢ . الجزية . ٣ . القتال : اذا اسلموا كانوا كالمسلمين سواء ، والا للجزية ، فاذا لم يسلموا ولم يدفعوا الجزية ، فليس لهم الا السيف .

أوسع السعة من معاشهم وحالهم ، ثم قال : « فانظر الذي تريد فيّته لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك أو نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ولا تطع نفسك في الباطل . بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل اليانا » . ثم ذكر له أنهم إن أسلموا انصرف العرب عنهم ، وإن أبوا الاسلام وأدوا الجزية أدخلهم المسلمون في حمايتهم ودافعوا عنهم ، وإن أبوا الاسلام والجزية جميعاً ، فليس الا الحرب .

وحاول المقوقس عبثاً أن يصرف عبادة الى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ، والتفت الى من معه يستطلع رأيهم فأبوا اجابة المسلمين الى شيء مما طلبوا ؛ فانصرف عبادة وأصحابه لم يغيروا مما قالوه حرفاً .

ونشب القتال بين الطرفين حول حصن (بابلون) فأحرز المسلمون النصر بعد أيام معدودة من مفاوضة عبادة والمقوقس (٢٢٢) .

وشهد عبادة معارك فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وهو الذي فتح الاسكندرية ، فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمرو : « أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر . انكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذلك الا لم أحدثهم وأحببتهم من الدنيا ما أحب عدوكم . وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نيّاتهم . وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلنتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم . فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الاربعة في صدر الناس ، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة ، وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر على عدوهم » ..

(٢٢٢) الفاروق عبر للدكتور هيكل (١١٤/٢-١١٦) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٨-١٠٣)

وتلا عمرو كتاب أمير المؤمنين وأخذ يفكر في خطة يفتح بها الاسكندرية ،
ثم دعا عبادة فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية (٢٣) .

وعاد الى أرض الشام فشهد مع معاوية بن أبي سفيان فتح جزيرة
قُبُرس (٢٤) ، وكان له أثر حاسم في فتح هذه الجزيرة .

الانسان :

كان عبادة من المسلمين الأولين وكان نقيباً وشهد العقبة الأولى والثانية
والثالثة (٢٥) ، وكان يقول : « أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة العقبة » (٢٦) وكان ممن جمع القرآن الكريم في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم (٢٧) ، وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ألا يخاف في الله لومة لائم (٢٨) ، فكان في كل عمره يعمل بذلك .
كان معاوية قد خالفه في شيء أنكره عليه عبادة في الصرف ، فاعلظ له
معاوية في القول ، فقال له عبادة : « لا أسأكنك بأرض واحدة أبداً » ،
ورحل الى المدينة ، فقال له عمر : « ما أقدمك ؟ » فأخبره ، فقال عمر :
« ارجع الى مكانك ، فبيح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك » . وكتب
الى معاوية : « لا إمرة لك على عبادة ! » (٢٩) . وقد ذكر معاوية الفرار
من الطاعون ، فأنكر ذلك عليه عبادة ، فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة
العصر ، فقال : « الحديث كما حدثني عبادة ، فاقبِسوا منه ، فهو أفقه

(٢٣) الفاروق عمر للدكتور هيكل (١٤٢/٢ - ١٤٣) وفتوح مصر والمغرب ص (١١٦ - ١١٧) .

(٢٤) البلاذري ص (١٥٨ - ١٥٩) وابن خلدون (١٣٠/٢) ملحق .

(٢٥) الاستيعاب (٨٠٨/٢) .

(٢٦) الاصابة (٢٧/٤) .

(٢٧) الاصابة (٢٨/٤) وأسد الغابة (١٠٦/٣) .

(٢٨) أسد الغابة (١٠٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) .

(٢٩) الاستيعاب (٨٠٨/٢) وأسد الغابة (١٠٦/٣) وتهذيب ابن عساكر (٢١١/٧) .

مني « . ولعبادة قصص متعددة مع معاوية وانكاره عليه أشياء ، وفي بعضها رجوع معاوية له ، وفي بعضها شكواه الى عثمان منه ، وكل ذلك يدل على قوته في دين الله وقيامه في الأمر بالمعروف (٣٠) .

ولماذا نهج من ذلك ، وقد كان عبادة يعاتب حتى عمر بن الخطاب ، فقد قال عمر لجبل بن الأيهم : « إن أقميت على دينك فأد الجزية » فأنف منها جبل ، فقال له عمر : « ما عندنا لك الا واحدة من ثلاث : اما الاسلام ، وأما أداء الجزية ، وأما الذهاب الى حيث شئت » ، فدخل بلاد الروم ، فلما بلغ ذلك عمر ندم وعاتبه عبادة فقال : « لو قبلت منه الصدقة ثم تألفتها لأسلم » (٣١) .

لقد أرسله عمر الى الشام يعلمهم القرآن ويفقههم (٣٢) ، وكان قبل ذلك يعلم أهل الصفة القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣) ، وكان أول من ولي قضاء فلسطين (٣٤) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وأحد وثمانين حديثاً (٣٥) ، وكان أحد أصحاب الفتيا من الصحابة (٣٦) وكان قد تفقه في دين الله (٣٧) .

ولاه أبو عبيدة امرة حمص ثم صرفه الى الجهاد (٣٨) ، ولما توفي

(٣٠) الاصابة (٢٨/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢١٠/٧ - ٢١١) .

(٣١) البلاذري ص (١٤٢) . وفي رواية أخرى ان جبله فر الى الروم لانه لطم رجلا من مزينة فأمره عمر بالاعتصام ، فأنف جبله من ذلك !

(٣٢) الاصابة (٢٨/٤) .

(٣٣) أسد الغابة (١٠٦/٣) وكان أهل الصفة من فقراء المسلمين .

(٣٤) الاصابة (٢٨/٤) وتهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) .

(٣٥) أساء الصحابة وما لكل واحد من العدد - لا بن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٣٧٧)

(٣٦) أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا - لا بن حزم - ملحق

بجوامع السيرة ص (٣٢٠) .

(٣٧) الاصابة (٢٨/٤) .

(٣٨) الاصابة (٢٨/٤) .

أبو عبيدة وولاه عمر حمص (٣٩) ثم صرفه الى الجهاد في مصر ، ولكنه عاد الى أرض الشام فلم يزل بالشام حتى توفي بالرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين (٦٥٤ م) وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، أي أنه ولد سنة ثمان وثلاثين قبل الهجرة (٥٨٦ م) ، وكان رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً ، وله عقب (٤٠) .

لقد كان عبادة من سادات الصحابة ، وكان محدثاً فقيهاً عالماً ورعاً غاية الورع ، يعمل لعقيدته أكثر مما يعمل لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل عقيدته .

القائد :

كان عبادة رجلاً معدوداً بألف رجل ، وقيمته المرموقة هذه لها سببان : شجاعته الشخصية واقدامه أولاً ، وعقيدته الراسخة وإيمانه العميق ثانياً .

كان وجوده — مجرد وجوده — في جيش من جيوش المسلمين كافياً لرفع معنويات ذلك الجيش واقدامه على تحمل أشق أعباء القتال ... إذ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والاقدام ، كما كان يفجر في نفوسهم ينابيع الايمان بالقضاء والقدر والتطلع الى الشهادة في سبيل الله .

لم يكن عبادة يكثرث بالموت ، بل كان يسعى اليه سعياً حثيثاً ، وكان شعوره هذا ينتقل الى نفوس من يحيط بهم فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال .

(٣٩) البلاذري (١٤٥) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣) و (٣٨٦/٧) والاصابة (٢٨/٤) وأسد الغابة (١٠٦/٣) والاستيعاب (٨٠٨/٢) والمعارف (٢٥٥) وتهذيب ابن عساكر (٢١٤/٧) وفي شذرات الذهب (٤٠/١) : انه توفي سنة خمس وثلاثين هجرية .

لقد كان بالاضافة الى تمسكه الشديد بعقيدته وتفانيه في خدمتها ، راجح العقل ألمعي الذكاء ، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه ، لذلك كانت خططه صائبة دائماً . كما كان لماضيه المجيد في خدمة الاسلام أثر كبير في حب رجاله له وثقتهم الكاملة به ، وكان بدوره يبادلهم حباً بحب وثقة بثقة .

وكان يدقق كثيراً (في اختيار مقصده وادامته) ويبذل كل جهده لانجاز (تحشيد قوته) ويحرص غاية الحرص على عدم اعطاء خسائر لا مبرر لها بالارواح وذلك باتخاذ تدابير (الامن) ، وكان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لهم احتياجاتهم (الادارية) .
ان عبادة قائد عقائدي من الطراز النادر .

عبادة في التاريخ :

يذكر التاريخ لعبادة أنه كان أحد اثني عشر نقيباً كان لهم الأثر البعيد في نشر الاسلام بين الاوس والخزرج من أهل المدينة المنورة ، فمهدوا بذلك لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليها وجعلها القاعدة الامينة لنشر الاسلام بعد الهجرة .

ويذكر له جهاده المتواصل تحت لواء الرسول القائد لحماية حرية نشر الدعوة الاسلامية .

ويذكر له جمعه القرآن الكريم ، وروايته لكثير من السنة النبوية ، وعمله الدائب في تفتيه الناس بالمدينة وأرض الشام .

ويذكر له أنه كان من أوائل قضاة المسلمين الذين كانوا بأقوالهم وأعمالهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين في كل زمان ومكان .

ويذكر له صلابته الفذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى
تجاه أمير المؤمنين وأمراء الامصار وقادة الجيوش .

ويذكر له فتحه بلداً في أرض الشام ومدينة في مصر ، واثارته يتابع
التضحية والفداء في جيوش المسلمين المجاهدة لفتح الشام ومصر .

إنه أمة في رجل ... انه مدرسة كاملة ... انه نسيج وحده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، النقيب الأمين ، المحدث الفقيه ، القاضي
العادل ، القائد الفاتح ، عبادة بن الصامت الانصاري .

الخاتمة

أثر الإسلام في العرب

« واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، فانقذكم منها » .

(القرآن الكريم)

أثر الإسلام في العرب

- ١ -

هناك إفراط وتفريط في وصف العربي ، فللشعوبيين رأيهم الخاص في وصف العربي يتسم بالتجني ، وللعرب المتطرفين رأيهم الخاص أيضاً يتسم بالتحيز ؛ ومن مناقشة تلك الآراء وآراء المحدثين من العرب والمستشرقين بروح علمية منصفة ، نستطيع ان نصف العربي الجاهلي ^(١) بأنه : عصبي المزاج ، سريع الغضب ، وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته ؛ وإذا احتاج أسرع الى السيف واحتكم اليه . والعربي ذكي يظهر ذكاؤه في لغته ، وكثيراً ما يعتمد على اللمحة الدالة والاشارة البعيدة ، كما يظهر في حضور بديته .

والعربي ميال الى الحرية الشخصية ، فلا يدين بالطاعة لرئيس ولا حاكم ، وهو يحب المساواة في حدود القبيلة ، يعتد بقبيلته ثم بجنسه ويشعر في أعماق نفسه بأنه من دم ممتاز ^(٢) .

وكان أكثر العرب يعبدون الأصنام والأوثان ، فكانت الوثنية هي الدين السائد في جزيرة العرب .

وكان العرب في الجزيرة العربية قسمين : بدواً وحضراً ، وكان البدو هم القسم الغالب .

(١) الجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والانفة . انظر فجر الاسلام (٨٦/١) .
(٢) فجر الاسلام (٤٦/١ - ٤٧) .

وكان البدو ولا يزالون يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ،
لأنما يعيشون على ما تنتجه ماشيتهم : يأكلون لحومها بعد علاج بسيط ،
ويشربون ألبانها ، ويلبسون أصوافها ، ويتخذون منها مساكنهم ؛ وهم
يعتمدون في تغذية ماشيتهم على الكلال ، وإذا احتاجوا الى غير ما تنتجه
ماشيتهم تعاملوا من طريق البذل ، فكانوا يستبدلون بالماشية ونتاجها ما
يتطلبون من تمر ولباس .

ونوع آخر اتخذوه أيضاً وسيلة من وسائل العيش ، وهو الغارة والسلب ،
فيغيرون على قبيلة معادية فيأخذون جمالهم ويسبون نساءهم وأولادهم . وتربص
بهم القبيلة الأخرى لتفعل بهم مثل ما فعلوا بها ، بل هم إذا لم يجدوا عدواً
من غيرهم قاتلوا أنفسهم ، ولعل خير ما يمثل ذلك هو قول القطامي :

ومن تكن الحضارة أعجبه

فأي رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فإن فينا

قناً سلباً (٣) وأفراساً حسانا

وكُنْ إذا أغرن على قبيـل

فأعوزهن نهبٌ حيث كانا (٤)

أغرن على الضباب على حلال

وضبّة ، إنه من حان حانا (٥)

(٣) قناً : جمع قنّة ، وسلباً : أي طوال .

(٤) القبيـل : الجمع من الناس .

(٥) الضباب : اسم قبيلة . والحلال : المجاور ، يقال : حي حلال ، أي مجاور مقيم بالقرب منه . يقول : أغرن على الحي المجاور لحيهم من قبيلتي ضباب وضبة . وقوله : من حان حانا ، أي من جاء أجله ، فهو لا بد هالك .

وأحياناً على بكر أخينا

إذا ما لم نجد إلاّ أخانا

ومن أجل ذلك ، كثيراً ما تضطر القبيلة التي ضعفت الى الاحتماء بقبيلة قوية تذود عنها ، ولكن قلّ أن يدوم حلفهم أو بطول ، بل سرعان ما ينتفض اجتماعهم وتنقسم وحدتهم ، فيقلب المتحالفون أعداء متحاربين . أفراد القبيلة متضامنون أشد ما يكون من تضامن ، ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في الثابتات على ما قال برهانا

والممعن في البداوة منهم ضعيف الايمان بدين ، قلّ أن يؤمن إلا بتقاليد قبيلته وما ورثه عن آبائه : (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم) (١٦) .

مثله الأعلى في الأخلاق ، يرتكز على ما سماه : (المروءة) ، تغنى بها في شعره وأدبه ؛ ومن الصعب أن تحدها حدّاً دقيقاً ، ولكن يصح أن نقول : إنها تعتمد على الشجاعة والكرم ؛ أما شجاعته فتتجلى في كثرة من نازله وقاتله ، وفي مواقف دفاعه عن قبيلته ، وأكثر من هذا في نجده . وأما كرمه فيتجلى في نحر الجزور للضيف ، واغاثة البائس والفقير ، وفوق هذا أن يعطي أكثر مما يأخذ ، وأن يغشى الوغى ويعف عند المغنم .

لقد كانت الحروب عندهم أساساً لحياتهم .

أما الحضرم من العرب فهم أرقى من ذلك كثيراً ، يسكنون المدن ويقرونها فيها ، ويعيشون على التجارة أو الزراعة ، وقد أسسوا قبل الاسلام ممالك

(١٦) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٩٧) .

ذات مدينة كاليمن ، والغساسنة في الشام ، والمناذرة في العراق (٧) .

لقد كان في العرب مواد أولية ممتازة : الذكاء الفطري ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ؛ فعمل الاسلام على تطويرها وصقلها والافادة منها ، ونجح في مسعاه أعظم النجاح .

كما كان في العرب مواد أولية رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الأوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ؛ فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصاراً باهراً .

- ٢ -

جاء الاسلام الذي عماده الخضوع لله والانقياد له ، فكان في تعاليمه الدواء الناجع لعقلية الجاهلية : عقلية الأنفة والحمية .

إن تعاليم الاسلام هي قسمان : عقائد وأعمال .

أما (العقائد) ، فإن أهم أصل من أصول الاسلام ، هو الاعتقاد بالله ؛ والاسلام يصف الله تعالى بأوصاف - كما ورد في القرآن الكريم - بأنه ليس إله قبيلة ولا إله أمة وحدها ، ولا إله الناس وحدهم ، بل هو إله كل شيء : (رب العالمين) (٨) ، وكل شيء في الوجود مخلوق له وخاضع لأمره : (الله ما في السموات وما في الأرض) (٩) .

وكل شيء من مظاهر الكون خلقه الله ، وقد أحاط علمه بكل شيء ، وأحاطت قدرته بكل شيء ، وهو إله واحد ، وليس هناك من يشاركه في ألوهيته .

وليس لأي مخلوق ولا لأية طائفة سلطان على الناس في عقائدهم ولا

(٧) فجر الاسلام (١/١١ - ١٣) .

(٨) الآية الكريمة من سورة الفاتحة (١ : ١) .

(٩) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٤) .

في أية صفة من صفات الربوبية : (اتخذوا أجارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله) (١٠) ، وليس يرضى الاسلام عن أي نوع من التعدد ولا أي رمز يُشعر بالتعدد .

وقد اختار الله أفراداً من خلقه واتصل بهم بالوحي ، ومن هؤلاء : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وتسليمه عليهم جميعاً .

وأصول الأديان السماوية كلها واحدة ، وكلها تدعو الى توحيد الله ونجس الشرك به ، ثم دخل بعض تعاليمها التغيير والتبديل .

وهناك وراء هذه الحياة حياة أخرى : يوم القيامة واليوم الآخر ويوم الحساب ويوم الدين ، وهذا اليوم هو يوم المثوبة على العمل الصالح ، والعقوبة على العمل السيئ ، وكل عمل أتاه الانسان يسجل عليه ؛ وقد جعل للمثوبة والعقوبة دارين : دار المثوبة وهي الجنة ، ودار العقوبة وهي النار .

ثم إن وراء هذا العالم المادي عالم آخر روحي فيه نوعان من الأرواح : نوع خيّر يطيع الله ما أمره ويجذب الناس الى الخير ويسمى : الملائكة ؛ ونوع شرير يستغوي النفوس الى الشر ويسمى : الشياطين .

أما (الأعمال) ، فهناك على المسلم أعمال يجب عليه أداؤها ، وهي أساسية (كالعقائد) ، وهي : الصلاة ، ويقصد بها أن تكون مظهراً من مظاهر الاخلاص لله وتعبيراً دينياً يشرح عاطفة الاجلال له : (وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر) (١١) .

والزكاة ، وهي أن تؤخذ من مال الغني للفقير وللصالح العام . ثم صوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً .

ولم يقتصر الاسلام على غرس تلك العقائد وهذه الاعمال ، بل أمر بالتمسك

(١٠) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٣١) .

(١١) الآية الكريمة من سورة النكبات (٢٩ : ٤٥) .

بالمخلوق الكريم : آداب اللياقة : (واذا حيَّيْتُم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها) (١٢) ، (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) (١٣) ؛ ووفاء بالوعد ، وصبر في الشدائد ، وعدل بين الناس ، وعفو عند المقدرة .

لقد هدم الاسلام الوحدة القبلية والوحدة الجنسية ، وعلم أن معتنقي الاسلام كلهم كتلة واحدة لا تفاضل بين أفرادها إلا بطاعة الله وتنفيذ أوامره ، وحتم الطاعة لله والطاعة للرسول والطاعة لأولي الأمر في الأمة ما أطاع ولي الأمر أوامر الله (١٤) .

وكان العرب قبل الاسلام ماهرين في حروب العصابات ، وكانوا ماهرين في استخدام السلاح وفي الفروسية ، وكانت لهم قابلية ممتازة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر وبأقل وقت ممكن وأقل تكاليف إدارية ؛ ولكنهم كانوا متفرقين ، لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحلية بين القبائل !

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، وحد أعمالهم ، وحد صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاماً مادياً ومعنوياً ؛ فأصبحت لذلك كله وبذلك كله قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام وضبط بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها أخوة يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم ألفين في عمرة القضاء ومائة

(١٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٦) .

(١٣) الآية الكريمة من سورة النور (٢٤ : ٢٧) .

(١٤) فجر الاسلام (٨٨/١ - ٩٢) .

ألف في حجة الوداع ، يسرون كلهم في نظام أدق نظام هرولة ومشياً واستلاماً للركن أو للحجر الأسود - هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من أسباب القوة ، بل هو مصدرها وملاكها ؛ وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هي روح هذه القوة وقوامها (١٠٠) .

لقد بدأت منذ ظهور الاسلام الصلاة العامة ، ثم قامت صلاة الجماعة التي أداها المسلمون وراء إمام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفاً للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجاداتها في تناسق مدهش وفي نظام ووقار ، لا يمكن أن يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية في نفوس المسلمين في الصدر الأول للاسلام . إن العرب أباء لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ؛ فكانت لهذه الصلاة أهمية بالغة في (إيقاظ) روح النظام في نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقي للتدريب العسكري عند المسلمين .

ثم إن انتظام المسلمين في الصلاة ، شجّع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعوراً بالمساواة التي كانت أفكاراً جديدة على بلاد العرب ؛ إذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هي رابطة الدم ، كما أن المظاهر الرئيسة التي سادت حياة العرب إذ ذاك ، هي الافتخار بالاسرة والحسب والثراء وامتهان شأن الفقير وعديم الجاه ؛ لذلك فإن الرسول القائد مهّد السبيل لوحدة بلاد العرب المتنافرة عندما نجح في تدعيم الاتحاد الذي احتضن الفقير والغني على اساس المساواة ، وعندما نجح كذلك في توجيه ضربة عنيفة الى العصبية القبلية والعائلية .

والى جانب الصلاة ، كانت فكرة المساواة الاجتماعية تجديداً تاماً أحدثه الاسلام ، فأصبحت مساعدة الفقير والقيام بأمره واجباً مقدساً ؛ ولم يعد من شأن الافراد أن يعطوا كيفما شاعوا ، وإنما غدت الزكاة فرضاً تجبي

(١٥) في منزل الوحي ص (١٠٥) الطبعة الثانية .

الى بيت المال ويُنفق منها على الفقراء (١٦).

والحق أن الزكاة كانت وما تزال ظفرة خاسمة الى الأمام ، وحتى اليوم نجد أن الضرائب بمختلف أنواعها وأشكالها وغاياتها وأهدافها ، تُوضع على الأرباح وتعفي رأس المال ؛ أما الزكاة فلا تعفي حتى رأس المال مع شمولها الأرباح أيضاً ، فأين قوانين الأرض (التقديمية !) من قوانين السماء ؟!

لقد وجد الاسلام بتعاليمه التي تغرس الضبط والنظام في النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضاً خصبة في العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة في الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ؛ فكان من فضل الاسلام على العرب ، أنه جمع شملهم ووحّد قلوبهم وأشاع فيهم النظام والضبط ؛ وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفساً) في توحيد الجزيرة العربية أولاً وفي الفتح الاسلامي ثانياً ، فحملوا رايات الاسلام شرقاً الى أقاصي الشرق ، وغرباً الى أقاصي الغرب ، وحملوا أعباء الفتح وحدهم ، فكان لهم بتوفيق الله وتسديده فضل نشر الاسلام في البلاد المفتوحة في عهد الشيعين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق والنصف الأول من حكم عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً .

لقد كانت العقيدة الاسلامية عقيدة بناءة ، وكان العرب هم الرواد الاولين لهذه العقيدة ، والله وحده الفضل والمنة .

- ٣ -

فما أثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك أن هذه التعاليم رفعت المستوى العقلي للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التي وصف الاسلام بها الله ، نقلتهم من عبادة أصنام وأوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر وإسفاف في الفكر - الى عبادة إله

(١٦) الحضارة العربية للاستاذ : د . هل . ترجمة ابراهيم العلوي ص (٢٣ - ٢٤) .

وراء المادة : (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (١٧) .

كان الاله عند أكثرهم إله قبيلة ، وإن اتسع سلطانه فإله قبائل أو إله العرب ؛ فأبانه الاسلام إله العالمين ومدبر الكون ويده كل شيء وعالمًا بكل شيء ؛ فاستطاع العربي بهذه التعاليم أن يرقى الى فهم إله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وأفهمهم الاسلام أن دينهم خير الأديان ، وأن العالم حولهم في ضلال ، وأن نبيهم نبي الناس جميعاً وأنهم ورثته في حمل دعوته الى الأمم ؛ فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الامم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم له ما لهم وعليه ما عليهم .

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، أثر عظيم في بيع كثير منهم نفوسهم في سبيل نشر الدعوة : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) (١٨) .

وكان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيمة أخرى ، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس .

إن الاسلام رسم للحياة مثلاً أعلى غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيراً ما يتناقضان ؛ فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التي لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة في الانتقام ، والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل - هذه التي كانت أصول الفضائل عند العرب

(١٧) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٠٣) .

(١٨) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١١١) .

الوثنيين ، أصبحت في الاسلام الخضوع لله والانقياد لأمره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر ، وتجنب الكبر والعظمة - هي المثل الأعلى للمسلم في الحياة (١٩) .

إن الاسلام - عقيدة وعمل - صهر نفسية العربي ونفى عنها الحبس ، فأصبح العربي المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزني ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولي الأمر ، وبذلك أصبح فرداً مفيداً باع نفسه لله إخلاصاً لعقيدته .

هذا العربي المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح بدون شك عنصراً مفيداً كل الفائدة لتكوين أمة صالحة : تعبد رباً واحداً ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هي العليا .

لقد تصرف العربي المسلم - كفرد - تصرفاً لا يزال يعتبر من الاعمال الفذة النادرة في حياة الرجال : تحمل التعذيب والموت راضياً مطمئناً ، وترك أهله وماله مهاجراً الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الاقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين رآها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرف العربي المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفاً لا يزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد في سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التي اختزننها الصحراء عبر الأجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابع انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ في أحقابها المديدة انتصارات مظفرة وفتحاً (مستديماً) مثلما شهد انتصارات الفتح الاسلامي .

(١٩) انظر فجر الاسلام (١/٩٣ - ٩٥) .

كيف فهم العرب الأولون الاسلام ، وكيف طبقوه عملياً ، كيف ترجموا نظريات الاسلام الى حقائق عملية ، وكيف طبقوا أقوال الاسلام فأصبحت أعمالاً حية لها كيان ولها أثر ؟!

لقد كان نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة لمن آمن برسائله ، وكان هو المثال الشخصي لأتباعه : يقتفون آثاره ، ويتأسون بأعماله ؛ إذ لا موعظة في كلام لم يمتلئ من نفس قائله ليكون عملاً ، فيتحول في النفوس الأخرى عملاً ولا يبقى كلاماً . إنه ليس الوعظ تأليف القول للسامع يسمعه ، ولكنه تأليف النفس لنفس أخرى تراها في كلامها ، فيكون هذا الكلام قرابة بين النفسين ، حتى لكأن الدم المتجاذب يجري فيه ويدور في ألفاظه (٢٠) .

ولسنا بصدد تطبيق النبي الكريم صلوات الله وتسليمه عليه للاسلام عقيدة وأعمالاً ، إذ أن أمر ذلك معروف مشهور كما أن التحدث عنه استغرق كل كتب الحديث وكل كتب السيرة المطهرة دون أن يستنفذ كل أعمال وأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال للقائلين في هذا الميدان وفي كل زمان مجال فسيح للقول والبحث : لذلك سأقتصر على أمثلة من جهاده بالمال والنفس في سبيل الله وتضحياته التي تحملها صابراً محتسباً من أجل إعلاء كلمة الله .

كان النبي صلى الله عليه وسلم من أشرف بيوتات قريش أشرف قبائل العرب على الإطلاق (٢١) ، وقد تزوج بخديجة بنت خويلد أم المؤمنين

(٢٠) وحى القلم (١٧٦/٢) الطبعة الرابعة .

(٢١) انظر نسب الشريف في ابن هشام (١/١) وجوامع السيرة ص (٢) وطبقات ابن سعد

(٥٥/١) وعيون الأثر (٢١/١) وجمهرة أنساب العرب ص (١٤ - ١٦) .

وكانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم لإياه بشيء تجعله لهم (٢٢) ، وقد عرضت خديجة نفسها عليه ، فبعثت إليه قائلة : « إني قد رغبت فيك ، لقربانك وسيطتك (٢٣) في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك » ، وكانت خديجة يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً ، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه (٢٤) .

وكان رجال قريش يطلقون عليه لقب : الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي (٢٥) .

كان شريفاً في قمة الشرف ، وكان موضع ثقة قومه وحبيهم ، وكانت حالته المادية على احسن ما يرام قبل بعثته ، فكيف استهان بكل ذلك في سبيل الاسلام ؟

بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبدأ يدعو الى الله سرّاً ، ثم جهر بالدعوة الى دين الله ، فمشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب فقالوا : « إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فلمّا أن تكفّه عنا ، وإما أن نخلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه » .. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى على ما هو عليه : يظهر دين الله ، ويدعو اليه (٢٦) .

ومشى أشراف قريش الى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : « يا أبا طالب ! إن لك سناً وشرفاً ومزلة فينا ، وإنّا قد استنهيئك من ابن أخيك

(٢٢) سيرة ابن هشام (٢٠٢/١) .

(٢٣) سلتك : بكسر السين وفتح الطاء ، أي شرفك وسامي منزلتك .

(٢٤) سيرة ابن هشام (٢٠٤/١ - ٢٠٥) .

(٢٥) سيرة ابن هشام (٢١٤/١) .

(٢٦) سيرة ابن هشام (٢٧٦/١ - ٢٧٧) .

فلم تنهه عنا ، وإنّا والله لا نصبر على هذا : من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك (٢٧) في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه (٢٨) ، ولكنه قال له : « يا ابن أخي ! إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، فأبى عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته (٢٩) وجعل رجال قريش يجلسون بسبل (٣٠) الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره (٣١) .

وأغرى رجال قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم . وطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : « أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ ! » ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول : « نعم ، أنا الذي أقول ذلك » ، فأخذ رجل منهم بمجمع رداءه ، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول : « أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ؟ » (٣٢) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فلم يلقه أحد من الناس

(٢٧) ننازله وإياك : أي نحاربكما . تقول : تنازل القوم ، أي تحاربوا .

(٢٨) خذلانه : تركه . تقول : خذلت الرجل ، إذا تركته ولم تنصره .

(٢٩) سيرة ابن هشام (٢٧٨/١) .

(٣٠) السبل : الطرق .

(٣١) ابن هشام (٢٨٤/١) .

(٣٢) سيرة ابن هشام (٣٠٩/١ - ٣١١) .

إلا كذّبه وآذاه ، فرجع الى منزله وتدنّث من شدة ما أصابه ، فأُنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر ، قم فأندثر) (٣٣) .

وذكر عبد الله بن مسعود ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام ، فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى هذا القدر يلقيه على محمد؟ » ، فانبعث رجل فألقاها عليه ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه (٣٤) . »

ومرَّ أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند (الصفاء) ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره (٣٥) .

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن الاسلام جعل يفشو في القبائل ، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا ذلك في الصحيفة وتواعدوا وتواثقوا على ذلك أيضاً ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ودخلوا معه في شعبه وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا : لا يصل اليهم شيء إلا سرّاً (٣٦) .

وكان نفر من قريش يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، فكان أحدهم يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي ، وكان

(٣٣) سيرة ابن هشام (٣١١/١) والآية الكريمة من سورة المدثر (٧٤ : ١ - ٢) .

(٣٤) عيون الاثر (١٠٣/١) .

(٣٥) عيون الاثر (١٠٤/١) .

(٣٦) سيرة ابن هشام (٣٧٦ - ٣٧١/١) وجوامع السيرة ص (٦٤) .

أحدهم يطرحها في بُرْمَتِهِ (٣٧) إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود ، فيقف به على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف ! أي جوار هذا ؟ ! » ، ثم يلقيه في الطريق (٣٨) .

ومات أبو طالب وماتت خديجة أم المؤمنين في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب : بموت خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام : يشكو اليها ؛ وبموت عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحرزاً وَمَنْعَةً وناصرأ على قومه ، وكان موتهما قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين ؟ فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : « لا تبكي يا بنية ، فان الله مانع أباك » (٣٩) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الى (الطائف) يلتبس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، فعمد الى نفر من ثقيف وأشرفهم ، وجلس اليهم ودعاهم الى الله ، وكتبتهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فلم يفعلوا

(٣٧) البرمة : بضم فسكون - القدر مطلقاً ، وهي في الاصل التي تتخذ من الحجر المعروف بالحجاز واليمن .

(٣٨) سيرة ابن هشام (٢٥/٢) .

(٣٩) سيرة ابن هشام (٢٥/٢ - ٢٦) .

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وأجلّوه الى حائط لعبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، فعمد الى ظل شجر العنب فجالس فيه يقول : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلّني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العتبى (٤٠) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » ... ثم انصرف من الطائف راجعاً الى مكة حين يش من خير ثقيف (٤١) .

وكانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الكبرى ، ثم أمر أصحابه بالهجرة الى المدينة وقال : « إن الله عز وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها » ، فخرجوا إرسالاً ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر بمكة أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة (٤٢) .

ولما رأّت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم ، وعرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة ؛ فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا أنه قد اجمع لحربهم ؛ فاجتمعوا في دار (الندوة) يتشاورون فيما يصنعون من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال أحدهم : « احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله » ، وقال

(٤٠) العتبى : الرضى .

(٤١) سيرة ابن هشام (٢٨/٢ - ٣١) وعيون الاثر (١٣٤/١) وجوامع السيرة ص (٦٧)

وطبقات ابن سعد (٢١٠/١ - ٢١٢) .

(٤٢) سيرة ابن هشام (٧٦/٢) .

آخر : « نخرجه من بين أظهرنا فنتفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا ، فوالله لا نبالي أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألّفستنا كما كانت » . وقال أبو جهل بن هشام : « والله إن لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتيّ جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتي منهم سيفاً صارماً ، ثم يعملوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ؛ فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل^(٤٣) فعقلناه لهم » ؛ فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له^(٤٤) .

واجتمع الشباب الذين اختارهم أشراف قريش من القبائل لقتل النبي صلى الله عليه وسلم على بابه ليلاً يرصدونه متى نام ليثبوا عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فثم فيه فانه لن يتخلص اليك شيء تكرهه منهم »^(٤٥) .

هنا تبدأ قصة من أجلّ ما عرف تاريخ المغامرة في سبيل الحق والعقيدة والايان قوة وروعة ! كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أعدّ راحتيه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بجبل (ثور) أسفل مكة فدخلاه ليلاً وأقاما فيه ثلاثاً ؛ وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم^(٤٦) . وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب حتى انتهوا الى

(٤٣) العقل : الدية .

(٤٤) سيرة ابن هشام (٩٢/٢ - ٩٥) .

(٤٥) سيرة ابن هشام (٩٥/٢) وطبقات ابن سعد (٢٢٧/١) .

(٤٦) سيرة ابن هشام (٩٨/٢ - ٩٩) .

باب الغار ، فقال بعضهم : « إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد » (٤٧) .

وفي الغار كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، وكان أبو بكر خائفاً على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقترب منه ويلصق نفسه به ، فيهمس النبي صلى الله عليه وسلم بأذن أبي بكر الصديق : « لا تحزن ! إن الله معنا » .
وحين شعر أبو بكر الصديق بدنو الباحثين عنهما قال هامساً : « لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا » . فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما ! » (٤٨) .

وخرجوا بعد ثلاثة أيام من الغار حين عرفوا أن قد سكن الناس عنهما ، ولكن سرّاقة بن مالك بن جُعشم علم بمكانهما ، فركب في أثرهما ، فلما اقترب منهما عثر به فرسه وذهبت يدها في الأرض وسقط عنه ، فعرف سرّاقة حين رأى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد منع منه (٤٩) .

مات أبو طالب وماتت خديجة ، ولكن الله حي لا يموت .

وخذله جاره ، وخذله قومه ، وخذله الناس ، ولكن الله ناصره وماعه .
إنها معركة بين ارادة الله و ارادة الناس ؛ (ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) (٥٠) .

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد بعثته حتى هجرته الى المدينة - كلها جهاداً متواصلاً عنيفاً من أجل التوحيد : توحيد الله ، وجمع كلمة الناس ؛ وكانت هجرته الى المدينة تهدف الى اجتماع الرسول القائد بجنوده : رهبان الليل ، فرسان النهار ، لمواصلة جهادهم لتكون كلمة

(٤٧) طبقات ابن سعد (٢٢٨/١) .

(٤٨) طبقات ابن سعد (١٧٣/٣ - ١٧٤) .

(٤٩) سيرة ابن هشام (١٠٣/٢) .

(٥٠) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٣٠) .

الله هي العليا ، فماذا لاقى عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة حتى التحق بالرفيق الأعلى؟؟.

- ٥ -

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو لا يملك ديناراً ولا داراً فيها ، فنزل ضيفاً على أبي أيوب الانصاري ستة أشهر^(٥١) حتى أنجز بناء مسجده ومساكنه ، وعمل في المسجد ليرغب المسلمين في العمل^(٥٢) ، وجعل ينقل الحجارة بنفسه^(٥٣) ، فم بيناء هذا المسجد بناء (الثكنة) الاولى في الاسلام .

ولكي يتفرغ لقتال قريش دون أن تقلقه الجبهة الداخلية بالمدينة ، كتب كتاباً بين المهاجرين والانصار من جهة وبين يهود من جهة ثانية : وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم^(٥٤) ، وقد نصت تلك المعاهدة بصراحة : « انه لا يجوز لمشرك من أهل المدينة أن يجبر مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن »^(٥٥) ، فاستطاع الرسول القائد بهذه المعاهدة أن يجعل أهل المدينة جميعاً على اختلاف أديانهم يداً واحدة على أعدائهم^(٥٦) - وخاصة على (قومه) قريش . ولم يكذ يستقر بالمدينة الا ونصبت أحبار يهود له العداوة بغياً وحسداً وضغناً ، وأضاف^(٥٧) اليهم رجال من الاوس والخزرج كانوا أهل

(٥١) عيون الاثر (١٩٥/١) .

(٥٢) سيرة ابن هشام (١١٤/٢) والسيرة الحلبية (٧٦/٢) .

(٥٣) طبقات ابن سعد (٢٤٠/١) .

(٥٤) انظر نص تلك المعاهدة في سيرة ابن هشام (١١٩/٢ - ١٢٣) وشرح العيون (١٩٧ - ١٩٨) .

(٥٥) سيرة ابن هشام (١٢١/٢) .

(٥٦) الرسول القائد ص (٤٤) الطبعة الثانية .

(٥٧) أضاف اليهم : يريد أنه أخذ بما أخفوا به من الحسد والبغض والعداوة .

نفاق فظهروا بالاسلام واتخذوه جُنَّةً (٥٨) من القتل وناقضوا في السر ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام (٥٩) وذهب يهود الى ابعد من ذلك ، فحاولوا الوقعة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد جمع الأوس والخزرج مجلساً واحداً يتحدثون ، ففاظ أحد يهود ما رآه من الفتنهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فأمر هذا اليهودي شاباً يهودياً فقال : « اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم (بُعْثَ) وما كان قبله ، وأنشدكم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار » ، وكان يوم (بعث) يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج ، فتكلم القوم عند ذاك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحبيّين على الرُكْب ، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا : « موعدكم الظاهرة (٦٠) .. السلاح .. السلاح » ، وخرجوا اليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف به بين قلوبكم ؟! » ، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى

(٥٨) جنّة : وقاية يحتنون بها ، أي يستنون .

(٥٩) سيرة ابن هشام (١٣٥/٢) .

(٦٠) الظاهرة : الحرة - حرة المدينة المنورة .

صراط مستقيم (١١) .

بل ذهبت يهود الى أبعد من ذلك كثيراً ، فقد حاولوا اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى بني (النضير) يستعينهم في دية رجلين قتلتهما خطأ أحد المسلمين ، فاختلى بعضهم ببعض وقالوا : « لن تجلدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟؟ » ، فقال أحدهم : « أنا » ؛ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم انصرف عنهم (١٢) ، فقوت عليهم فرصة اغتياله .

- ٦ -

وبدأ الصراع بين قوات النور القليلة من المسلمين وبين قوات الظلام الكثيرة من المشركين ، وكانت قوات النور ضعيفة بعددها وعددها قوية بإيمانها وقيادتها ؛ فكان الرسول القائد هو الاسوة الحسنة للمؤمنين من أتباعه في القتال كما كان هو الاسوة الحسنة لهم في السلم .

كان عدد الذين شهدوا (بدرًا) من المسلمين بضعة عشر وثلاثمائة رجلاً (١٣) ، وكان عدد الذين شهدوها من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً (١٤) ؛ وكان مع المسلمين سبعون بعيراً وفرسان (١٥) ، وكان مع المشركين مائة فرس وعدد ضخم من الابل ؛ وكان المسلمون حين خرجوا الى (بدر) تنقصهم الضروريات الادارية فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم عراة

(١١) سيرة ابن هشام (١٨٣/٢ - ١٨٥) . والآيتان الكريمتان من سورة آل عمران (٣) : ١٠٠ - ١٠١ ، وأنظر تفسيرهما في البغوي (١٩٨/٢ - ١٩٩) والكشاف للزمخشري (٣١٧/١) وتفسير البضاوي (٣٢/٢) .

(١٢) سيرة ابن هشام (١٩٢/٢) .

(١٣) فتح الباري بشرح البخاري (٢٢٨/٧) وطبقات ابن سعد (١٩/٢) .

(١٤) طبقات ابن سعد (١٥/٢) .

(١٥) طبقات ابن سعد (١٤/٢) .

فاكسهم ، اللهم انهم جياع فأشبعهم » (٦٦) ، وكان المشركون في وضع اداري ممتاز ؛ ولكن الرسول القائد قرر أن يخوض هذه المعركة الحاسمة على الرغم من تفوق المشركين على المسلمين بالعدد والعدد وبالقضايا الادارية . لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر تمام التقدير ويعرف تمام المعرفة ، ماذا يعنيه اندحار المسلمين في هذه المعركة الحاسمة ... في هذا الصراع الحاسم بين عقيدتين ؛ لذلك دأب على مناشدة ربه ما وعده من النصر فيقول فيما كان يقول : « اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » ، وأبو بكر الصديق يقول : « يا نبي الله ! بعض مناشدتك ربك ؛ فان الله منجز لك ما وعدك » (٦٧) .

وخرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا الى البراز ، فخرج اليهم ثلاثة من الانصار بنو عفراء : معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الانصار ، وأحب أن تكون الشوكة بيني عمه وقومه ، فقال : « يا بني هاشم ! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم ، اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » ، فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف (٦٨) ، وقاتلوا أولئك المشركين الثلاثة ؛ وبذلك استأثر النبي صلى الله عليه وسلم لأهله الاقربين بالخطر (٦٩) ، فاستشهد يومئذ بسبب هذه المبارزة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب (٧٠) .

ونزل الرسول القائد بنفسه الى المعركة ليضرب لأصحابه أروع الامثال

(٦٦) طبقات ابن سعد (٢/٢٠) .

(٦٧) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧) .

(٦٨) طبقات ابن سعد (١٧/٢) وانظر عيون الاثر (٢٥٤/١) وسيرة ابن هشام (٢/٢٦٥) .

(٦٩) الرسول القائد (٧٧) .

(٧٠) طبقات ابن سعد (٥١/٣) والاصابة (٢١٠/٤) وأسد الغابة (٣/٣٥٧) .

في التضحية والفداء ، فقد شوهده في أثر المشركين مصلاً للسيف يتلو هذه الآية : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (٧١) . قال علي بن أبي طالب : « لما كان يوم (بدر) وحضر البأس ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أشد الناس بأساً يومئذ ، وما كان أحد أقرب الى المشركين منه » (٧٢) .

وفي غزوة (أحُد) جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت ربايعيته وهشمت البيضة على رأسه (٧٣) واستشهد عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه (٧٤) واستشهد سبعون من أصحابه (٧٥) . وفي غزوة (ذات الرقاع) (٧٦) حاول رجل من غطفان ان يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال هذا الرجل لقومه « ألا أقتل لكم محمداً ؟ » ، قالوا : « بلى ، وكيف تقتله ؟ » قال : « أفتك به ؟ » فأقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال : « يا محمد ! أنظر الى سيفك هذا ؟ » قال : « نعم » ، فأخذه فاستله وجعل يهزه ، ثم قال : « يا محمد ! أما تخافني ؟ » ، قال : « لا ، وما أخاف منك ! » ، قال : « أما تخافني وفي يدي السيف ؟ ! » ، قال : « لا ، يمنعني الله منك » (٧٧) .

وفي غزوة (الخنديق) عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين بيده في حفر الخندق لينشط المسلمين ، وكان ينقل التراب حتى اغبر بطنه ،

(٧١) طبقات ابن سعد (١٧/٢) والآية الكريمة من سورة القمر (٥٤ : ٤٥) .

(٧٢) طبقات ابن سعد (٢٣/٢) .

(٧٣) شرح النووي على مسلم (٢٣٩/٤ - ٢٤٠) وفتح الباري بشرح البخاري (٢٨٦/٧) .

(٧٤) فتح الباري بشرح البخاري (٢٨٣/٧) وسيرة ابن هشام (١٥/٣) .

(٧٥) فتح الباري بشرح البخاري (٨٨/٧) .

(٧٦) قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لانهم رقعوا فيها راياتهم . وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان . انظر سيرة ابن هشام (٢١٤/٣) .

(٧٧) سيرة ابن هشام (٢١٦/٣) . وفي طبقات ابن سعد (٦١/٢) : أن سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معلقاً بشجرة فأخذه المشرك واخترطه .

وكان المشركون عشرة آلاف وكان المسلمون ثلاثة آلاف (٧٨) . وازداد موقف المسلمين بالمدينة خطراً بعد أن نقض بنو قريظة من اليهود العهد ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الانصار فقال : « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟؟ فان كان حقاً فالحنوا لي لحناً (٧٩) أعرفه ولا تفتؤا في أعضاء (٨٠) الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس » ؛ فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد (٨١) . ونجم التفاق وفشل الناس وعظم البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء ، وكان المسلمون كما قال الله تبارك وتعالى : (اذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) (٨٢) وكانت القضايا الادارية للمسلمين سيئة للغاية ، اذ لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا ، وكان بطن النبي صلى الله عليه وسلم معصوباً بحجر (٨٣) من الجوع ، ومع ذلك صبر الرسول القائد صبراً لا مثيل له في التاريخ كله حتى انسحب المشركون يجرّون أذيال الخزي والعار ؛ وحينذاك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، ونحن نسير اليهم » (٨٤) . وفي غزوة بني (المصطلق) من خزاعة ، حاول مشرك اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أدركته القائلة فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلّق

(٧٨) طبقات ابن سعد (٦٦/٢) وسيرة ابن هشام (٢٣٥/٣) .

(٧٩) فالحنوا لي لحناً : أن يخالف ظاهر الكلام معناه .

(٨٠) يقال : فت في عضده ، اذا ضعفه وأوهنه .

(٨١) سيرة ابن هشام (٢٣٧/٣) وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٢٠٨/٣) حول نقله

التراب .

(٨٢) طبقات ابن سعد (٦٧/٢) والآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ١٠) .

(٨٣) فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٤/٧) .

(٨٤) فتح الباري بشرح البخاري (٣١١/٣) .

سيفه ، وتفرق الناس في الشجر يستظلون ؛ فأتاه أعرابي وهو نائم واخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظ والاعرابي على رأسه صلى الله عليه وسلم مختطفاً سيفه صلتاً ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله ! » (٨٥) .

وفي هذه الغزوة ازدحم أحد الانصار بأحد المهاجرين على الماء ، فنادى الانصاري : « يا للانصار » ، ونادى القرشي : « يا لقريش ! يا لكتانة » ، فأقبلت قريش سراعاً وأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح ، فقال عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين : « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل » ، ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : « هذا ما فعلتم بأنفسكم » وسمع ذلك زيد بن أرقم فأبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قوله ، فأمر بالرحيل . وخرج من ساعته وتبعه الناس ، فتقدم عبد الله بن عبد الله بن أبي الناس حتى وقف لأبيه على الطريق وقال : « لا أفارقك حتى تزعم أنك الذليل ومحمد العزيز » ، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دعه » ، فلعمري لنحسن صحبته ما دام بين أظهرنا ! » (٨٦) .

وفي هذه الغزوة أيضاً أثار المنافقون وبعض المغفلين من المسلمين شائعة الإفك حول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فأنزل الله تعالى براءتها (٨٧) .

وحاول أبو سفيان بن حرب قبل اسلامه اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال لنفر من قريش : « ألا أحد يغتال محمداً ، فإنه يمشي في الأسواق ؟ » ، فأتاه رجل من الأعراب فقال : « قد وجدت أجمع الرجال قلباً وأشدّه بطشاً وأسرع شداً ، فان أنت قويتني خرجت اليه

(٨٥) فتح الباري بشرح البخاري (٢٢٢/٧) .

(٨٦) طبقات ابن سعد (٦٥/٢) وانظر سيرة ابن هشام (٢٢٤/٣ - ٢٢٦) .

(٨٧) طبقات ابن سعد (٦٥/٢) وانظر سيرة ابن هشام (٢٤١/٣ - ٢٤٨) وفتح الباري

بشرح البخاري (٢٢٢/٧ - ٢٢٨) .

حتى أغتاله ؛ ومعني خنجر مثل خافية النسر فأسوره ، ثم أخذ في غير وأسبق القوم عدواً ، فأنني هاد بالطريق خربت » ، قال : « أنت صاحبنا » ؛ فأعطاه بغيراً ونفقة وقال : « اطرأ أمرك » ؛ فخرج ليلاً وسار على راحلته خمساً وصبح المدينة صبح سادسة . وأقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه ؛ فعقل راحلته ثم أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا ليريد غدراً ! » . وذهب الرجل ليخني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أحد الانصار فاذا بالخنجر ؛ فسقط من يديه وقال : « دمي ! دمي ! » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدقني . ما أنت ؟ » ، قال : « وأنا آمن ؟ » ، قال : « نعم ! » ، فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان بن حرب ؛ فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسلم الرجل (٨٨) .

وفي غزوة (الحديبية) حين أراد الرسول القائد ابرام الهدنة بين المسلمين وبين قريش ، ضاق بعض المسلمين بأمر الهدنة ومنهم عمر بن الخطاب ، فقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ! الست برسول الله ؟ » ، فقال : « بلى ! » ؛ قال : « أولسنا بالمسلمين ؟ » ، قال : « بلى ! » ؛ قال : « أوليسوا بالمشركين ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال : « فعلام نعطي الدنية (٨٩) في ديننا ؟ ! » فقال : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » (٩٠) ؛ وكان مما أثار حفيظة عمر بن الخطاب وغيره من المسلمين صبر النبي صلى الله عليه وسلم على سهيل بن عمرو أثناء كتابة العهد ، يقول : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » ، فيقول سهيل : « أمسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم » . ويقول النبي صلى

(٨٨) طبقات ابن سعد (٩٣/٢ - ٩٤) .

(٨٩) الدنية : الذل والصغار . يريد : لماذا تقبل من المشركين ما يعتبر هوانا لنا ومذلة ؟ !

(٩٠) سيرة ابن هشام (٣٦٥/٣ - ٣٦٦) .

الله عليه وسلم : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » ، فيقول سهيل : « أمسك ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقفالك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك » (٩١) .

وفي غزوة (الفتح) ، رأى المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة المكرمة ، ورأسه قد انحنى على رحله ، وبدا عليه التواضع الجهم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعاً ، وترقرقت في عينيه الدموع تواضعاً وشكراً لله (٩٢) .

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة خطيباً ، فكان مما قاله : « لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو ما يَدْعَى فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سِدَانَةُ الْبَيْتِ وَسِقَايَةُ الْحَاجِّ ... يا معشر قريش ! ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء : الناس من آدم وآدم من تراب : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٩٣) . يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟ » ، قالوا : « خيرأ . أخ كريم ، وابن أخ كريم » ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (٩٤) . قال عمر بن الخطاب : « لما كان يوم الفتح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، أرسل الى صفوان بن أمية بن خلف والى أبي سفيان بن حرب والى الحارث بن هشام ، فقلت : قد أمكن الله منهم أعرفهم بما صنعوا !!! .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم : مثلي ومثلكم كما قال يوسف لاختوته : لا تثريب عليكم ، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم

(٩١) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٦) .

(٩٢) الرسول القائد ص (٢٤١) الطبعة الثانية .

(٩٣) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .

(٩٤) سيرة ابن هشام (٤/٣١-٣٢) .

الراحمين » (٩٥) .

وحين كان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت ، أراد فضالة ابن عمير بن الملوّح الليثي قتله ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟ ! » ، قال : « نعم فضالة يا رسول الله » ، قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ ! » ، قال : « لا شيء » ، كنت أذكر الله عز وجل ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « استغفر الله » ثم وضع يده على صدر فضالة فكان فضالة يقول : « والله ما رفع يده عن صدري ، حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه » (٩٦) .

وفي غزوة (حنين) انهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد ، فأنحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال : « أين أيها الناس ؟ » ، هلموا إليّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » ، وقد بقي معه نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته (٩٧) ، فأمر عمه العباس أن ينادي : « يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السّمة ، يا أصحاب سورة البقرة » ، فأقبلوا كأنهم الابل إذا حنت على أولادها يقولون : « يا لبيك ! يا لبيك » ، وحملوا على المشركين (٩٨) ...

في ذلك الموقف الحرج للغاية أراد شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أن يغتال النبي صلى الله عليه وسلم ! ... قال شيبة : « قلت : اليوم أدرك ثأري ... اليوم أقتل محمداً ! فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني » ، وكان أبو شيبة قتل يوم (أحد) (٩٩) .

(٩٥) طبقات ابن سعد (١٤١/٣ - ١٤٢) .

(٩٦) سيرة ابن هشام (٢٧/٤) .

(٩٧) سيرة ابن هشام (٧٢ - ٧١/٣) .

(٩٨) طبقات ابن سعد (١٥١/٣) وسيرة ابن هشام (٧٤/٣) .

(٩٩) سيرة ابن هشام (٧٣/٣) .

وبعد (حنين) أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم (حنين) في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء ، فوجد هذا الحلي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة (١٠٠) ، وحتى قال قائلهم : «لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه !!» فدخل عليه سعد بن عباد فقال : يا رسول الله ! إن هذا الحلي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت : قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحلي من الأنصار منها شيء . قال : «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» ، قال : «يا رسول الله ! ما أنا إلا من قومي» ، قال : «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» (١٠١) . وخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «يا معشر الأنصار ! ما قالة بلغتني عنكم وجدة» (١٠٢) وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة (١٠٣) فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ ! قالوا : «بلى ، الله ورسوله أمن» (١٠٤) وأفضل ! ، ثم قال : «ألا تحبونني يا معشر الأنصار؟» ، قالوا : «بماذا نجيبك يا رسول الله؟ الله ورسوله المن والفصل» ، فقال : «أما والله لو شئتم لقاتم فلصدقم ولصدقم ! أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك» (١٠٥) ! أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة (١٠٦)

(١٠٠) القالة : الكلام الرديء .

(١٠١) الحظيرة : هي في الأصل ، مكان يتخذ للابل والتم يمنها الانفلات ويمنها هجمات اللصوص والوحوش .

(١٠٢) الجدة : أراد بها الموجود ، وهي المقاب ، وأكثر ما تستعمل الجدة في المال .

(١٠٣) عالة : الفقراء .

(١٠٤) أمن : هو أفعل تفضيل من المنة ، وهي النعمة .

(١٠٥) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(١٠٦) اللعاعة : بقلة حمراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى اسلامكم ؟! ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله إلى رجالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً (١٠٧) وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ؛ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم (١٠٨) وقالوا : « رضينا برسول الله قسماً وحظاً » (١٠٩) .

بل ذهب أبو الخويصرة التميمي إلى أبعد من ذلك ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : « يا محمد ! قد رأيت ما صنعت اليوم ! » ، فقال : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » ، فقال : « لم أرك عدلت !!! » ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند من يكون ؟! » (١١٠) . وكان قبل قسمة فيء هوازن قد أتبعه الناس يقولون : « يا رسول الله ! اقسم علينا فيأنا من الابل والغنم » ، حتى ألجؤوه إلى شجرة فاخترطت عنه رداءه ، فقال : « ردوا عليّ ردائي أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعلماً لقسمته عليكم ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » ، ثم قام إلى جنب بغير فأخذ وبرة من سنامه (١١١) بين اصبعيه ثم رفعها وقال : « أيها الناس ! والله مالي من فيثكم ولا هذه البرة الا الخمس والخمس مردود عليكم ؛ فأدوا الخياط (١١٢) والمخييط فان الغلول يكون على أهله عاراً

(١٠٧) الثمب : الطريق بين جبلين .

(١٠٨) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع ، والنصن الخضل : هو الذي بله المطر .

(١٠٩) سيرة ابن هشام (١٤٧/٤ - ١٤٨) وعيون الأثر (١٩٤/٢ - ١٩٥) والسيرة الحلبية

(١٤١/٣ - ١٤٢) وفتح الباري بشرح البخاري (٣٨/٨ - ٤٤) .

(١١٠) سيرة ابن هشام (١٤٤/٤) والسيرة الحلبية (١٤٠/٣) .

(١١١) السنام : أعلى ظهر البعير .

(١١٢) الخياط : هو الخيط .

وناراً وشاراً (١١٣) يوم القيامة (١١٤).

لقد كانت غنائم (حنين) أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف نسمة من السبي (١١٥) ، وقد أعاد السبائا الى هوازن (١١٦) ، فهل أبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه شيئاً من هذا المال أو من غيره ، بل هل أبقي لنفسه شيئاً من ماله الخاص ؟؟

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير . وفي يوم من الأيام جاءت فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليه بكسرة خبز ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ ، قالت : « قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة » ، فقال : « أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » . وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما شبع آل محمد غداء وعشاء من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لحق بالله » . وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام ، وانها لتسعة أبيات » . وما قالها استقلالاً لرزق الله ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته . وقال ابن عباس : « والله لقد كان يأتي على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الليالي ما يجدون فيها عشاء » . وقالت عائشة أم المؤمنين : « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله ، إلا أن نرفعه لغائب » . وقالت : « كان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب يسقوننا من لبنها جزاهم الله خيراً » . وقالت : « ان آل محمد

(١١٣) الشنار : أقيح العار .

(١١٤) سيرة ابن هشام (١٣٨/٤ - ١٣٩) .

(١١٥) الرسول القائد ص (٢٥٢) .

(١١٦) سيرة ابن هشام (١٣٥/٤) .

لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية من طعام بر حتى مضى النبي صلى الله عليه وسلم لسبيله . وقالت : « والله لقد كان يأتي على آل محمد صلى الله عليه وسلم شهر لا نخبز فيه » . وقالت : « لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم مرتين » . وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند رجل من يهود بوسقي من شعير . وقال أبو هريرة : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع » ، فقيل له : « وكيف ذلك الجوع ؟ » ، فقال : « لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً ابداً الا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتبعون من المسجد » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه : حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » (١١٧) .

إنه لم يستقر في قلبه العظيم ما يجعل للدينار معنى الدينار ولا للدرهم معنى الدرهم . إن فقره صلى الله عليه وسلم كان من أنه كان يتسع في الكون لا في المال !

إنه يفهم من فقر النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الشهوات خلقت مع الانسان تتحكم فيه ، ولكنه كان يتحكم فيها ولا تتحكم فيه ، وان الانسان العاقل يجب أن يكون ذا روح يمتد فيفيض عن غايات جسمه الى ما هو أعلى فأعلى حتى يصبح من حكم النور وانطلاقه وحرية . ان الفقر وما اليه والزهد وما هو بسبيل منه ، والانصراف عن الشهوات والرذائل ، كل ذلك ان هو الا تراجع النفس العالية الى ذاتها النورانية .

هذا هو سيد الأمة ، يمسكه في الحياة نبياً عظيماً ما يخرج غيره منها

(١١٧) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٤٠٠/١ - ٤٠١) .

ذليلاً محترقاً ، وكأنما أشرق وصفاء نفسه على تراب الارض فردده أشعة نور^(١١٨) .

لم يفكر أبداً بنفسه كما لم يفكر أبداً بأهله يسبغ عليهم هذا الترف الذي يشيع بين ذوي الجاه والسلطان ، وحين نصره الله تعالى وردّ عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس يهود وذخائرهم ، وكن تسع نسوة قعدن حوله وقلن : « يا رسول الله ! بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والاماء والحول ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق ! » ، وآلن قلبه بمطالبتهم له بتوسعة الحال ، وأن يعاملهم بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم ، فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن من تخييرهن في فراقه ، وذلك قوله : (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً^(١١٩) . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً^(١٢٠)) ، فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فقال لها : « إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك » فقالت : « ما هو ؟ » ، فتلا عليها الآية ، فقالت : « أفليك أستأمر أبوي ؟ ! بل أختار الله تعالى ورسوله » ... ثم تابعن كلهن على ذلك ، فسماهن الله : أمهات المؤمنين ، تعظيماً لحقهن وتأكيداً لحرمتهن وتفضيلاً لهن على سائر النساء .

لقد أمره ربه أن يخيرهن جميعاً في سراحهن فيكن كالنساء ويجدن ما شئن من دنيا المرأة ؛ وبين إمساكنهن فلا يكن معه إلا في بيعة أخرى تبدأ من

(١١٨) انظر مقال : سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الاعظم في وحي القلم للاستاذ مصطفى صادق الرافعي (٤٨/٢ - ٦٢) .

(١١٩) السراح : الطلاق . ومتمه الطلاق : ما تمطاه المطلقة ، وهو يختلف حسب السعة والافتقار .

(١٢٠) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ٢٩) ، وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير

(٥٣٨/٦ - ٥٤٢) وتفسير البهوي (٥٣٨/٦ - ٥٤٢) وتفسير الكشاف للزخشري (٤٢٩/٢) .

حيث تنتهي الدنيا وزينتها ؛ ولا تقتصر الآية الكريمة عن نفي الدنيا وزينة الدنيا عنهن ، بل نفت الامل في ذلك أيضاً الى آخر الدهر ، وأماتت معناه في نفوسهن بقصر الارادة منهن على هذه الثلاثة : الله في أمره ونهيه ، والرسول في شدائده ومكابده ، والدار الآخرة في تكاليفها ومكارهاها ؛ فليس هناك ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ولا اعتبار لمزاجها ولا زلفى لانوثتها ، بل هو تخيير بين ضدين لا تتلون بينهما حالة تكون منهما معاً (١٢١) .

وأخيراً مات النبي صلى الله عليه وسلم متأثراً بالسّم ذي المفعول البطيء ؛ فقد أهدت امرأة من يهود خيبر شاة مسمومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها وأكل بعض من كان معه من أصحابه ، وفيهم بشر بن البراء ابن معرور ، فمات بشر ، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤوسهم ، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض فيه جعل يقول في مرضه : « ما زلت أجد من الاكلة التي أكلتها يوم خيبر عِداداً حتى كان هذا أو انقطاع أبهري » (١٢٢) ؛ فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ورضوانه (١٢٣) .

لقد تحمل الأذى والتعذيب والتكذيب والمقاطعة والاضطهاد والمطاردة ، وهو الشريف الصادق الأمين الذي كان بإمكانه أن يعيش عزيزاً كريماً .

واستهان بالوعد والوعيد وبالمال والمجد ، وصبر على شظف العيش والجوع والعري والمشقة ؛ وهو القوي الأمين ، السيد الثري الذي كان

(١٢١) أنظر مقال درس من النبوة للاستاذ مصطفى الرافعي (٢/٦٤ - ٦٥) .

(١٢٢) الأهر : عرق في الظهر .

(١٢٣) طبقات ابن سعد (٢/٢٠٢ - ٢٠٣) .

بإمكانه أن يعيش مصاناً مترفاً .

وقاتل قومه وقبيلته ، وعادى من عادى الاسلام وسالم من سالمه ، وعرض نفسه للموت في ساحات القتال مجاهداً ، وخارج ميادين الوغى داعياً ، وضحي بالأقربين من أهله وب نفسه ، وتحمل المسؤوليات التي تنوء بحملها العصبه أولى القوة من أفذاذ الرجال ، واستأثر لنفسه بالخطر ؟ وهو البر الرحيم الذي كان بإمكانه أن يعيش مرفهاً مصاناً بعيداً عن الخطر .

إنه كان تجسيداً حياً لتعاليم الاسلام عقيدةً وعملاًً وتضحيةً وجهاداً ، فهو الاسوة الحسنة الخالدة للمسلمين في كل زمان ومكان : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (١٢٤) إنه كان مثلاً حياً وبشراً سوياً للخلق العظيم : (وانك لعلى خلق عظيم) (١٢٥) والاسلام في حقيقته وروحه عقيدة وعمل وتضحية وجهاد - وكلها في جملتها وتفصيلها معنى من معاني الخلق العظيم .

يا لله ... ! أيذل بشر من ذات نفسه ووقته وجهده مثل هذا البذل ؟ ..
أيضحي انسان بماله ونفسه وأهله وقومه مثل هذه التضحية ؟؟ أيجاهد رجل بما يملك من مال ونفس وغالٍ ورخيص مثل هذا الجهاد ؟؟ أيستطيع أحد أن يتحمل كل هذا البذل والتضحية والجهاد ؟؟ ..

ولكن مهلاً ، انه الرسول القائد ، انه سيد القادات وقائد السادات ، انه بطل الأبطال ورجل الرجال ، انه رسول الله صلوات الله وتسليمه عليه : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١٢٦) .

ان المرء حين يستمع الى هذه (الامثلة) من بذله وتضحيته وجهاده يسمعها وهو مبهور الانفاس يكاد يصعق بروعتها وبهاؤها وجلالها ، فكيف

(١٢٤) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٢٣ : ٢١) .

(١٢٥) الآية الكريمة من سورة القلم (٦٨ : ٤) .

(١٢٦) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٢٤) .

به لو استمع الى تفاصيل كل بذله وتضحيته وجهاده في سبيل الله ؟؟ ...
لقد تأسى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به في حياته وبعد
التحاقه بالرفيق الاعلى ، فكيف كان ذلك ؟

- ٧ -

تحمل العربي المسلم التعذيب في سبيل عقيدته ؛ فعدت كل قبيلة على من
فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش
وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ، يفتنونهم عن دينهم : كان بلال بن رباح
يخرجه أمية بن خلف اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء
مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : « لا
تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتبعد اللآت والعزى » ، فيقول
وهو في ذلك البلاء : « أحد .. أحد .. » (١٢٧) .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة
يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :
« صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة » ؛ فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا
الاسلام (١٢٨) .

وعندما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أخذه عمه الحكم بن أبي
العاص بن أمية فأوثقه كتافاً وقال : « ترغب عن ملّة آبائك الى دين محمد ؟ !
والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه » ؛ فقال عثمان : « والله لا
أدعه أبداً ولا أفارقه » ؛ وقيل : عذّبه عمه بالدخان ليرجع ، فما رجع (١٢٩) .

وعندما أسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه علّقه عمه في حصير ودخن

(١٢٧) سيرة ابن هشام (٣٣٩/١ - ٣٤٠) والاصابة (١٧١/١) .

(١٢٨) سيرة ابن هشام (٣٤٢/١) وأسد الغابة (٤٢/٤) .

(١٢٩) السيرة الحلبية (٣١٢/١) .

عليه ليرجع الى الكفر ، فكان يقول « لا أكفر أبداً » (١٣٠) .

ولاقى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه معارضة شديدة لإسلامه حتى من أمه ! قال سعد : « كنت رجلاً برأ بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ! ما هذا الذي أحدثت ! لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بي ! فقلت لها : لا تفعلي يا أماء ، فاني لا أدع ديني ! فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جهدت ، فقلت لها : والله لو كان لك ألف نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت هذا الشيء ! فلما رأيت ذلك مني ، أكلت وشربت ، فأنزل الله : (وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) (١٣١) .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفروا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الاسلام (١٣٢) ، وهكذا ترك المسلمون المهاجرون ديارهم وأموالهم وأهلهم حرصاً على دينهم .

وقدم المسلمون مكة من الهجرة الأولى إلى الحبشة ، لأنهم سمعوا بإسلام قريش ، ولكن ظهر لهم أن قريشاً لا تزال على دينها — فاشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرتهم ولفوا منهم أذى شديداً ؛ لذلك أذن لهم رسول الله

(١٣٠) الإصابة (٥/٣) وحلية الأولياء (٨٩/١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) .

(١٣١) أسد الغابة (٢٩٢/٢) وطبقات ابن سعد (١٢٤/٤) ، وانظر تفسير ابن كثير (٤٥٨/٦) وتفسير البغوي (٤٥٨/٦) وتفسير الكشاف (٤١٣/٢) وشرح النووي على مسلم (١٥٩/٥) والآية الكريمة من سورة لقمان (٣١ : ١٥) .

(١٣٢) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) ، وانظر طبقات ابن سعد (٢٠٣/١ - ٢٠٤) وعيون الأثر (١١٥/١) .

صلى الله عليه وسلم في الخروج الى الحبشة مرة ثانية ؛ فكانت خرجتهم الثانية أعظمها مشقة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى (١٣٣) .

وفي الحبشة سأل النجاشي المهاجرين من المسلمين فقال لهم : « ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ ! » ، فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : « أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .— وعدد عليه أمور الاسلام .— فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ؛ فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واختارناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك » (١٣٤) .

وبلغ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا الى الحبشة اسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ؛ حتى اذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلاً ؛ فلم يدخل منهم أحد

(١٣٣) طبقات ابن سعد (٢٠٧/١) .

(١٣٤) سيرة ابن هشام (٣٨٨/١) .

الإيجوار أو مستخفياً (١٣٥).

ودخل عثمان بن مظعون بن حبيب الحمصي بجوار من الوليد بن المغيرة ؛ فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان قال : « والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي ! » فمشى الى الوليد بن المغيرة وقال له : « يا أبا عبد شمس ! وفّت ذمتك ، وقد رددت اليك جوارك » ، فقال له : « يا ابن أخي ! لعله آذاك أحد من قومي ؟ » ، قال : « لا ، ولكني أَرْضَى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره » ، فانطلقا الى المسجد ورد عثمان جوار الوليد علانية (١٣٦).

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين ضاقت عليه مكة وأصابه الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فأذن له ؛ فخرج أبو بكر مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدغنة فقال : « أين يا أبا بكر ؟ » ، قال : « أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي ! » ، فقال : « ولم ؟ » فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين على النواصب وتفعل المعروف وتكسب المعلوم (١٣٧) ! ارجع وأنت في جوارِي ؟ » ؛ فرجع معه - حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال : « يا معشر قريش ! إني قد أجرت ابن أبي قُحافة ، فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير » . وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُحش ، فكان يصلي فيه ؛ وكان

(١٣٥) سيرة ابن هشام (٢٨٨/١).

(١٣٦) سيرة ابن هشام (٣٩١/١ - ٣٩٢).

(١٣٧) يقال : كسبت الرجل مالا ، فتمديه الى مفعولين . ويقال : اكسبه مالا . ومعنى :

تكسب المعلوم ، أي تكسب غيرك ما هو معلوم عنده.

رجلاً رقيقاً اذا قرأ القرآن استبكي ، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ؛ فمشى رجال من قريش الى ابن الدغنة فقالوا : « يا ابن الدغنة ! إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا . إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد ، يرقّ ويبكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف عليه صبياننا ونساءنا وضعفتنا أن يفتنهم ؛ فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . » ومشى ابن الدغنة اليه فقال له : « يا أبا بكر ! إني لم أجرك لتؤذي قومك . إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت » ؛ فقال أبو بكر : « أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله » ، فقال : « اردد عليّ جوارى » ، فرد أبو بكر على ابن الدغنة جواره (١٣٨) .

- ٨ -

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج من مكة الى المدينة والهجرة اليها واللاحق باخوانهم من الأنصار ، وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها » ، فخرجوا إرسالاً (١٣٩) .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : « تأخوا في الله أخوين أخوين » (١٤٠) ؛ فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف : « إني من أكثر الأنصار مالاً ، وأنا مقاسمك ، وعندي امرأتان ، فأنا مطلق أحدهما ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها » ؛ فقال له عبد الرحمن : « بارك الله لك في أهلك ومالك » (١٤١) ، وقد وصف عبد الله بن عمر بن الخطاب هذه المؤاخاة بقوله : « لقد رأيتنا

(١٣٨) سيرة ابن هشام (١/٣٩٤ - ٣٩٦) .

(١٣٩) سيرة ابن هشام (٢/٨٦) .

(١٤٠) سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) .

(١٤١) أسد الغابة (٢/٢٧٨) وعيون الأثر (١/٢٠٣) .

وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم . وقال المهاجرون : « يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير : كفونا المئنة وأشركونا في المهناً ، حتى لقد خشنا أن يذهبوا بالأجر كله » (١٤٢) .

وفي المدينة أظهر العرب المسلمون الأعاجيب في إخلاصهم لعقيدتهم ، فقد كان عمر بن سعد في حجر جلاس بن سويد بن الصامت إذ خلف جلاس هذا على أم عمير بعد أبيه ، فسمع عمر كلمة نابية قالها جلاس ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إليّ وأحسنه عندي يدأ وأعزه أن يصيبه شيء يكرهه ؛ ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ، ولأحدھما أيسر عليّ من الأخرى ! » ؛ ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس (١٤٣) .

واجتمع المنافقون يوماً في المسجد ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً : قام أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري الى عمرو ابن قيس من بني النجار - وكان صاحب آفتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله فسحبه من المسجد ؛ ثم أقبل أبو أيوب أيضاً الى رافع بن وديعة من بني النجار فلبّيه بردائه ثم نثره نثراً (١٤٤) شديداً ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد (١٤٥) .

وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من

(١٤٢) عيون الاثر (٢٠٠/١) .

(١٤٣) سيرة ابن هشام (١٤١/٢) .

(١٤٤) نثره : جذبه .

(١٤٥) سيرة ابن هشام (١٥٠/٢ - ١٥١) .

الجوار والحلف في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مبايعتهم :
 (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ^(١٤٦) ، وإذا لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل : موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور ^(١٤٧))
 فقاطع العرب المسلمون حلفاءهم من يهود .

وتحمل المهاجرون من العرب المسلمين في المدينة بصبر وجلد ما أصابهم من وباء الحمى ، قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال في بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ^(١٤٨) ، فدنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبت ؟ ، فقال :

كل امرئ مصبّح في أهله

والموت أدنى من شراك نعله

فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول . ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت له : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

(١٤٦) وتؤمنون بالكتاب كله : أي تؤمنون بكتابهم وكتابكم وبما نعى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم .
 (١٤٧) الآيتان الكرمتان من سورة آل عمران (٣ : ١١٨ - ١١٩) . وانظر ما جاء حول ذلك في سيرة ابن هشام (١٨٦/٢ - ١٨٧) .
 (١٤٨) الوعك : بفتح وسكون - شدة ألم المرض ، يقال : وعكته الحمى إذا بالغت فيه .

لقد وجدت الموت قبل ذوقه
 إنَّ الجبان حنَّه من فوقه
 كل امرئ مجاهد بطوقه
 كالثور يحمي جلده بروقه (١٤٩)
 فقلت : والله ما يدري ما يقول ! وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع
 بفناء البيت ، ثم رفع عقبرته (١٥٠) فقال :
 ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلة
 بفسخ وحولي اذخِرَ وجايل (١٥١)
 وهل أَرَدَنَ يوماً مياه مِجَنَّة
 وهل يبدون لي شامة وطِفيل (١٥٢)
 فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : أنهم ليهذون
 وما يعقلون من شدة الحمى (١٥٣)
 لقد تحمل العرب المسلمون الفقر والمرض بعد هجرتهم الى المدينة من
 أجل عقيدتهم .

- ٩ -

وبدأ الصراع الحاسم بين المسلمين وأعدائهم ، فأبدى المسلمون في جهادهم
 ضروباً من التضحية لا مثيل لها في التاريخ كله .

-
- (١٤٩) الطوق : هنا الطاقة والقوة . والروق - بفتح الراء وسكون الواو : القرن .
 (١٥٠) عقبرته : صوته .
 (١٥١) فسخ : موضع خارج مكة به مويه . الأذخر : نبات يشبه الاسل الذي تعمل منه الخصر .
 الجليل : الشام ، وأهل الحجاز يسمون الشام الجليل .
 (١٥٢) مجنة : اسم موضع ، وقيل : بلد على بعد أميال من مكة . وطفيل : اسم جيل وكذلك
 شامة جيل بمكة .
 (١٥٣) سيرة ابن هشام (٢٢٠/٢ - ٢٢١) .

فقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل غزوة (بدر) ،
فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ،
ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك ،
والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (فاذهب أنت وربك
فقاتلا إنا ههنا قاعدون) (١٥٤) ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
معكما مقاتلون ؛ فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى (بَرْك الغِمَاد) (١٥٥) ،
لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيراً ودعا له ؛ ثم قال : « أشيروا علي أيها الناس » ، وإنما يريد الانتصار ،
وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : « يا رسول الله !
إنا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا
نمنعك مما نمنع منه أبنائنا ونساءنا » ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخوف ألا تكون الانتصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه (١٥٥) بالمدينة
من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدو ؛ فلما قال
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : « والله لكأنك
تريدنا يا رسول الله ؟ ! » ، قال : « أجل ! » . قال : « فقد آمنا بك
وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا
وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ،
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما
تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لصبر في
الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يربك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا
على بركة الله (١٥٦) .

(١٥٤) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٤) .

(١٥٥) برك الغماد : موضع بناحية اليمن .

(١٥٥) دهمه : فجأه . يقال : دهمتهم الخيل ، اذا فاجأهم على غير استعداد .

(١٥٦) سيرة ابن هشام (٢٥٣/٢ - ٢٥٤) وعيون الأثر (٢٤٧/١ - ٢٤٨) .

ومرّ الرسول القائد برجاله يعدل صفوفهم يوم بدر ، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح الذي كان بيده في بطن سواد وقال : « استو يا سواد » ، فقال : « يا رسول الله ، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقذني ! » ؛ فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : « استقد » ، فاعتنقه وقبل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » قال : « يا رسول الله ! حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسنّ جلدي جلدك » (١٥٧) .

وحرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتال بقوله : « والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » ، فقال عمير بن الحمام — وكانت بيده تمرات يأكلهن : « بخ ! بخ ! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء » ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

واستصغر النبي صلى الله عليه وسلم عمير بن أبي وقاص الزهري لما أراد المسير الى بدر فبكى عمير فأجازه ! وكان سيفه طويلاً فعقد عليه خمائل سيفه أخوه سعد بن أبي وقاص ، قال سعد : « رأيت أخي عميراً قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى ، فقلت : مالك يا أخي ! فقال : أخاف أن يستصغرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة » ؛ فرزق ما تمنى ، اذ مات شهيداً (١٥٨) .

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « اني لواقف يوم بدر في الصف ، نظرت عن يميني وعن شمالي ، فاذا أنا بين غلامين من الانصار

(١٥٧) عيون الاثر (٢٥٥/١) .

(١٥٨) اسد الغابة (١٤٨/٤) .

حديثة أسنانها تمنيت لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ فقلت : نعم ، وما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال : بلغني أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا . وغمزني الآخر فقال مثلها ، فعجبت لذلك . ونظرت إلى أبي جهل يزول في الناس ، فقلت ، لهما : الا تريان ؟! هذا صاحبكما الذي تسألان عنه ، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته ، وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء » (١٥٩) .

في هذه المعركة التقى الآباء والابناء ، والاخوة بالاخوة ! خالفت بينهم المبادئ ، ففصلت بينهم السيوف !

كان أبو بكر مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين (١٦٠) .

قال عبد الرحمن بن أبي بكر بعد اسلامه لأبيه : « لقد أهدفت لي يوم بدر مراراً ، فصدمت عنك » ، فقال أبو بكر : « لو هدفت لي لم أضدف عنك » (١٦١) .

وفي يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركاً (١٦٢) .

— ١٠ —

وفي (أحد) أراد ان يستثير الرسول القائد روح المنافسة الشريفة بين

- (١٥٩) عيون الأثر (١/٢٦١-٢٦٢) .
 (١٦٠) الرسول القائد (٨٣) .
 (١٦١) السيرة الحلبية (٢/١٧٩) .
 (١٦٢) الإصابة (٤/١١) والسيرة الحلبية (٢/١٧٨) .

أصحابه فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ ... فقام اليه رجال فأمسكه عنهم — حتى قام اليه أبو دُجَّانة سِمَاك بن خَرَّشَةَ أخو بني ساعدة ، فقال : « وما حقّه يا رسول الله ؟ » قال : « ان تضرب به العدو حتى ينحني » ، قال : « أنا آخذه يا رسول الله بحقه » ، فأعطاه إياه ... وكان أبو دُجَّانة رجلاً شجاعاً يَحْتَال عند الحرب (١٦٣) إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل . ولما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، ثم جعل يتبخّر بين الصفين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَّانة يتبخّر : « أنها لمشيّة يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن » (١٦٤) .

وقال الانصار حين رأوا أبا دُجَّانة يخرج عصابته الحمراء : « أخرج أبو دُجَّانة عصاة الموت » ، وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها ؛ فخرج وهو يقول :

انا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

ان لا أقوم الدهر في الكيول

أضرب بسيف الله والرسول (١٦٥)

فجعل لا يلقى احداً الا قتله ؛ وكان في المشركين رجل لا يدع للمسلمين جريحاً الا ذفّف عليه (١٦٦) ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فاختلفا ضربتين فقتله أبو دُجَّانة .

(١٦٣) يحتال عند الحرب : هو من الخيلاء ، وهو الزهو .

(١٦٤) سيرة ابن هشام (١١/٣ - ١٢) وانظر أسد الغابة (٢/٣٥٢) .

(١٦٥) الكيول : آخر الصفوف في الحرب ، وهو بتشديد الياء ، وقد تخفف ، والكاف مفتوحة

عل الوجهين .

(١٦٦) ذفّف عليه : اجهز عليه وأسرع قتله .

قال أبو دجانة : « رأيت انساناً يَحْمِشُ (١٦٧) الناس حمشاً شديداً ، فصمدت له (١٦٨) ، فلما حملت عليه السيف ولول (١٦٩) ، فاذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة (١٧٠) .

وفي (أحد) أيضاً نزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى (١٧١) .

وقالت أم عُمارة نُسَيْبَةَ بنت كعب المازنية يوم (أحد) ، قالت نسيبة : « خرجت أول النهار وأنا انظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء ، فأنتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والدولة (١٧٢) والريح للمسلمين ؛ فلما انهزم المسلمون انخرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقممت أبأشر القتال وأذب عنه بالسيف وارمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليّ » ، فكان على عاتقها جرح أجوف له غور (١٧٣) .

وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع التبل في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه التبل . ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي الكريم يقول له : « ارم فذاك أبي وأمي » (١٧٤) .

(١٦٧) يحمش : يثير حشيتهم وغضبهم .

(١٦٨) صمدت له : قصدت نحوه .

(١٦٩) الولولة : رفع الصوت .

(١٧٠) سيرة ابن هشام (١٣/٣ - ١٤) .

(١٧١) سيرة ابن هشام (٣ ظ ٢٨) وطبقات ابن سعد (٤١٠/٣) وجوامع السيرة ص (١٦١) .

(١٧٢) البلولة : بفتح الدال المهملة او ضمها ، والمراد بها هنا الغلبة ، والريح : النصر .

(١٧٣) سيرة ابن هشام (٢٩/٣ - ٣٠) والاصابة (١٩٨/٨ - ١٩٩) .

(١٧٤) سيرة ابن هشام (٣٠/٣) .

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى (أحد) ، رُفِعَ حُسَيْنُ ابن جابر (وهو اليمان أبو حذيفة) وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : « لا أبالك ! ما تنتظر ؟ ! فوالله ان بقي لواحد منا من عمره الا ظمئى حمار (١٧٥) ، انما نحن هامة اليوم (١٧٦) أفلا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فأخذا أسيفهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يُعْلَمَ بهما (١٧٧) .

أما ثابت بن وقش ، فقتله المشركون (١٧٨) . أما حسيل بن جابر فاختلقت عليه أسياف المسلمين فقتلوه لا يعرفونه ، فقال حذيفة : « أبي ... أبي ... والله » ، فقالوا : « والله ان عرفناه » ، فقال حذيفة : « يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يَدْرِيَه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين (١٧٩) .

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد (أحد) رهط من عَصَلِ والقارة (١٨٠) ، فقالوا : « يا رسول الله ! ان قينا اسلاماً ، فابعث معنا نقرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام » ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نقرأ ستة من أصحابه (١٨١) . وخرج القوم حتى اذا كانوا على الرجيع (ماء لهذيل بناحية

(١٧٥) الظمئى : مقدار ما يكون بين الشربتين ، وأقصر الاطماء ظمئى الحمار ، فضر به مثلاً لقرب الاجل .

(١٧٦) هامة اليوم أو غد : يريد أنهما يموتان اليوم أو غد .

(١٧٧) سيرة ابن هشام (٣/٢٦) .

(١٧٨) أسد الغابة (١/٢٣٤) والاصابة (١/٢٠٤) .

(١٧٩) الاستيعاب (١/٣٥٢) وسيرة ابن هشام (٣/٣٧) .

(١٨٠) عسل والقارة : قبيلتان من الهون بن خزيمه بن مدركة .

(١٨١) سيرة ابن هشام (٣/١٦٠) وفي عيون الاثر (٢/٤٠) : انهم كانوا عشرة .

الحجاز) غدروا بهم (١٨٢) ، فقتلوا بعضهم وأخذوا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة أسيرين وقدموا بهما مكة وباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانوا بمكة (١٨٣) .

وخرج المشركون بخبيب من الحرام الى الحل ليقتلوه ، فقال لهم : « دعوني أركع ركعتين » ، فركعوه فركع ركعتين ثم قال : « والله لولا ان تحسبوا أن ما بي جزع من الموت لزدت ! اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بديداً ، ولا تبق منهم أحداً ... » .

« فلست أبالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلوي ممزّع »

ثم قاموا اليه فقتلوه (١٨٤) .

واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، فأخرجهم رجاله ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال أبو سفيان حين قدم زيد ليقتل : « أنشدك الله يا زيد ! أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك ؟ » فقال زيد : « والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي » ، فقال أبو سفيان : « ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ... » ثم قتلوه (١٨٥) .

(١٨٢) سيرة ابن هشام (١٦٠/٣) .

(١٨٣) سيرة ابن هشام (١٦٤/٣) .

(١٨٤) أسد الغابة (١٠٤/٢) والاصابة (١٠٣/٢) .

(١٨٥) سيرة ابن هشام (١٦٤/٣ - ١٦٥) .

وفي غزوة (الحنديق) كانت صفية بنت عبد المطلب مع النساء والصبيان ، قالت : « فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم البنا ان أئانا آت ؟ فقلت : يا حسان (١٨٦) ، ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل اليه فاقتله ! قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! ... فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً. احتجزت (١٨٧) ثم أخذت عموداً (١٨٨) ثم نزلت من الحصن اليه ، فضربته بالعمود حتى قتله ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن (١٨٩) ... » .

ولما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمر الاحزاب في غزوة الحنديق ، دعا حذيفة بن اليمان وبعثه اليهم ليلاً لينظر ما فعل القوم . قال حذيفة : « فذهبت ، فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قديراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ! لينظر امرؤ من جلسه ! قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان ! ثم قال

(١٨٦) هو حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٨٧) احتجزت : معناه شددت وسطي . تقول : احتجز فلان بازاره ، اذا شد وسطه وربطه فيه .

(١٨٨) العمود هنا : أحد أعمدة البيت التي يقام عليها ، وقد يكون العمود ، المقرعة من الحديد .

(١٨٩) سيرة ابن هشام (٢٤٦/٣) وأسد الغابة (٤٩٣/٥) وطبقات ابن سعد (٤١/٨) والاصابة (١٢٩/٨) .

أبو سفيان : يا معشر قريش ! انكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ؛ لقد هلك الكراع والخف (١٩٠) وأخلقتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فلاني مرتحل ! ... ثم قام الى جملة وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم ... فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مِرْط (١٩١) لبعض نسائه مراحل (١٩٢) ؛ فلما رأي ادخلني الى رجله وطرح علي طرف المِرْط ، ثم رجع وسجد ؛ فلما سلم أخبرته الخبر « (١٩٣) » .

وحاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قُرَيْظَةَ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار (١٩٤) ، فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف لنستشيره في أمرنا ؛ فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ، فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش (١٩٥) اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم ، وقالوا له : « يا أبا لبابة ، أترى ان نزل على حكم محمد ؟ » ، قال : « نعم » وأشار بيده الى حلقة : انه الذبح ! ... قال أبو لبابة : « فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » . وانطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عُمُده وقال : « لا أبرح من

(١٩٠) الكراع : الخيل . والخف : الابل .

(١٩١) مِرْط : الكساء .

(١٩٢) مراحل : ضرب من وشي اليمن .

(١٩٣) سيرة ابن هشام (٢٥٠/٣ - ٢٥٢) وطبقات ابن سعد (٦٩/٢) .

(١٩٤) سيرة ابن هشام (٢٥٤/٣) .

(١٩٥) تقول : جهش الرجل بالبكاء وأجهش : اذا تهيأ له وبدأ فيه .

مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت وأعاهد الله أن لا أطأ بني قُريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً» ؛ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره - وكان قد استبطأه - قال : «أما انه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » . وتاب الله على أبي لبابة فثار الناس اليه ليطلقوه فقال : « لا والله ، حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده » فلما مرّ عليه صلى الله عليه وسلم خارجاً الى صلاة الصبح أطلقه (١٩٦) !

ونزل بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الاوس فقالوا : « يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ! انهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاصر بني قَيْنُقَاع حلفاء الخزرج قبل بني قريظة فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبي بن سلّول ، فوهبهم له ؛ فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ » ، قالوا : « بلى ! » ، فقال : « فذاك الى سعد بن معاذ » ؛ فأقبل الاوس مع سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون لسعد : « يا أبا عمرو ! أحسن في مواليك ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم » ، فلما أكرهوا عليه قال : « لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم » . وانتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « اني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء » (١٩٧) .

(١٩٦) سيرة ابن هشام (٢٥٥/٣ - ٢٥٦) .

(١٩٧) سيرة ابن هشام (٢٥٧/٣ - ٢٥٩) .

وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان (١٩٨) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ؛ لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء (١٩٩) إلا قالت الخزرج : « والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام » ؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك !

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : « والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً » ؛ فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق - وهو بخير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج اليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ؛ فخرجوا حتى اذا قدموا خبير ، أتوا دار ابن أبي الحقيق فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله . وكان ابن أبي الحقيق في عليّة له اليها عَجَلَة (٢٠٠) فأسندوا فيها (٢٠١) حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت اليهم امرأته ، فقالت : « من أنتم ؟ ! » ،

(١٩٨) تصاول : يقال تصاول الفحلان ، اذا حمل هذا على هذا . وأراد : ان كل واحد من الحيين كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفاخران بذلك ، فاذا فعل احدهما شيئاً فعل الآخر مثله .

(١٩٩) غناء : منعمة ودفع مكروه عنه وجلب فائدة .
 (٢٠٠) له اليها عَجَلَة : المراد بالعجلة هنا ، جذع النخلة ، كانوا يتقرون في مواضع منه تقرأ بعضها فوق بعض ، ثم يحملونه كالسلم يصعدون عليه الى الغرف والاماكن العالية .
 (٢٠١) استلوا فيها : علوا وارفعوا ، وتقول : استند فلان في الجبل ، اذا علا فيه وارفع .

فقالوا : « ناس من العرب نلتمس الميرة » ، فقالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه ! » . ودخلوا على ابن أبي الحقيق وأغلقوا عليه وعليهم الحجرة خوفاً أن تكون دونه مجأولة (٢٠٢) ، وابتدروه وهو على فراشه بأسياهم وقتلوه (٢٠٣) .

وفي غزوة (المريسع) تراحم أحد المهاجرين مع أحد الأنصار على الماء ، فاقتتلا ؛ فصرخ المهاجري : يا معشر المهاجرين ! وصرخ الأنصاري : يا معشر الأنصار ! فغضب عبد الله بن أبي بن سلؤل وقال : « أو قد فعلوها ؟ ! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدتنا وجلايب قريش (٢٠٤) هذه إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك (٢٠٥) . أما والله لن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (٢٠٦) .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لا بد فاعلاً فمروني به فأنا أحمل اليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل أبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ، فأدخل النار » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل نترفتي به ونحسن صحبته ما بقي معنا » (٢٠٧) .

(٢٠٢) المجاورة : الحركة تكون بينه وبينهم .

(٢٠٣) سيرة ابن هشام (٢/٣١٤ - ٣١٥) .

(٢٠٤) جلايب قريش : لقب كان المشركون يلقبون به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة .

(٢٠٥) سمن كلبك يأكلك : مثل من أمثال العرب ، وفي ضده تقول جوع كلبك يتبعك .

(٢٠٦) سيرة ابن هشام (٢/٣٣٤) .

(٢٠٧) سيرة ابن هشام (٢/٣٣٦ - ٣٣٧) .

وفي رواية ، أن عبد الله هذا ، تقدم الناس حتى وقف لأبيه على الطريق ، فلما رآه أناخ به وقال : « لا أفارقك حتى ترعم أنك الدليل ومحمد العزيز » ، فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دعه ، فلعمرى لنحسن صحبته ما دام بين أظهرنا ! » (٢٠٨) .

وبعث قريش عروة بن مسعود الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة (الحديبية) ، فجعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه . وكان المغيرة بن شعبه الثقفي واقفاً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، فقال لعروة : « أكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل اليك » ؛ فقال عروة : « ويحك ! ما أفظك وأغلظك !! » ؛ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : « من هذا يا محمد ؟ » فقال : « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه » (٢٠٩) .

وكان في صلح (الحديبية) نص : « من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم » (٢١٠) ؛ فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حبس بمكة ؛ فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم ، فقلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير ! إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن

(٢٠٨) طبقات ابن سعد (٢/٦٥) .

(٢٠٩) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٢) .

(٢١٠) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٦) وطبقات ابن سعد (٢/٩) .

الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ؛ فانطلق الى قومك » ، فقال أبو بصير : « يا رسول الله ! أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ ! » فقال : « يا أبا بصير ! انطلق ، فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً » ؛ فانطلق معهما ، حتى إذا كان (بذي الحليفة) جلس الى جدار ، وجلس معه صاحبه ، فقال : أبو بصير « أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ » فقال : « نعم ! » ؛ فقال : « أنظر اليه ؟ » ؛ فقال : « انظر إن شئت » ؛ فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله . وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه طالماً قال : « إن هذا الرجل قد رأى قرعاً » ، فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويحك ؟ ! مالك ؟ ! » ؛ فقال : « قتل صاحبكم صاحبي » . وطلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ! وقّتْ ذمتك ، وأدّى الله عنك . أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أفتنن فيه أو يُعَبِّث بي » . ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل أمه محش حرب (٢١١) لو كان معه رجال » . وخرج أبو بصير حتى نزل (العيص) من ناحية (ذي المروة) على البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها الى الشام ؛ وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » ؛ فخرجوا الى أبي بصير بالعيص ، فاجتمع اليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، فضيقوا على قريش : لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها ؛ حتى كتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢١٢) .

(٢١١) محش حرب : أي أنه يؤقد الحرب ويهيجها ويشعل نارها . تقول : حش فلان النار ، إذا أوقدها وجمع لها الخطب .

(٢١٢) سيرة ابن هشام (٣/٣٧٢ - ٣٧٣) .

وفي غزوة (مؤتة) التقى المسلمون بجموع (هيراقل) من الروم والعرب ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم (٢١٣) ؛ فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل بها ، حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له (٢١٤) شقراء فعفرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها

طية وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها

كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها

عليّ إذ لاقيتها ضرابها (٢١٥)

وكان جعفر قد أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه (٢١٦) حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة (٢١٧) ؛ فوجد في جسمه بضع وتسعون من طعنة ورمية كلها فيما أقبل من جسمه (٢١٨) .

ولما استشهد جعفر ، أخذ عبد الله بن رَوَاحَة الراية ، فتقدم بها وهو على فرسه وهو يقول :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّه

لتنزلنَّ أو تُكرهنَّه

(٢١٣) شاط في رماح القوم : أي هلك . تقول : شاط الرجل ، اذا سال دمه فهلك .

(٢١٤) اقتحم عن فرس له : أي رمى بنفسه عنها ، يريد أنه كان فارساً فترجل .

(٢١٥) سيرة ابن هشام (٤٣٣/٣ - ٤٣٤) .

(٢١٦) احتضنه : أخذه في حضنه . وحضن الرجل : ما تحت العضد الى أسفل .

(٢١٧) سيرة ابن هشام (٣٤٣/٣) .

(٢١٨) الاصابة (٢٤٨/١) .

إن أَجْلَبَ النَّاسُ وشَدَّوْا الرِّثَّةَ
 مالي أراك تَكْرهين الجنة ؟ (٢١٩)
 قد طالما قد كنتِ مطمئنة
 هل أنتِ الا نطفة في شنة (٢٢٠)
 ثم قال أيضاً :

يا نفسُ إلا تَقْنَلِي تموتي
 هذا حِمام الموت قد صليتِ
 وما تَمَنَيْتِ فقد أعطيتِ
 إن تفعلي فعلهما هديتِ
 يريد صاحبيه : زيداً وجعفرأ ؛ ثم أخذ سيفه فتقدم وقاتل حتى قتل (٢٢١) .
 وأخذ الراية ثابت بن أرقم ، فقال : « يا معشر المسلمين ؟ اصطَلَحُوا
 على رجل منكم » ، فقالوا : « أنت ! » ، فقال « ما أنا بفاعل ! » ؛
 فاصطَلَحَ الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشي (٢٢٢)
 بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس (٢٢٣) .

- ١٣ -

وقاد عكاشة بن مِحْصَنَ الأَسدي سرية من المسلمين الى (الغمر)
 غمر مرزوق ، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من (فَيْد) طريق الأول
 الى المدينة (٢٢٤) ؛ وعكاشة أسدي ولكنه هاجم قومه بني أسد .

(٢١٩) أَجْلَبَ النَّاسُ : صاحوا واجتمعوا . والرثة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .

(٢٢٠) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : القرية القديمة .

(٢٢١) سيرة ابن هشام (٤٣٤/٣ - ٤٣٥) .

(٢٢٢) حاشي : من المحاشاة .

(٢٢٣) سيرة ابن هشام (٤٣٥/٣) .

(٢٢٤) طبقات ابن سعد (٨٤/٢) .

وقاد أبو العوجاء السلمي سرية من المسلمين ليقاتل قومه بني سليم ،
فدغاهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لدعوته ، فقاتلهم (٢٢٥) .

وقاد الطفيل بن عمرو الدوسي سرية من المسلمين ليهدم (ذا الكفين)
صنم عمرو بن حنمة الدوسي ، فخرج الطفيل سريعا الى قومه وهدم (ذا
الكفين) وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حششت النار في فؤادكا (٢٢٦)

وقاد الضحاك بن سفيان الكلابي سرية من المسلمين ليقاتل قومه بني
كلاب ، فدغاهم الى الاسلام فأبوا ، فقاتلهم وهزمهم (٢٢٧) .

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة الثقفي الى (اللات)
وكان سدنتها من ثقيف ، فهدهما المغيرة وحرقها بالنار (٢٢٨) .

وكانت قوات المسلمين في غزوة (الفتح) عشرة آلاف رجل (٢٢٩)
تألف من المهاجرين والأنصار ومسلمي أكثر القبائل العربية يومذاك :
سبعمائة من بني سليم ، وألف من مزينة ، وأربعمائة من بني غفار ، وأربعمائة
وألف من بني جهينة ، وعدد من تميم وأسد وقيس وغيرها من القبائل
الأخرى (٢٣٠) ؛ فلم يتردد المهاجرون في مهاجمة بلدهم الحبيب : مكة
المكرمة ومعهم قوات القبائل العربية الأخرى على الرغم من وجود أهلهم

(٢٢٥) طبقات ابن سعد (١٢٤/٢) .

(٢٢٦) طبقات ابن سعد (١٥٧/٢) وسيرة ابن هشام (٤١٠/١) .

(٢٢٧) طبقات ابن سعد (١٦٢/٢ - ١٦٣) .

(٢٢٨) كتاب الامتناع للكلبي ص (١٦ - ١٧) .

(٢٢٩) الرسول القائد ص (٢٢٦) . الطبعة الثانية .

(٢٣٠) الرسول القائد ص (٢٣٦ - ٢٣٧) الطبعة الثانية .

وأموالهم فيها .

وقبل الحركة الى هذه الغزوة ، خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ! ما أدري ، أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ ! » ، فقالت : « بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فقال : « والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر » (٢٣١) .

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرّ الظّهْران) قبل أن يدخل مكة ، ركب أبو سفيان خلف العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، في عجز بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال العباس : « فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام الي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ! ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وركضت البغلة ، فسبقتة بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلاضرب عنقه ! فقلت : يا رسول الله ! إني قد أجرتة ... ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت : والله لا يتاجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر في شأنه قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله أن لو كان من رجال بني عدي

(٢٣١) سيرة ابن هشام (١٢/٤ - ١٣) .

ابن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ! فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب اليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي ، إلا أنّي قد عرفت ان إسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم » (٢٣٢) .

- ١٤ -

لقد قرن الاسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفاتحون) (٢٣٣) . (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم) (٢٣٤) . (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، والله ميراث السموات والارض) (٢٣٥) . (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) (٢٣٦) . (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) (٢٣٧) .

بل يلاحظ في تلك الآيات الكريمة ، أن المال يقدم على النفس دائماً ، مما يدل على أهمية الجهاد بالمال .

لقد أنفق المسلمون الأولون من العرب أموالهم في سبيل الله : انفق ابو بكر الصديق جميع ماله ، وكان له أربعون ألفاً أنفقها كلها على رسول الله

(٢٣٢) سيرة ابن هشام (٢١/٤ - ٢٢) .

(٢٣٣) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٧٤) .

(٢٣٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٦١) .

(٢٣٥) الآية الكريمة من سورة الحديد (٥٧ : ١٠) .

(٢٣٦) الآية الكريمة من سورة الصف (٦١ : ١١) .

(٢٣٧) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٥) .



صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ، وقد اعتق سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال بن رباح (٢٣٨) ؛ وانفق عمر بن الخطاب نصف ماله (٢٣٩) .

وانفق عثمان بن عفان أموالاً طائلة : جهّز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً وأتمّ الألف بخمسين فرساً (٢٤٠) ؛ ولما قدم المهاجرون المدينة استذكروا الماء ، وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها : (رومة) وكان يبيع منها القرية بمسّد ، فاشترها عثمان بخمسين وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين (٢٤١) .

وكان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون اليه الخراج ، فما كان يدخل منها بيته درهم واحد : كان يتصدّق بذلك كله . وباع داراً له بستمئة ألف ، فقليل له : « يا أبا عبد الله ! غُيبت ! » ، فقال : « كلا ! والله لتعلمنّ لم أغبن ... هي في سبيل الله » (٢٤٢) .

وباع عبد الرحمن بن عوف أرضاً من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار ، فقسّم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمّهات المؤمنين . وتصدّق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله : أربعة آلاف ؛ ثم تصدّق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ؛ ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله ؛ وقد وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤٣) .

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص عام حجة الوداع ، فقال سعد : يا رسول الله ! إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، ولا يرثني

(٢٣٨) الرياض النضرة (١١٦/١) .

(٢٣٩) الرسول القائد (٣٢٢) الطبعة الثانية .

(٢٤٠) الرياض النضرة (١١٨/٢) .

(٢٤١) الرياض النضرة (١٢٢/٢) .

(٢٤٢) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) .

(٢٤٣) الرياض النضرة (٣٨٥/٢) .

الا ابنة ، أفأتصدق بكل مالي ؟ » فقال : « لا ! » ، فقال : « فالشطر يا رسول الله ! » ، قال : « لا ! » ، فقال له : « فالثلث ؟ » ، فقال : « الثلث ، والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تدعهم عائلة يتكففون الناس » (٢٤٤) .

لقد أتعب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من يريد التأسي بهم من المسلمين ، فأين تضحياتهم - حتى بأبسط ضرورات الحياة وإيثار عقيدتهم بكل جهودهم وبأموالهم وأرواحهم - من دعاوى المصلحين وأصحاب المثل العليا في القرن العشرين ؟ ... أين ...

لقد تأسى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به في حياته : ببذله السخي وتضحياته الفذة وجهاده الرائع ، فكيف كانت أعمالهم بعد التحاقه صلوات الله وتسليمه عليه بالرفيق الاعلى ؟؟

- ١٤ -

ومات النبي صل الله عليه وسلم ، فارتد أكثر العرب إلا أهل المدينة ومكة والطائف (٢٤٥) . واستخلف أبو بكر رضي الله عنه ، فقال عمر ابن الخطاب لأبي بكر : « كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ؛ فمن قال لا إله إلا الله ، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ؟ » ؛ فقال أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ؛ والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها » (٢٤٦) .

(٢٤٤) الرياض النضرة (٤٠٦/٢) .

(٢٤٥) تاريخ أبي الفدا (١٥٢/١) وابن الاثير (١٢٣/٢) .

(٢٤٦) الرياض النضرة (١٢٩/١) .

وخرج أبو بكر بنفسه شاهراً سيفه راكباً راحلته لقتال أهل الردة ، فجاء علي بن أبي طالب وأخذ بزمام راحلته وقال : « أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم (أحد) : شِم (٢٤٧) سيفك لا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة ؛ والله لئن أصبنا بك لا يكون بعدك نظام أبداً » (٢٤٨) .

لقد صمد أبو بكر الصديق صموداً عجيباً أمام تيار المرتدين الجارف ، وقاوم بصبر وعناد وإيمان كل فكرة لمهادنتهم ، فعمّز الله لأبي بكر على قتالهم ، ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المحلية ، فأما الخطة المخزية فأن يقرّوا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل من المسلمين في الجنة ؛ وأما الحرب المحلية فأن يخرجوا من ديارهم ... لقد تضرّمت الأرض ناراً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً (٢٤٩) ... ونجم النفاق ، وشرأبت اليهود والنصارى ، وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية (٢٥٠) ؛ فنجح أبو بكر في صموده العنيد في إعادة وحدة العرب تحت راية الاسلام ، تلك الوحدة التي جاهد الرسول القائد كل حياته من أجلها ، فكانت حياته كلها جهاداً من أجل الوحدة وتوحيداً من أجل الجهاد .

وفي معركة اليمامة ، كانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، فقالوا : « نخشى علينا من نفسك شيئاً ! » ، فقال : « بشئ حامل القرآن أنا إذا ! » (٢٥١)

واحتدم القتال في هذه المعركة بين المسلمين من جهة وبين المرتدين من

(٢٤٧) شِم سيفك : أي اغمده . ويقال : سلّه ، وهو من الأضداد .

(٢٤٨) الرياض النضرة (١٣٠/١) .

(٢٤٩) انظر ابن الاثير (١٣٠/٢) .

(٢٥٠) انظر الطبري (٤٦١/٢) .

(٢٥١) الطبري (٥٠٩/٢) .

أصحاب مسيلمة الكذاب من جهة أخرى فقال ثابت بن قيس : « بشما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين » ؛ ثم جالده بسيفه حتى قتل .

وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم : « لا تحوز بعد الرحال » ، ثم قاتل حتى قتل .

وقام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك ، وكان إذا حضر الحرب أخذته العرواء (٢٥٢) حتى يقعد عليه الرجال وهو ينتفض تحتهم حتى يبول في سراويله ، فاذا بال يثور كما يثور الأسد ؛ فلما رأى ما صنع الناس أخذه الذي كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلما بال وثب وقال : « أين يا معشر المسلمين ! أنا البراء بن مالك ... هلمّ اليّ » ... وزحف المسلمون حتى أبلجوا المرتدين إلى حديقة الموت وفيها مسيلمة الكذاب ، فقال البراء : « يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة ! » ، فقال الناس : « لا نفعل يا براء ! » ، فقال : « والله لتطرحنني عليهم فيها » ، فاحتمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة حتى فتحها للمسلمين (٢٥٣) .

وقال زيد بن الخطاب قبل استشهاده : « لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتي ! عَضُّوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً » .

وقال ثابت بن قيس : « يا معشر المسلمين أنتم حزب الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه ... أروني كما أريكم ! » .

وقال أبو حذيفة : « يا أهل القرآن ! زينوا القرآن بالفعال » . وحمل

(٢٥٢) العرواء : اعتراه أي غشيه ، أي يقع منشياً عليه .

(٢٥٣) الطبري (٥١١/٢) .

خالد بن الوليد وقال لحماته : « لا أوتين من خلفي » حتى كان بجبال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة (٢٥٤) .

وفي معركة اليرموك ، قاتلت النساء في جولة ، فخرجت جويرة بنت أبي سفيان في جولة وكانت مع زوجها ، فقالت قتالاً شديداً (٢٥٥) .

وفي معركة (الجسر) بين العرب المسلمين وبين الفرس ، جعلت الفيلة لا تحمل على جماعة من المسلمين إلا دفعتهم ، فتأدى أبو عبيد بن مسعود الثقفي قائد جيش المسلمين : « احتوشوا الفيلة وقطعوا بطنها واقلبوا عنها أهلها » ؛ ثم واثب هو الفيل الأبيض وتعلق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه ، ولكن الفيل أهوى لأبي عبيد فنضح مشفراً بالسيف فاتقاه الفيل بيده ، فوقع أبو عبيد فخطبه الفيل وقام عليه (٢٥٦) ، فمات أبو عبيد شهيداً .

وتتابع بعد أبي عبيد سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت .. ثم أخذ المثنى بن حارثة الشيباني اللواء ، فحمى الناس ونادى : « يا أيها الناس ! أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ، فإننا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم » ، فعبر الناس (٢٥٧) .

وفي معركة (القادسية) قالت امرأة من النخع لبنيتها الأربعة الذين شهدوا (القادسية) : « إنكم أسلمتم فلم تبدلوا ، وهاجرتم فلم تهربوا ، ولم تنب بكم البلاد ، ولم تقحمكم السنة ؛ ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس ... والله إنكم لبنو رجل واحد ، كما إنكم بنو امرأة واحدة : ما خنت أباكم ، ولا فضحت حالكم ... إنطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره » ، فأقبلوا يشتدون (٢٥٨) .

(٢٥٤) الطبري (٥١٣/٢) .

(٢٥٥) الطبري (٥٩٧/٢) .

(٢٥٦) الطبري (٦٤١/٢) .

(٢٥٧) الطبري (٦٤٢/٢) .

(٢٥٨) الطبري (٥٣/٣) .

وفي هذه المعركة أيضاً ، كان أبو محجن الثقفي (٢٥٩) في السجن قد قيد وحبس في مقر سعد بن أبي وقاص ، فصعد الى سعد حين أمسى يستغفیه ، فردّه سعد ، فأتى سلمی بنت خصفة زوج سعد ، فقال : « يا سلمی ! يا بنت آل خصفة ! هل لك الى خير ؟ ! » ؛ فقالت : « وما ذاك ؟ ! » فقال : « تخلین عني وتعیریني البلقاء (٢٦٠) ، فله عليّ إن سامني الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي ! » ، فقالت : « وما أذا وذاك ؟ ! » ، فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كفى حزنًا أن تردّي الخيل بالقسا وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمت عنائي الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد تصمّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألاّ أزور الحوانيا (٢٦١) .

فلمت سمعت سلمی ذلك رقت له فخلّت سبيله وأعطته الفرس ، فقاتل قتالاً عظيماً ، وكان يكبر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد ، وكان يقصف الناس قصفاً منكراً ؛ فمجب الناس منه وهم لا يعرفونه . ورآه سعد وهو فوق القصر ينظر الى القتال ، فقال : « لولا أن أبا محجن محبوس ، لقلت : هذا أبو محجن وهذه البلقاء تحته » ؛ فلما تراجع الناس عن القتال عاد الى القصر وأدخل رجله في القيد ، فأعلمت سلمی سعداً خبر أبي محجن ، فأطلقه وقال : « اذهب ... لا أحدك أبداً » ؛ فتاب أبو محجن حينئذ وقال : « كنت آف أن أتركها — يريد الحمرة — من أجل الحد (٢٦٢) ، فوالله لا أشربها أبداً » (٢٦٣) .

(٢٥٩) اسمه عمرو بن حبيب بن عمرو الثقفي .

(٢٦٠) البلقاء : اسم فرس سعد بن أبي وقاص .

(٢٦١) الطبري (٥٦/٣) .

(٢٦٢) أسد الغابة (٢٩١/٥) .

(٢٦٣) الإصابة (١٧٠/٧) والاستيعاب (١٧٤٨/٤) .

وفي (القادسية) أيضاً ، تكبد المسلمون خسائر فادحة بالأرواح من جراء هجوم الفيلة عليهم ، فأرسل سعد الى المسلمين من الفرس وسألهم عن الفيلة : « هل لها مقاتل ؟ » ، فقالوا : « نعم . المشافر والعيون ، لا ينتفع بها بعدها » ، فأرسل الى القعقاع بن عمرو التميمي وأخيه عاصم بن عمرو التميمي . وقال لهما : « اكفياني الفيل الأبيض » ، وكانت الفيلة كلها آلفة له ، وكان بازائهما ؛ فأخذ القعقاع وعاصم رحلين أصمّين لبّنين ، ودبا في خيل ورجل ، فقالا : « اكتفوه لتحيروه » ؛ ثم وضعاً رجليهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، فنفض الفيل رأسه وطرح سائسه ودلى مشفره ، فنفضه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه (٢٦٤) .

وحين عزم سعد بن أبي وقاص على فتح (المدائن) عاصمة كسرى ، جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليه معه وهم يخلصون اليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤثتوا منه ، فقد كفاكموهم أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذادتهم ؛ وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل ان تحصركم الدنيا . ألا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم » ؛ فقالوا جميعاً : « عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل » ؛ فندب سعد الناس الى العبور قائلًا : « من يبدأ ويحمي لنسا الفراض (٢٦٥) حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟ » ، فانتدب له عاصم بن عمرو التميمي ذو البأس وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات ، فاستعمل عليهم عاصمًا (٢٦٦) .

وسار عاصم فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة وقال : « من ينتدب

(٢٦٤) الطبري (٦٢/٣) .

(٢٦٥) الفراض : جمع فريضة . والفريضة المكان الذي يحتله الجنود في الضفة الثانية من النهر لحماية عبور الجنود الآخرين الى تلك الضفة .

(٢٦٦) الطبري (١١٩/٣ - ١٢٠) .

معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟» ، فانتدب له ستون جعلهم نصفين على خيول إناث وذكرور ليكون أساس العوم الخيل ، ثم اقتحموا دجلة واقتحم بقية السمنة على أثرهم ؛ فلما رأهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعداً مثلها ، فاقتحموا عليهم دجلة وأغاموها اليهم ، فلقوا عاصماً في الخيل متقدمة وقد دنا من الفراض ، فقال عاصم : « الرماح .. الرماح ! أشرعوها وتوخوا العيون ، فالتقوا ، فاطعنوا ... » ، فقتل المسلمون عامتهم ونجا من نجا منهم عوراناً (٢٦٧) .

ولما رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها ، أذن للناس في الاقتحام ، وقال : « قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ... حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزم من عدوه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » . وتلاحق الناس في دجلة ، وإنهم يتحدثون كما يتحدثون في البر ... ثم خرجوا منه ولم يفقدوا شيئاً ، إلا ان مالك بن عامر العبزي سقط منه قدح ، فقال : « والله ؛ إني لعلی حالة ما كان الله ليسلبي قدحي من بين العسكرين » ؛ فلما عبروا ألقتهم الريح الى الشاطئ ، فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه (٢٦٨) .

وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال وهي كتيبة عاصم ثم الكتيبة الخرساء وهي كتيبة أخيه القعقاع بن عمرو التميمي ، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً يخشونه . ونزل سعد القصر الأبيض ثلاثاً واتخذ إيوان كسرى مصلى دون أن يغير ما فيها من تماثيل ، وقرأ في صلاة الفتح حين صلى في إيوان كسرى : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ؛ كذلك وأورثناها قوماً آخرين) (٢٦٩)

(٢٦٧) الطبري (١٢٠/٣) .

(٢٦٨) ابن الاثير (١٩٨/٢) والطبري (١٢٢/٣) .

(٢٦٩) الآيات الكريمت من سورة الدخان (٤٤ : ٢٥ - ٢٨) .

وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن (٢٧٠).

وزحف البراء بن مالك أخو انس بن مالك في معركة فتح (تُسْتَر) (٢٧١) بين العرب وبين الفرس ، مائة زحفاً استشهد في آخرها بعد أن دعا ربه قائلاً : « اللهم اهزمهم لنا واستشهدني » (٢٧٢).

وفي معركة (نهاوند) قاتل النعمان بن مقرن المزني قائد المسلمين حتى استشهد ، فتناول الراية أخوه نعيم بن مقرن المزني قبل أن تقع وسجى النعمان بثوب وكم مصاب أخيه (٢٧٣) ، حتى لا يؤثر موته على معنويات رجاله . وقاتل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي الترك في (بلنجر) (٢٧٤) حتى استشهد فأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة الباهلي ، فنادى المناادي : « صبراً آل سلمان بن ربيعة » ، فقال سلمان : « أوترى جزعاً ؟ ! » (٢٧٥) وأعاد الكرة سلمان على الترك في منطقة (بلنجر) أيضاً ، فاستشهد هناك (٢٧٦).

وفي (قَالِيْقَلَا) (٢٧٧) حشد الروم حشوداً هائلة لقتال المسلمين وعلى رأس الروم قائدهم الكبير (الموريان) ، فأجمع حبيب بن مسْلَمَة الفهري أن يبيت (الموريان) قائد الروم ! وسمعته امرأته يذكر ذلك ، فقالت له : « وأين موعدك ؟ » ، فقال : « سراق موريان أو الجنة ! » ،

(٢٧٠) ابن الاثير (١٩٩/٢) .

(٢٧١) تَسْر : أعظم مدينة بخوزستان من أرض إيران . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) .

(٢٧٢) الطبري (١٨١/٣) .

(٢٧٣) الطبري (٢١٧/٣) .

(٢٧٤) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة الباب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٨/٢) .

(٢٧٥) الطبري (٢٣٨/٣) و (٣٥٠/٣) وابن الاثير (٥٠/٣) .

(٢٧٦) البلاذري ص (٢٠٦) والاستيعاب (٦٣٣/٢) .

(٢٧٧) قَالِيْقَلَا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧/٧) .

ثم بيّتهم وقتل من صادفه في طريقه . وأتى حبيب السراشق فوجد امرأته قد سبقته إليها (٢٧٨) .

واستعمل معاوية بن أبي سفيان على البحر حين كان على الشام أيام عثمان ابن عفان عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة ، فغزا خمسين غزاة بين شامية وصائفة في البحر ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب ، وكان يدعو الله ان لا يتليه بمصاب أحد من (جنده) ؛ وقد استشهد وحده بعد أن هجم عليه العدو فقاتلوه وقتلهم (٢٧٩) .

وحاصر مسلّمة بن عبد الملك حصناً من حصون الروم ، فندب الناس الى نقب فيه فما دخله أحد ؛ فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتح الله عليهم ، فنادى مسلمة : « أين صاحب النقب ؟ » ، فما جاءه أحد ! فنادى : « إني أمرت الأذن بادخاله ساعة يأتي ، فعزمت إلاّ جاء ! .. » ؛ فجاء رجل فقال : « استأذن لي على الأمير » ، فقال له : « أنت صاحب النقب ؟ » ، فقال : « أنا أخبركم عنه » ، فأذن له .

وقال الرجل للأمير : « إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً : ألاّ تسودوا اسمه في صحيفة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو ! » ، فقال مسلمة : « ذلك له » ؛ فقال الرجل : « أنا هو ! » ؛ فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : « اللهم اجعاني مع صاحب النقب » (٢٨٠)

- ١٥ -

وليس من شك ، أن العرب أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي أيام

(٢٧٨) الطبري (٣/٣٠٩) والبلاذري ص (٢٠١) واسم امرأة حبيب أم عبد الله بنت يزيد الكلبيّة .

(٢٧٩) الطبري (٣/٣١٧) .

(٢٨٠) انظر مقال : الحرب الاجتماعية في الاسلام في مجلة ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم الصادر سنة ١٤٥١ .

الفتح على عهد الشيخين : أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، لم يكونوا في مدينتهم وحضارتهم مثل الفرس والروم ، وحتى العرب المناذرة الذين كانوا يسكنون العراق والعرب الغساسنة الذين كانوا يسكنون أرض الشام كانوا أرقى مدينة وأعرق حضارة من العرب المسلمين الذين جاءوا من الجنوب : من نجد والحجاز واليمن .

لقد كان أولئك العرب المسلمون من أهل شبه الجزيرة العربية بعيدين غاية البعد عن أبسط مظاهر الحضارة والمدينة ؛ ولكنهم انتصروا على أصحاب المدينيات العريقة والحضارات التليدة بإيمانهم العميق ... لإيمانهم بما جاء به الاسلام عقيدة وعملا .

ففي معركة (أليس) (٢٨١) بين الفرس بقيادة جابان وبين العرب بقيادة خالد بن الوليد ، أعجل خالد الفرس عن طعامهم الذين كانوا قد بسطوه ، فلما انهزم الفرس وقف خالد على الطعام وقال لرجاله : « قد نفلتكموه ، فهو لكم » ، فجلس المسلمون الى الموائد يتناولون عشاء شهياً رأى الكثيرون منهم فيه عجباً : رأوا الرقاق (٢٨٢) ولم يكونوا يعرفونه ، فجعلوا يقولون : « ما هذه الرقاق البيض ؟ ! » وجعل من عرفها ينجيهم مازحاً : « هل سمعتم برقيق العيش ! فهذا هو » ، لذلك سمي : الرقاق ، وكانت العرب تسميها : القري (٢٨٣) .

وفي معركة (القادسية) أصاب العرب المسلمون جراباً من كافور فحسبوه ملحاً لا يشكون أنه ملح ! فلما طبخوا جعلوا يلقونه في القدر فلا يجدون له طعماً ؛ فمر بهم احد العرب المستوطنين في العراق فقال : « يا معشر المعربين ! لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه ! هل لكم أن تأخذوا هذا القميص به ! » ؛ فأخذوه منه وأعطوا القميص رجلاً

(٢٨١) أليس : قرية من قرى الأنبار . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٨/١) .

(٢٨٢) نوع رقيق من الخبز .

(٢٨٣) الطبري (٥٦٢/٢) وابن الأثير (١٤٩/٢) .

منهم ، فلما لبسه جعلوا يطيفون به ويعجبون منه (٢٨٤) ... من القميص .
أما أسلحتهم فكانت على غاية البساطة أيضاً : رماحهم من مُرَّان (٢٨٥) ،
وأستهم من قرون البقر ، يركبون الخيل في الحرب أعراء ، فإن كان الفرس
ذا سرج فسرجه رحالة من أدم (٢٨٦) ، ولم يكن ذا ركاب ، والركاب
من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه ، وكان فارسهم يطعن بالقناة
الصماء بينما الجوفاء أخفّ حملاً وأشدّ طعنة ، وكانوا يفخرون بطول القناة
ولا يعرفون الطعن بالمطارد (٢٨٧) . وإنما القنا الطوال للرجالة والقصار
للفرسان ، وكانوا في ابتداء الفتح لا يعرفون الميمنة ولا الميسرة ولا القلب
ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفيضة (٢٨٨) ولا الدراجة (٢٨٩) ؛
ولا يعرفون من آلات الحرب الرتيلة (٢٩٠) ولا العرّادة (٢٩١) ولا المجانيق
ولا الدبابات ولا الخنادق ولا الحسك (٢٩٢) ؛ ولا يعرفون الأقبية (٢٩٣)
ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود (٢٩٤) ولا
التجافيف (٢٩٥) ولا الجواشن (٢٩٦) ولا الرمي بالمنجنقات ولا الزرق

(٢٨٤) الطبري (١٥/٣ - ١٦) .

(٢٨٥) المران : شجر تتخذ من فروعه رماح فيها صلابة ولدونة .

(٢٨٦) الأدم : الجلد غير المدبوغ ، وقد يطلق على المدبوغ أيضاً .

(٢٨٧) المطارد : جمع مطرد ، وهو الرمح القصير .

(٢٨٨) النفيضة : الجماعة المتقدمة التي تستطلع وجود العدو أو عدمه ، وتكون عادة من الفرسان .

(٢٨٩) الدراجة : آلة كالدبابة تعمل لحصار المدن .

(٢٩٠) الرتيلة : آلة تقذف الحصيات على العدو .

(٢٩١) العرّادة : آلة حربية تشبه المنجنيق .

(٢٩٢) الحسك : خناجر تصنع من الحديد الصلب لما شغب تفرز أنصبته في الأرض حول العسكر

حتى إذا دب العدو اليه أنشبت في أرجل الخيل أو الرجالة فتسببهم من الدنو .

(٢٩٣) الأقبية : ضرب من الثياب أخذتها العرب عن الفرس ، واحدها قباء .

(٢٩٤) البنود : جمع بند ، العلم الكبير .

(٢٩٥) التجافيف : جمع التجفاف - بكسر التاء - آلة يغطي بها الفارس والفرس في الحرب

الوقاية .

(٢٩٦) الجواشن : صدور الدروع ، وقد تطلق على الدرع كله .

باللفظ والنيران (٢٩٧) .

حقاً ، لقد كان العرب المسلمون متخلفين بمدنيتهم متأخرين بحضارتهم ، ضعفاء بمحالتهم الاقتصادية ، جهلاء بأساليب القتال المتطورة ، بعيدين عن الكمال في التسليح والتنظيم والتجهيز ، ولكنهم كانوا شجعاناً بالفطرة يحملون عقيدة سامية نذروا أنفسهم لخدمتها وإعلاء شأنها ونشرها بين الناس .

إن الأسباب التي قضت على الفرس والروم بالهزيمة أمام العرب المسلمين — كائنة ما كانت — ليست هي الأسباب التي قضت للعرب المسلمين بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لأن استحقاق أناس للزوال لا ينشئ لغيرهم حق الظهور والبقاء !

كذلك لم يكن انتصار العرب المسلمين على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى ، ولم تكن المسألة في لبابها كفاحاً بين الأجناس والعناصر بما لها من المزايا وما فيها من العيوب ؛ فقد كان في أرض الدولتين عرب كثيرون يدينون لهما بالطاعة وينظرون اليهما نظرة الاكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال أوفر من مقاتلة العرب المسلمين عدداً وأمضى سلاحاً وأقرب الى ساحات العراق وأرض الشام من أولئك النازحين اليها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام العرب المسلمين ، وهم كذلك أوفر في العدد والسلاح وأغنى بالخليل والإبل والأموال .

فهي نصره عقيدة لا مرأى ، ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول (٢٩٨) .

والواقع ، أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا أولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائها .

(٢٩٧) انظر البيان والتبيين للجاحظ (١٣/٣ - ١٦) .

(٢٩٨) انظر عبقرية خالد للعقاد ص (١٢٦ - ١٢٧) .

إن الاسلام عقيدة منشئة آمن بها وذاد عنها وحمل رسالتها شرقاً وغرباً
حماة قادرين .

فما عبرة كل ذلك للعرب في حاضرهم ومستقبلهم؟؟

- ١٦ -

أما العرب في حاضرهم فتفصل بين أقطار الوطن العربي الكبير سدود
وحدود ، عمل الاستعمار الحديث بكل طاقاته على تثبيتها وترسيخ أقدامها ،
كما عمل أذنانهم على تعميق وجودها والاستئصال في سبيل الإبقاء عليها .
أما العرب أنفسهم فلا انسجام فكري بينهم ولا عقيدة واحدة تعبر
عن أهدافهم .

فلمصلحة من تبقى السدود والحدود بين البلاد العربية ، ولفائدة من
تبقى الأهواء والنزعات بين العرب ؟

إن الوحدة العربية هدف حتمي ، يستمد مقوماته من وحدة (اللغة)
التي تحمل الثقافة والفكر ، ووحدة (التاريخ) التي تصنع الوجدان والضمير ،
ووحدة (الكفاح) الشعبي التي تقرّر وتوحّد المصير ، ووحدة (القيم)
الروحية والانسانية النابعة من رسالات السماء ، ووحدة المفاهيم الاجتماعية
والاقتصادية القائمة على الحرية والعدالة الاجتماعية (٢٩٩) .

إنّ وحدة البلاد العربية ليست مجرد أمل يراود الساسة ، بل هي حقيقة
تغلغل في طبيعة الأشياء ، إذ لا يمكن في هذا العصر الذي امتاز بتجمع الشعوب
وتكتّلها ، ان تبقى أقوام عربية متجاورة ، تربطها أواصر الدين واللغة
والجنس والتقاليد ووحدة المصلحة والشعور - متفرقة دون ان تتحد .
هذه الرقعة من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي ، عاشت دهرأ طويلاً

(٢٩٩) بيان تكوين الدولة العربية الاتحادية للجمهورية العربية المتحدة ص (١) طبعة بغداد .

في ظل راية واحدة : مزدهرة بحضارتها ، قوية باتحادها ، فلمصلحة من يتناثر هذا العقد النضيد ويتفرق بددا؟! المصلحة الأمة العربية وهي أمة واحدة في تفرقها الوهن وفي اتحادها القوة ؟ أم لمصلحة الحضارة العالمية ، وهذه الحضارة تحقق كسباً عظيماً من رجوع الحضارة العربية الى سابق عزّها التليد؟؟

والسبيل الى تحقيق الوحدة العربية ، هو إقامة هذه الوحدة على أساسات من المصالح الاقتصادية والمصالح السياسية .

أما المصالح الاقتصادية فواضحة ، فان البلاد العربية يكمل بعضها بعضاً : فيها السهل والجبل ، وفيها الأنهار والوديان ، وفيها المعادن والمناجم ، وفيها الأراضي الزراعية الخصبة ، وفيها جميع أسباب الانتاج متوفرة متكاملة .

أما المصالح السياسية فلا تقل وضوحاً عن المصالح الاقتصادية ، فجميع هذه البلاد تخضع لتيارات سياسية واحدة لا تستطيع التغلب عليها إلا بالتعاون والاتحاد . إن قوتها في أن تتجمع وتجاهد متحدة في الميدان الدولي لتكون مهية الجانب عالية الكلمة ، وإذا جاز لإنسان عاقل منصف ، أن يتصرّر أن البلاد الإيطالية كانت أقوى وهي دويلات متناثرة منها اليوم دولة واحدة أو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكسب شيئاً من اندماجها جميعاً في وحدة قومية قوية ، جاز عندئذ أن يقال : إن البلاد العربية يجب ان تبقى حيث هي دون أن تتحد !!

إن وحدة البلاد العربية آتية لا ريب فيها — رضىنا أم أبينا ، فهذه سنة الحضارة البشرية ؛ ونحن لا نملك من أمر هذه الوحدة إلا أن ننظم الاتجاه اليها ، فنسبّرها ونعجل بها (٣٠٠)

ولكن كيف يجري تطبيق الوحدة العربية بشكل رصين لا يخشى عليها من الرجآت والانتكاسات؟؟

(٣٠٠) من جواب الدكتور عبد الرزاق السنهوري لأحد الصحفيين .

يجب أن يشيع الانسجام الفكري في العرب أولاً وقبل كل شيء ، وذلك لأن الانسجام العقائدي يوحد الصفوف ويجمع الشمل ويبلور الاهداف الحيوية ، فتنتطق الأمة العربية من منطلق واحد نحو اتجاه معين وهدف واضح .

فما هي العقيدة التي تشيع في العقول الانسجام وتغمر القلوب بالنور؟؟ يقول بعض العرب : إنها العروبة فحسب ، ويقول بعض العرب : إنها الاسلام .

والحق أنه لا عروبة بدون اسلام ، ولا اسلام بدون عروبة ، فالعرب بالاسلام كل شيء ، والعرب بدون اسلام لا شيء !

ولا أعرف سبباً يبرر تطرف بعض العرب في عروبتهم فلا يرون الاسلام ضرورة من ضرورات الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها .

والعربي الحق هو الذي يدعو للاسلام أولاً ، لأن في دعوته للاسلام قوة ضخمة للعرب وتقديراً لهم واسناداً لقضاياهم ، فهل يفرط بدعم المسلمين من غير العرب مخلص للعروبة حقاً!! ...

- ١٧ -

لقد وردت إحدى وأربعون آية كريمة في سور مختلفة من سور القرآن الكريم عن العرب بالذات (٣٠١) منها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (٣٠٢) ، ومنها : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) (٣٠٣) ، ومنها : (فإنما يسترناه بلسانك لتبشّر به المتقين

(٣٠١) انظر كتاب تفصيل آيات القرآن الحكيم - جول لايوم ص (٥٦٦ - ٥٧١) .

(٣٠٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١١٠) .

(٣٠٣) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٤٣) .

وتنذر به قوماً لُدًّا» (٣٠٤) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكره العرب إلا منافق » (٣٠٥) .
كما جاء عن فضل العرب في كتب السنة أحاديث كثيرة (٣٠٦) منها :
« إذا ذلّ العرب ذلّ الاسلام » (٣٠٧) ، ومنها : « حبّ العرب ايمان
وبغضهم نفاق » (٣٠٨) ، ومنها : « أحب العرب لثلاث : لأنّي عربي ،
والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي » (٣٠٩) ، ومنها : « ألا من أحبّ
العرب فيحبّي أحبهم ومن أبغض العرب فيبغضي أبغضهم » (٣١٠) .

وقال الامام ابن تيمية : « إن العرب أفضل من جنس العجم .. » (٣١١) ،
وقال : « الأحاديث الواردة في فضل قريش كثيرة ، وهي تدل على فضل
العرب » (٣١٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « العرب مادة الاسلام » . وقيل
معركة (القادسية) ، قال عمر : « والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك
العرب » (٣١٣) .

وقال المغيرة بن شعبه الثقفي لرستم قائد الفرس : « إنا معشر العرب
لا نستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى .. » (٣١٤) .

(٣٠٤) الآية الكريمة من سورة مريم (١٩ : ٩٧) .

(٣٠٥) رواية الامام أحمد بن حنبل . انظر مفتاح كنوز السنة ص (٣٣٩) .

(٣٠٦) انظر الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (٦٩) .

(٣٠٧) رواه أبو ليلى في مسنده .

(٣٠٨) رواه الدارقطني عن ابن عمر .

(٣٠٩) رواه الحاكم والطبراني والبيهقي .

(٣١٠) رواه الطبري .

(٣١١) انظر كتاب الأحاديث النبوية في فضل الأمة العربية ص (١١) .

(٣١٢) انظر كتاب الأحاديث النبوية في فضل الأمة العربية ص (١١ - ١٢) .

(٣١٣) ابن الاثير (١٧٢/٢) .

(٣١٤) ابن الاثير (١٧٩/٢) .

وفي يوم (عمواس) من أيام القادسية هتف الأشعث بن قيس مشجعاً قومه :
« يا معشر العرب ! إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً على الموت
ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ؛ تنافسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزعوا من
القتل ، فانه أمانى الكرام ومنايا الشهداء (٣١٥) »

وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص بعد فتح (المدائن) حين
بعث يستأذنه في مطاردة الفرس وراء جبلهم (٣١٦) : « وددت لو أن
بيننا وبين (فارس) جبلاً من نار ؛ لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم » (٣١٧)
كما قال لأهل الكوفة : « وددت أن بينهم وبيننا جبلاً من نار : لا يصلون
إلينا منه ولا نصل إليهم » (٣١٨) ؛ فقد كانت سياسة عمر أن يقف بالفتح
في حدود العراق والشام لا يتعداهما ، وأن يجمع العرب بذلك في وحدة
تمتد من جنوب شبه الجزيرة الى شمال بادية السماوة . وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرص كل الحرص على تأمين شبه الجزيرة العربية وتخومها
حتى لا يعتدي الفرس والروم عليها ؛ وكانت هذه سياسة أبي بكر حين
أنفذ جيش أسامة بن زيد لقتال الروم على تخوم الشام كما أمر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان بالعراق والشام من قبائل العرب التي نزلت
من شبه الجزيرة وأقامت مملكة الحيرة ومملكة بني غسان من يمتون الى المسلمين
بأوثق الصلة (٣١٩) .

ولم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم الجزيرة من عرب شبه الجزيرة العربية
وهذا خلاف الحكم على غيرهم (٣٢٠) ، وقد ضاعف عمر بن الخطاب

(٣١٥) الطبري (٦٦/٣) .

(٣١٦) الفاروق عمر للدكتور هيكمل (١/٢) .

(٣١٧) ابن الاثير (٢٠٨/٢) والطبري (١٧٦/٣) .

(٣١٨) الطبري (١٧٦/٣) .

(٣١٩) الفاروق عمر (١/٢) .

(٣٢٠) الحراج لأبي يوسف ص (٧٠) .

رضي الله عنه الصدقة على نصارى بني تغلب - وكانوا يسكنون (الجزيرة)
بإزاء الروم - وأسقطت عنهم الجزية (٣٢١) ، فقد أراد عمر أن يأخذ منهم
الجزية فانطلقوا هاربين ، فقال النعمان بن زرة أو زرة بن النعمان لعمر :
« أنشدك الله في بني تغلب ، فأنهم قوم من العرب ، نائفون من الجزية ،
وهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يغن عدوك عليك بهم » ، فأرسل عمر
في طلبهم فردّهم وأضعف عليهم الصدقة (٣٢٢) .

وحتى الفقهاء أعطوا للعرب مكانتهم ، ففي بيان ما تعتبر فيه الكفاءة
في قضايا الزواج ، ذكروا أشياء منها النسب ، فقالوا : « والعرب بعضهم
أكفاء لبعض : رجل برجل ؛ والموالي أكفاء بعضهم لبعض : رجل برجل
لأن التفاخر والتعير يقعان بالانساب ، ولا تكون الموالى أكفاء للعرب لفضل
العرب على العجم (٣٢٣) » .

وقال السرخسي : « العرب بعضهم أكفاء لبعض ، فان فضيلة العرب
بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ونزول القرآن بلغتهم . قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : حبّ العرب من الايمان . وقال لسلمان الفارسي :
لا تبغضني ! قال : وكيف أبغضك وقد هداني الله بك !؟ قال : تبغض
العرب فتبغضني » (٣٢٤) .

وقال الزيلعي في قول الله عز وجل : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٣٢٥)
وفي قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي
إلا بالتقوى » قال : « المراد به في حكم الآخرة ، وكلامنا في الدنيا » (٣٢٦)

(٣٢١) الحراج ص (١٤٣) .

(٣٢٢) البلاذري ص (١٨٥ - ١٨٦) .

(٣٢٣) البدائع (٣١٩/٢) طبع سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣٢٤) السرخسي (٢٤/٥) مطبعة السعادة عام ١٣٢٤ هـ .

(٣٢٥) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .

(٣٢٦) الزيلعي (١٢٨/٢) طبعة بولاق عام ١٣١٣ هـ .

ولو أردنا أن نستقصي كل ما جاء عن العرب في أقوال أئمة المسلمين
لجئنا بأقوال لا تُعدّ ولا تُحصى .

- ١٨ -

أما الاسلام ، ففيه من عناصر القوة طاقات لا تنضب . وليست عناصر
قوة الاسلام مقصورة على جانب دون جانب ، وإنما تتناول جوانب الحياة
جميعاً : في الايمان بالله إيماناً يحرّر الضمير والوجدان ، وفي الاعتصام بالحق
اعتصاماً يزهق الباطل أمامه ويندحر ، وفي معرفة الضعف النفسي والتطهّر
منه حتى تأخذ النفس طريقها الى العزة والسمو الروحي ، وفي العلم المقوم
لشخصية الانسان والكاشف له عن حقائق الوجود المادي وما وراء هذا الوجود
من عالم ما وراء الطبيعة ، وفي الثروة وتعمير الأرض واستثمار قوى الكون
والانتفاع بما في الطبيعة من بركات الله وخيراته وتوزيعها على أفراد الأسرة
الانسانية بالكفاية (٣٢٧) والعدل ، وفي السلام العام القائم على احترام
الانسان وكفالة حقوقه ، وفي احترام العهود والحفاظ على المواثيق ، وفي
التضحية النبيلة والاستشهاد في سبيل الحق ومن أجل الحياة الحرة الكريمة .

هذه هي عناصر القوة في الاسلام ، وهي ليست مثل القوة التي اصطلح
الناس عليها ؛ فهي قوة في العقيدة ، وقوة في الخلق ، وقوة في العلم ،
وقوة في المال ، وقوة في التماسك الاجتماعي ، وقوة في التنظيم السلمي ؛
وقوة في الاستعداد الحربي ؛ وسيادة الأمة وقيادتها منوطة بتوفر هذه
القوى مجتمعة .

لقد كانت هذه القوى هي العامل الأساسي في نجاح العرب في أول
دور من أدوار حياتهم بعد الاسلام ، فما كادت تجتمع لها هذه العناصر
حتى آل اليهم ميراث الأرض ووضع في يدهم قياد الأمم ، ووكل اليهم

(٣٢٧) عناصر القوة في الاسلام - سيد سابق - ص (٣) .

إخراج الناس من عبادة الأوثان الى عبادة الله وحده ، ومن جور الحكام الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها .

وباجتماع هذه العناصر أصبح العرب المسلمون لهم دولة رفيعة البنيان ، عظيمة السلطان ، ثابتة الأركان ، وتمّ لهم وعد الله الذي لا يتخلف (٣٢٨) : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) . (٣٢٩)

فهل من مصلحة بعض العرب الذين يتطوفون للعروبة — والعروبة وحدها — أن يصرّوا على فكرتهم التي تزعم أن الاسلام ليس ضرورة من ضرورات الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها ؟

الجواب على ذلك واضح بسيط لكل ذي عقل ووجدان ، وهو : إن هذا الاتجاه في التفكير خطأ فاحش لا يفيد منه غير المستعمرين والشعوبيين وأصحاب المبادئ الهدامة من أعداء العرب والاسلام على حد سواء .

ولست أشك مطلقاً ، أن معنقي هذا الاتجاه من هؤلاء لا يخرجون عن كونهم إما جهلاء بمبادئ الاسلام وروحه ، حتى ولو كانوا يحملون الشهادات العالية ، ولكنهم لا يعرفون عن الاسلام شيئاً ولم يملأ نور الاسلام الصحيح فراغ أدمغتهم ، فالتجأوا الى المبادئ الوافدة شرقية أو غربية ليملأوا هذا الفراغ .

أو إنهم مغرّرون بهم ، اعتنقوا آراء أعداء العرب والاسلام وهم لا يقدرون خطرها على حاضر أمتهم ومستقبلها .

إن الذين يفهمون أن الإسلام عقيدة مادية تنطبق عليها المقاييس المادية

(٣٢٨) عناصر القوة في الاسلام ص (٤) .

(٣٢٩) الآية الكريمة سورة النور (٢٤ : ٥٥) .

كما تنطبق على المبادئ الوضعية ، مخطئون كل الخطأ أو مغرضون كل الغرض أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة .

والذين يفهمون أن الاسلام عقيدة روحية لا صلة لها بالمادة ولا بالحياة ، تتصل بالروى والمعجزات والحوارق ، مخطئون كل الخطأ أو مغرضون كل الغرض أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة .

إن الاسلام في صميمه عقيدة ترتكز على المادة كما ترتكز على الروح ، فهو دنيا وآخرة ، سيف وكتاب ، جسم وروح ، دولة ودين ، سياسة وتبطل ، إيمان بالعمل المادي من أجل الدنيا ، وإيمان بالعمل الروحي من أجل الآخرة ... إيمان بالحياة وإيمان بالغيب .

والذين يغرقون في محاولاتهم جعل الاسلام عقيدة مادية من عقائد القرن العشرين ، ينسون أن العقائد المادية للقرن التاسع عشر والقرون السابقة الأخرى ، أصبحت متخلفة في هذا القرن ؛ وأن المبادئ المادية لهذا القرن ستصبح متخلفة في القرن الواحد والعشرين والقرون التالية الأخرى ؛ فاذا زعم هؤلاء أنهم يحسنون صنعا الى الاسلام في محاولاتهم هذه يجعلهم الاسلام عقيدة (تقدمية) ، فعليهم أن يعلموا أنهم بهذا يسيئون اليه أبلغ الاساءة لأن محاولاتهم هذه ستجعل الاسلام عقيدة (رجعية) في القرون القادمة ... وهيئات !!!

والذين يغرقون في محاولاتهم جعل الاسلام عقيدة روحية ، كله خوارق ومعجزات ومغيبات يتجاهلون روح الاسلام كما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وفي التطبيق العملي لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه من بعده وحياة السلف الصالح بصورة عامة .

إن الاسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ في ضمير الفرد وينتهي في محيط الجماعة ؛ وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، يسيطر عليه روح المسجد الذي

هو محل للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم ...

إنه لا يقتصر على مهمة الأدعية وطققة المسابح وتمتمة التعاويذ ،
واتكال على أن تمطر السماء على الأرض صلاحاً وخيراً وحرية وعدلاً ؛
وما كانت السماء لتمطر شيئاً من هذا كله ، وما كان الله لينصر قوماً لا
ينصرون أنفسهم ولا ينفذون أوامره في الجهاد والكفاح !

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ، يمكن أن يمد للمستعمرين
يداً أو يقدم لهم عوناً أو يهادنهم يوماً أو يكفّ عن حربهم خفية وجهرأ ...
إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ، يمكن أن يدع الطغيان
والمظالم والعسف السافر يدبّ على هذه الأرض ويستعبد الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم أحراراً (٣٣٠) .

- ١٩ -

إن الوحدة العربية ، هي الخطوة العملية الأولى للوحدة الاسلامية ،
فقد وحدّ الاسلام العرب تحت راية الاسلام أولاً ، ثم عمل العرب المسلمون
على إقامة دولة الاسلام .

إن غاية الوحدة العربية السياسية ، هي تحقيق وحدة العرب ، ولمّ شملهم ،
وتحريرهم من كل القيود الداخلية والخارجية ، على حين أن الوحدة الاسلامية
تهدف إلى إقامة كيان عام يجمع المسلمين على اختلاف أفكارهم وأقوامهم ،
وجليّ من هذا ، أن الوحدة الاسلامية أشمل وأوسع مدى من الوحدة
العربية (٣٣١) ، ولكن من الواضح أيضاً أن الوحدة العربية هي الأساس
الواقعي للوحدة الاسلامية .

(٣٣٠) انظر مقال : الاسلام ومعركة الحياة .

(٣٣١) بحوث في القومية العربية ص (٦٢) .

ولكن ، هل بالامكان أن تتحقق الوحدة العربية بدون أن يشيع بين أبناء العرب الانسجام الفكري الذي تؤمنه العقيدة الراسخة ؟؟ وهل هناك عقيدة غير الاسلام ، بإمكانها أن تؤمن هذا الانسجام الفكري المتغلغل في أعماق العقول والقلوب معاً ؟؟

إن الانسجام الفكري أو بتعبير آخر ، الانسجام العقائدي ، هو الأساس لتوحيد الاتجاه الى هدف معين واضح المعالم ، والاسلام هو الذي أشاع هذا الانسجام بين العرب في الصدر الأول من تاريخهم بعد الاسلام ، فوحد صفوفهم وجمع كلمتهم وجعل منهم قوة ضاربة حققت للاسلام دولة ذات مكانة عالمية وكيان مرموق ، وهو — أي الاسلام وحده — يحقق لهم كل ذلك في حاضرهم ومستقبلهم .

« إن الشعب العربي الذي يعيش في المنطقة التي نزلت فيها رسالات السماء ، يؤمن برسالة الدين ، ويتخذ من القوة الروحية التي تزوده بها الأديان ، دافعاً للنضال الشعبي لتحقيق ذاته وبلوغ أهدافه ... »

« ويجب أن يثبت في تقديرنا ، أن الدين مقوم أساسي من المقومات التي يبني عليها المجتمع العربي حياته ومستقبله جنباً الى جنب مع كل المقومات المادية الأخرى التي يحرص عليها الدين ولا يعارضها (٣٣٢) »

إن القوة الدافعة التي يعطيها الإسلام للعرب ، والنور الذي يغمر قلوب المؤمنين به منهم ، فيجعلهم بضحوون بكل ثبات في سبيل مثلهم العليا ، والتعاليم السمحة (٣٣٣) التي تروّض أخلاقهم وتبدلها من حال الى حال (٣٣٤) والأسس المتينة في مبادئ الاسلام التي تقاوم الاستبداد السياسي (٣٣٥)

(٣٣٢) بيان تكوين الدولة الاتحادية ص (١١) طبعة بغداد .

(٣٣٣) انظر كتاب : التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام — محمد الغزالي . وكتاب : ساحة الاسلام ، للدكتور أحمد الخوفي .

(٣٣٤) انظر كتاب خلق المسلم — محمد الغزالي .

(٣٣٥) انظر كتاب : الاسلام والاستبداد السياسي — محمد الغزالي .

والتمييز العنصري والاستغلال والظلم ، كل ذلك يجعل هذا الدين ضرورة من ضرورات العرب في حاضرهم ومستقبلهم .

فلماذا نخشى (بعض) القوميين من هذا الدين على مسيرتهم ؟ إن الاسلام يدعم العرب في بلاد العرب وفي دار الاسلام ، ويجعل من العرب قوة هائلة كما جعل منهم قوة هائلة من قبل .

إن الاسلام صخرة صلبة عاتية ، والذي يحاول تحطيمه برأسه أو بأفكاره أو بادعاءاته ، لن يفعل شيئاً أكثر من أن تبقى الصخرة صامدة ولا يتحطم غير رأسه أو أفكاره أو إدعاءاته !

ولكن لمصلحة من نحاول إبعاد الاسلام عن ميدان التنظيم العقائدي ، ولولاه لما كان للعرب مجد ولا تاريخ .. !

وأي معنى للعرب بدون إسلام ؟؟ !!

- ٢٠ -

وبعد ، فهذا أثر الاسلام في العرب ، فهل يستطيع أن ينكر أحد من العرب وغيرهم فضله العظيم على العرب وعلى غيرهم من الناس (٣٣٦) ؟

(٣٣٦) نشرت الصحف يوم ١٣/٨/١٩٦٣ وأذاعت وكالات الأنباء يوم ١٢/٨/١٩٦٣ ما يلي : « أوصى مؤتمر المعلمين الذي اختتم أعماله في الجزائر أمس : بتنشئة الأجيال الصاعدة في الأمة العربية ، على الايمان بالقيم الروحية المستمدة من رسالات السماء ومن الثقافة العربية الأصيلة ، واتخاذها أساساً للسلوك والتعامل ؛ وتضمن المناهج الدراسية القدر المناسب من القرآن الكريم والحديث الشريف حفظاً ودراسة ، مع اعتباره مادة أساسية ؛ والاعتناء بالسلوك الديني في داخل المدرسة » . كما أوصى المؤتمر : « بالعمل على دعم الاعتزاز باللغة العربية الفصحى ، والايمان بدورها الكبير في حفظ التراث الحضاري والوجود القومي العربي ، والثقة بقدرتها على استيعاب العلوم والمعارف ؛ وكذلك العناية باللغة هربية و استقامتها على ألسنة التلاميذ . كذلك أوصى المؤتمر بالعناية بتدريس التراث الفكري العربي وقيمه الانسانية ، مع إبراز نواحي الابتكار في آراء الشخصيات العربية التي حققت هذا التراث العظيم في مختلف الميادين العلمية والفكرية ، والعناية بدراسة التاريخ العربي والاسلامي وإبراز فضل العرب على المدنية الانسانية وتوضيح سياسة العرب في القضايا القومية العالمية ، وإحياء الثقافة »

إن حاضر العرب ومستقبلهم يدعوهم الى الوحدة الشاملة لخيرهم
خير المسلمين وخير الانسانية كلها .

ولكن وحدتهم لن تكون قوية رصينة إلا إذا ساد أفكارهم الانسجام
العقائدي (٣٣٧) ، وإلا فستتناقض العقائد وتضطرع ، فلا يكون استقرار ،
ولا يكون اطمئنان .

وليس بامكان غير الاسلام أن يؤمن لهم هذا الانسجام .
إن الطريق واضحة للسالكين على هدى وبصيرة...إنها الوحدة تحت
راية الإسلام .

وصدق الله العظيم : « وكذلك انزلناه حكماً عربياً ، ولئن اتبعت
أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق » (٣٣٨) .

= العربية وبيان مكانتها وأثرها في الثقافة العالمية قديماً وحديثاً . وهذا هو الطريق السوي لاشاعة
الانسجام الفكري بين العرب : عروبة واسلام .

(٣٣٧) إن التمر الذي أصاب تنفيذ ميثاق ١٧ نيسان الموقود في القاهرة بين وفود مصر والعراق
وسورية لتكوين الدولة العربية الاتحادية ، سببه الأول هو عدم وجود الانسجام العقائدي بين
الأطراف الثلاثة المعنية ، ومن الواضح جداً أن هذا الانسجام لو كان موجوداً لما تمثر هذا الميثاق
الذي أصبح أمل مائة مليون عربي من المحيط الى الخليج ... لقد أدى التناقض العقائدي الى الريبة
والشك بين الأطراف المعنية ، فكان هناك بينهم أزمة ثقة من أول الأمر ، وكان بناء الميثاق على جرف
هار .

(٣٣٨) الآية الكريمة من سورة الرعد (١٣ : ٧) .

المصادر والمراجع

المصادر

أ - القرآن وعلومه

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفسير ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير - مطبعة المنار بمصر - ١٣٤٧ هـ .
- ٣ - تفسير البغوي - الامام البغوي - مطبعة المنار بمصر - ١٣٤٧ هـ - مطبوع في أدنى صحائف تفسير ابن كثير .
- ٤ - تفسير الكشاف - الامام أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري - المطبعة الأميرية ببولاق مصر - ١٣١٩ هـ - الطبعة الثانية .
- ٥ - تفسير البضاوي - القاضي أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي مطبعة - دار الكتب العربية الكبرى بمصر - ١٣٣٠ هـ .
- ٦ - تفسير المنار - السيد محمد رشيد رضا - مطبعة المنار بمصر - ١٣٢٥ هـ الطبعة الأولى .
- ٧ - تفسير الجلالين - جلال الدين محمد بن محمد المحلى وجلال الدين السيوطي - مطبعة الحجازي بالقاهرة - مطبوع على هامش القرآن الكريم .
- ٨ - في ظلال القرآن - سيد قطب - مطبعة دار احياء الكتب العربية .
- ٩ - التفسير الواضح - محمد محمود حجازي - مطابع دار الكتاب العربي بمصر - ١٩٥٨ م .
- ١٠ - فضائل القرآن - ابن كثير - مطبعة المنار بمصر - ١٣٤٧ هـ - في نهاية الجزء الثامن من تفسير ابن كثير .

- ١١- تفصيل آيات القرآن الكريم - جول لابوم - مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر - ١٣٤٢ هـ - الطبعة الأولى .
١٢- دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن - الحاج صالح ناظم - المطبعة الحميدية بمصر - ١٣٢٢ هـ .

ب - الحديث وعلومه

- ١٣- فتح الباري بشرح البخاري - ابن حجر العسقلاني - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر - ١٣٠١ هـ .
١٤- شرح النووي على مسلم - الإمام النووي - المطبعة الكستلية بمصر - ١٢٨٣ .
١٥- مسند الامام أحمد بن حنبل - المطبعة الميمنية بمصر - ١٣١٣ هـ .
١٦- سنن الامام ابن ماجة - الامام ابن ماجة - القاهرة - ١٣١٣ هـ .
١٧- مفتاح كنوز السنة - الدكتور فنسنت - مطبعة مصر - ١٣٥٢ هـ .

ج - السيرة والطبقات

- ١٨- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم - أبو محمد عبد الملك بن هشام - مطبعة حجازي بالقاهرة - ١٣٥٦ هـ .
١٩- عيون الأثر - ابن سيد الناس - مطبعة القدسي ومطبعة السعادة بمصر - ١٣٥٦ هـ .
٢٠- جوامع السيرة - ابن حزم - مطبعة دار المعارف بمصر .
٢١- السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي - المطبعة التجارية بمصر .
٢٢- طبقات ابن سعد - ابن سعد - دار بيروت ودار صادر في بيروت - ١٣٧٦ هـ .
٢٣- الاصابة في تمييز الصحابة - احمد بن علي الكناني العسقلاني - مطبعة دار السعادة بمصر - ١٣٢٣ هـ .

- ٢٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير - المطبعة الاسلامية بطهران - ١٣٧٧ هـ .
- ٢٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ابن عبد البر - مطبعة نهضة مصر .
- ٢٦ - أسماء الصحابة الرواة - ابن حزم - ملحق بجوامع السيرة - مطبعة دار المعارف بمصر .
- ٢٧ - أصحاب الفتيا - ابن حزم - ملحق بجوامع السيرة - مطبعة دار المعارف بمصر .
- ٢٨ - الأعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية .
- ٢٩ - تهذيب ابن عساكر - ابن عساكر - مطبعة روضة الشام - ١٣٢٩ هـ .
- ٣٠ - ذيل المذيل - الطبري - المطبعة الحسينية بمصر .
- ٣١ - صفة الصفوة - أبو فرج ابن الجوزي - حيدرآباد الدكن - ١٣٥٥ هـ .
- ٣٢ - حلية الأولياء - أبو نعيم الأصبهاني - طبع بمصر - ١٣٥١ هـ .
- ٣٣ - الرياض النضرة - المحب الطبري - مصر - ١٣٢٧ هـ .
- ٣٤ - تهذيب الأسماء واللغات - أبو زكريا النووي - المطبعة المنيرية بمصر .

د - التاريخ

- ٣٥ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي - مطبعة دار الكتب بمصر - ١٣٤٨ هـ .
- ٣٦ - تاريخ عمر بن الخطاب - ابن الجوزي - مطبعة محمد صبيح بالأزهر .
- ٣٧ - المعارف - ابن قتيبة - مطبعة دار الكتب بمصر - ١٩٦٠ م .
- ٣٨ - تاريخ الطبري - الطبري - مطبعة الاستقامة بمصر - ١٣٥٧ هـ .
- ٣٩ - ابن الأثير - ابن الأثير - مطبعة ذات التحرير بمصر - ١٣٠٣ هـ .
- ٤٠ - مروج الذهب - المسعودي - طبع على هامش الكامل في التاريخ - مطبعة ذات التحرير بمصر - ١٣٠٣ هـ .
- ٤١ - البدء والتاريخ - أبو زيد البلخي - مطبعة باريز - ١٨٩٩ م .

٤٢- شذرات الذهب - عبد الحميد بن العماد الحنبلي - مكتبة القدسي بمصر - ١٣٥٠ هـ .

٤٣- فتح مصر والمغرب - ابن عبد الحكم - لجنة البيان العربي بمصر .

٤٤- رياض النفوس - أبو بكر عبد الله المالكي - مكتبة النهضة بمصر - ١٩٥١ م .

٤٥- البداية والنهاية - عماد الدين أبو الفدا - مطبعة السعادة بمصر .

٤٦- دول الاسلام - شمس الدين الذهبي - مطبعة حيدر آباد الدكن - ١٣٣٧ هـ .

٤٧- فتوح البلدان - البلاذري - مطبعة السعادة بمصر - ١٩٥٩ م .

٤٨- فتوح الشام - الواقدي - مطبعة دار العهد الجديد بمصر - ١٣٧٤ هـ - الطبعة الأولى .

٤٩- المختصر من أخبار البشر - عماد الدين أبو الفدا - المطبعة الحسينية بمصر - ١٣٢٥ هـ - الطبعة الأولى .

٥٠- تاريخ يعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب - مطبعة الغري بالنجف - ١٣٥٨ هـ .

٥١- مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون - مطبعة مصطفى محمد بمصر .

٥٢- تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - مطبعة المجمع العلمي بدمشق - ١٣٧٣ هـ .

٥٣- الامامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري - مطبعة البابي الحلبي بمصر - ١٣٧٧ هـ - الطبعة الثانية .

٥٤- تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون - مطبعة بولاق بمصر - ١٢٨٤ هـ .

٥٥- العبر في خبر من غبر - الذهبي - طبع الكويت - ١٩٦١ م .

٥٦- سمط النجوم العوالي - العصامي المكي - المطبعة السلفية بمصر .

هـ - الجغرافية

٥٧- المسالك والممالك - الاصطخري - مطابع دار القلم بالقاهرة - ١٣٨١ هـ .

٥٨- معجم البلدان - ياقوت الحموي - مطبعة دار السعادة بمصر - ١٣٢٣ هـ .

٥٩- آثار البلاد وأخبار العباد - زكريا بن محمد القزويني - مطبعة دار صادر ودار بيروت - ١٣٨٠ هـ .

٦٠ - زبدة كشف الممالك - عرس الدين خليل بن شاهين الطاهري - طبع
باريس - ١٨٩٢ هـ .

٦١ - أطلس التاريخ الاسلامي - هاري هازارد - مطبعة مصر .

و - المتفرقة

٦٢ - الخراج - أبو يوسف - المطبعة السلفية بمصر - ١٣٤٦ هـ .

٦٣ - المحلى - ابن حزم - مطبعة النهضة بمصر - ١٣٤٧ هـ .

٦٤ - أنساب الأشراف - البلاذري - مطبعة دار المعارف بمصر .

٦٥ - جمهرة أنساب العرب - ابن حزم - دار المعارف بمصر - ١٣٨٢ هـ .

٦٦ - الأصنام - الكلبي - المطبعة الأميرية بالقاهرة .

٦٧ - الأغاني - أبو فرج الاصبهاني - طبع دار الفكر ودار مكتبة الحياة بيروت .

٦٨ - الكامل - للمبرد - مطبعة محمد علي صبيح بمصر .

٦٩ - خزائن الأدب - البغدادي .

٧٠ - الاحكام السلطانية - أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الماوردي

١٣٨٠ هـ .

٧١ - البيان والتبيين - الجاحظ - المطبعة التجارية بمصر .

٧٢ - خلاصة تذهيب الكمال - احمد الخرجي - طبع بمصر - ١٣٢٢ هـ .

٧٣ - اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم - ابن تيمية - المطبعة

السلفية بمصر - ١٣٦٩ هـ .

٧٤ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكافاني

الحنفي - مطبعة الجمالية بمصر - ١٣٢٨ هـ .

٧٥ - تبين الحقائق - فخرالدين عثمان بن علي الزيلعي - المطبعة الأميرية

بيولاقي مصر - ١٣١٣ هـ .

٧٦ - المبسوط - شمس الدين السرخسي - مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٤ هـ .

المراجع

التاريخ والسير

- ١- الفتوحات الاسلامية - أحمد زيني دحلان .
- ٢- الخلفاء الراشدون - عبد الوهاب النجار .
- ٣- الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل .
- ٤- الفاروق عمر - محمد حسين هيكل .
- ٥- تاريخ عمرو بن العاص - حسن ابراهيم حسن .
- ٦- زعماء الاسلام - حسن ابراهيم حسن
- ٧- عثمان - طه حسين .
- ٨- علي وبنوه - طه حسين .
- ٩- عبقرية خالد - عباس محمود العقاد .
- ١٠- تاريخ سورية ولبنان - فيليب حتي .
- ١١- الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم - ابراهيم العدوي .
- ١٢- تاريخ التمدن الاسلامي - جرجي زيدان .
- ١٣- ليبيا بين الماضي والحاضر - حسن سليمان محمود .
- ١٤- ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال - نقولا زيادة .
- ١٥- تاريخ الفتح العربي في ليبيا - الطاهر أحمد الزاوي .
- ١٦- الرسول القائد - محمود شيت خطاب .
- ١٧- الفاروق القائد - محمود شيت خطاب .
- ١٨- قادة فتح العراق والجزيرة - محمود شيت خطاب .
- ١٩- قادة فتح بلاد فارس - محمود شيت خطاب .
- ٢٠- الروم - اسعد رستم .

- ٢١- فجر الاسلام - أحمد أمين .
 ٢٢- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - محمد حميد الله .
 ٢٣- خريجو مدرسة محمد - ابراهيم الواعظ .
 ٢٤- شهداء الاسلام في عهد النبوة - علي سامي النشار .
 ٢٥- الامبراطورية الاسلامية - محمد حسين هيكل .
 ٢٦- خالد بن الوليد - طه الهاشمي .
 ٢٧- دائرة المعارف الاسلامية .
 ٢٨- بلدان الخلافة الاسلامية - لسترنج - نقله الى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد .
 ٢٩- تاريخ الموصل - ياسين خير الدين العمري .

مراجع متفرقة

- ٣٠- في منزل الوحي - محمد حسين هيكل .
 ٣١- الحضارة العربية - ي. هل . ترجمة ابراهيم العدوي .
 ٣١- اشتراكية الاسلام - مصطفى السباعي .
 ٣٢- النزعة الاشتراكية في الاسلام - أنور الخطيب .
 ٣٣- العدالة الاجتماعية في الاسلام - سيد قطب .
 ٣٤- التشريع الجنائي الاسلامي - عبد القادر عودة .
 ٣٥- الجزية في الاسلام - دانييل دينت - تعريب فوزي فهم جاد الله .
 ٣٦- الحراج في الدولة الاسلامية - محمد ضياء الدين الرئيس .
 ٣٧- السياسة الشرعية - ابن تيمية .
 ٣٨- الاحكام السلطانية - أبو يعلى .
 ٣٩- منهاج الاسلام في الحكم - محمد أسد .
 ٤٠- الاسلام عقيدة وشريعة - محمود شلتوت .
 ٤١- عناصر القوة في الاسلام - سيد سابق .

- ٤٢- التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام - محمد الغزالي .
 ٤٣- خاق المسلم - محمد الغزالي .
 ٤٤- الاسلام والاستبداد السياسي - محمد الغزالي .
 ٤٥- سماحة الاسلام - أحمد الحوفي .
 ٤٦- نظام السلم والحرب في الاسلام - مصطفى السباعي .
 ٤٧- الجندية في الدولة العباسية - الرئيس الركن نعمان ثابت .
 ٤٨- قانون الحرب والحياد - سامي جنية .
 ٤٩- بيان تكوين الدولة الاتحادية .
 ٥٠- مجلة المجمع العلمي العراقي .
 ٥١- مجلة المجمع العلمي في دمشق .
 ٥٢- مجلة لواء الاسلام - مصر .
 ٥٣- مجلة التمدن الاسلامي - دمشق .
 ٥٤- مجلة التربية الاسلامية - بغداد .
 ٥٥- مجلة الرسالة - مصر .
 ٥٦- مجلة الأزهر - مصر .
 ٥٧- نظمات الخدمة السفريّة .
 ٥٨- إدارة الحرب .
 ٥٩- فوج مشاة في المعركة .
 ٦٠- الفرقة في المعركة .
 ٦١- محاضرات كلية الأركان في العراق .
 ٦٢- محاضرات دورة الأقدمين في العراق .
 ٦٣- محاضرات دورة الأقدمين في إنكلترا .

المراجع الأجنبية

64. The Sprit of Islam — Sayed Amir Ali.
 65. Life of Mahomet — Sir William Muire.
 66. Mohammad — Margaliouth.
 67. Quran and War — Maulvi - Sadr - ud - Din.
 68. Encyclopedia Britannica.

تصويبات

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٩	١٢	المولودين	المولدين
٢٢	١٣	وبأمر	وبأمرّة
٢٣	١٠	الكفاءة	الكفاية
٣٥	١٠	المريسيع	المريسيّع
٣٧	٥٤	أبو سفيان بن الحرث	أو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
٣٧	٥٥	ربيعة بن الحرث	ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
٣٨	١٦	نضوج	نضج
٤٢	١٤	بني بكر	أبي بكر
٤٥	٥٩	عشرين	عشرون
٤٩	٢	وسلم ذوي	وسلم من ذوي
٤٩	١١	للكفاءة	للكفاية
٤٩	١٤	كفاءته	كفايته
٦٨	٦	الجسيمة	الجسمية
٧٢	١٢	فخرحت	فمخرجت
٧٣	١	فينفسي	بنفسي
٨٥	٥	المغيرة بن عبد الملك	المغيرة بن عبد الله
٩٩	٣	سلامه	إسلامه
٩٩	٤	اعبد مناف	عبد مناف

الصفحة	السطر	خطاً	صواب
١١٠	٥	بناءه	بناؤه
١٤٧	٢	أن عمر أثبت كفاءة	أن عمراً أثبت كفاية
١٤٧	١٣	أو عثمان	وعثمان
١٥٤	١٠	فسد	فسد
١٥٤	١٤	بحمله	بحلمه
١٦٧	١٤-١٣	ضد ضد	ضد
١٧٧	١٦	مائة ألفاً	مائة ألف
١٨٨	٢	كان	وكانما
١٨٩	٨	أبي عبد الرحمن بن معاوية	أبي عبد الرحمن معاوية
١٩٠	٧	يبسح	يبوح
١٩١	١٤	منه	له
٢٠٤	٤	وحواري	وحواري
٢٠٤	١٢	ضعينة	طعينة
٢٠٤	١٤ هـ	ضعينة	طعينة
٢٠٦	١٣	كنانة	كنانة
٢١٢	٣	اختيار	اختياره
٢١٨	٤	تميم قدم	تميم حين قدم
٢١٩	١٢	والسخط وعلى	والسخط على
٢٢٥	٧	مثك	مثل
٢٢٥	٢١	خطاه	خطئه
٢٣٢	١	قال :	قال :
٢٣٥	٢	صبر إنسان	صبر صبر إنسان
٢٤٥	١٥-١٦	حتى حتى	حتى
٢٤٥	٣ هـ	هذا المعنى	هذا المعنى هو التطبيق

صواب	خطأ	السطر	الصفحة
أَنْ عُمَرَ أَمَدٌ عَمْرًا	أَنْ عَمْرًا مَدَ عَمْرًا	١١	٢٥٦
لما	لِمَ	١٥	٢٥٨
ويسألوه	ويسألونه	٢٣	٢٥٨
ثم	ثم إن	١٢	٢٧١
يستنفذ	يستنفذ	١٤	٢٧٧
له	لهم	١٠	٢٧٩
إذا جاءوكم	إذا جاءوكم	١٠	٢٩٠
فلما	فلمت	١٢	٣٣٥
مائة زحفٍ	مائة زحفاً	٢	٣٣٨
العقائدي	العقائدي	٢	٣٤٥
وكذلك	وكذلك	١٧	٣٤٥
فلا تعن	فلا يغن	٥	٣٤٨
الكفاية	الكفاية	٧	٣٤٨
العقائدي	العقائدي	٥	٣٥٣
العقائدي	العقائدي	٩	٣٥٤
العقائدي	العقائدي	٤	٣٥٥
العقائدي	العقائدي	٥ ٤	٣٥٥
العقائدي	العقائدي	٥ ٦	٣٥٥

الفهرس

- ١ - الأعلام .
- ٢ - الأماكن .
- ٣ - القبائل والملل والنحل .
- ٤ - الأعلام الذين وردت لهم ترجمة مختصرة في الهوامش .
- ٥ - القادة في هذا الكتاب .
- ٦ - سير القادة في كتب : قادة الفتح الإسلامي .
- ٧ - الخرائط .
- ٨ - الموضوعات .
- ٩ - آثار المؤلف .

الأعلام

٣١٢٠٢٨٣٠٢٨٠٠٨٨٠٨٦

أبو حذيفة : ٣٣٣ .

أبو دجانة سالك بن خرشة الأنصاري : ٣١٣ ،
٣١٤ .

أبو الدرداء الأنصاري : ٢٥٦ .

أبو سعيد الخدري : ٢١٤ .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم :
٨٣٧ .

أبو سفيان بن حرب الأموي : ١٠٠٠٨٧٠٨٦

٢٩١٠١٨٣٠١٧٥٠١٧٤٠١٧١٠١٠٤

٣٢٧٠٣١٨٠٣١٧٠٣١٦٠٢٩٣٠٢٩٢

أبو طالب (عم النبي صلى الله عليه وسلم) :

٢٨٤٠٢٨١٠٢٨٠٠٢٧٩٠٢٧٨٠١٢٣

أبو العوجاء السلمي : ٣٢٦ .

أبو عبيد بن مسعود الثقفي : ٣٣٤ .

أبو عبيدة بن الجراح : ٥٥٥٠٥٤٠٣٩٠٢٩

٦٣٠٦٢٠٦١٠٦٠٠٥٩٠٥٨٠٥٧٠٥٦

٧١٠٧٠٠٦٩٠٦٨٠٦٧٠٦٦٠٦٥٠٦٤

٧٩٠٧٨٠٧٧٠٧٦٠٧٥٠٧٤٠٧٣٠٧٢

١٠٠٤٠١٠٣٠١٠١٠٨٣٠٨١٠٨٠

١٢٨٠١٢١٠٨١١٨٠١١٦٠١١١

١٦٠٠١٣٦٠١٣٤٠١٣٣٠١٣٢

٢٦١٠٢٦٠٢٥٦٠٢٠٨٠١٧٠١٦٥

٣١٤٠٣١٢

أبو ليابة بن عبد المنذر : ٣١٩٠٣١٨ .

أبو محجن الثقفي : ٣٣٥ .

— أ —

إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) : ١٧١ .

أبن أبي الحقيق اليهودي : ٣٢١٠٣٢٠ .

أبن تيمية : ٣٤٦ .

أبن الذئبة : ٣٠٦٠٣٠٥ .

أبو الأعور السلمي : ١٦٩٠١٣٤٠١٢١

١٧٣٠١٧٢٠١٧١٠١٧٠

أبو أمانة أسعد بن زرارعة : ٨٢٥٤ .

أبو أمانة الباهلي : ١٦٥٠١٦٤٠١٢١٠١٠٢

١٦٨٠١٦٧٠١٦٦

أبو أيوب الأنصاري : ٣٠٧٠٢٨٥٠١٨١ .

أبو أيوب المالكي : ١٣٥٠١٣٤ .

أبو بكر الصديق : ٣٩٠٣٨٠٥٣٧٠٢٧٠٧

٥٩٠٥٨٠٥٦٠٥٥٠٤٣٠٤٢٠٤١٠٤٠

٨٩٠٨٠٠٧٩٠٧٧٠٧٤٠٧٠٠٦٩٠٦٨

١٠٢٠١٠١٠١٠٠٠٩٣٠٩١٠٩٠

١٢٨٠١١٩٠١١٥٠١١٤٠١٠٥٠١٠٤

١٤٧٠١٤٦٠١٣٣٠١٣٢٠١٣١٠٨١٣٠

١٨٢٠١٧٧٠١٦٠٠١٥٨٠١٥٧٠١٤٨

٢١٠٠٢٠٧٠٢٠٦٠٢٠٣٠١٩٩٠١٨٦

٢٤٦٠٢٢٨٠٢٢٦٠٢٢٣٠٢١٦٠٢١١

٣٠٨٠٣٠٦٠٣٠٥٠٢٨٣٠٢٧٩٠٢٧٤

٣٤٠٠٣٣٢٠٣٣١٠٣٢٨٠٣١٢٠٣١٠

٣٤٧ .

أبو جهل (عمرو بن هشام المخزومي) : ٨٥ .

أبو مرثد الغنوي : ٢٥٥ .

أبو موسى الأشعري : ١٩٠، ١٥١، ١٥٠ .

أبو هريرة : ٢٩٨ .

اثناسيوس : ١٥ .

أحمد بن حنبل : ١٨٩، ١٨٦ .

الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي :

٣٢٢ .

آدم (عليه السلام) : ٢٩٨ .

أرطوبون (قائد الروم) : ١٣٤، ١٣٣، ١٠٦ .

١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩ .

الأرقم بن أبي الأرقم : ٥٤ .

أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة :

٣٢٢ .

أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي : ٢٩، ٢٦ .

٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٣ .

٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢ .

١٦٨، ١٦٥، ١٠٥، ١٠٢، ٥١، ٥٠ .

٣٤٧، ٣١٤ .

أسد بن عبد الغزي بن قصي : ٢٢٧، ١٩٨ .

الاسكندر المقدوني : ٢١، ١١ .

أسهاء بنت أبي بكر الصديق : ١٩٨ .

أسود بن العوام (أخو الزبير بن العوام) : ١٩٨ .

أسيد بن حضير : ٣٥ .

الأشعث بن قيس : ٣٤٧ .

أصرم بن العوام (أخو الزبير بن العوام) : ١٩٨ .

أم أيمن (أم أسامة بن زيد) : ٤٦، ٣٣ .

أم حبيبة بنت أسد (جدة رسول الله صلى الله

عليه وسلم) : ١٩٨ .

أم حبيبة بنت أبي سفيان (أم المؤمنين) :

٣٢٧ .

أم حرام بنت ملحان الأنصاري (زوج عبادة

بنت الصامت) : ١٧٨ .

أم حكيم بنت الحارث بن هشام (زوج عكرمة

بن أبي جهل) : ٨٧ .

أم سلمة (أم المؤمنين) : ٩٣، ٨٨٩ .

أم عبدالله بنت يزيد الكلبي : ٨٣٣٩ .

أم عجلال (أم عكرمة بن أبي جهل) : ٨٥ .

آمنة بنت وهب بن عبد مناف (أم النبي صلى

الله عليه وسلم) : ١٩٨ .

أميمة بنت غنم : ٥٥٤ .

أمية بن خلف : ٣١٦، ٣٠٢، ٥٩٩ .

أنس بن مالك : ٣٣٨، ٣٣٣ .

إلياس بن معاذ الأنصاري الأشجلي : ٢٥٣ .

أيمن بن أم أيمن : ٨٣٧ .

ب -

البراء بن مالك : ٣٣٨-٣٣٣ .

بريز (كسرى) : ١٤٠، ١٣ .

بسيس بن عمرو : ٨٢٠٢ .

بشر بن البراء بن معمر : ٣٠٠ .

بشير بن كعب الحميري : ٦٠ .

بلال بن رباح الحبشي : ٣٠٨، ٣٠٢، ٩٩، ٣٦ .

٣٣٠، ٣٠٩ .

بنيامين : ١٦ .

بيبرس (السلطان) : ٧٣ .

بيروس : ١٥ .

ت -

تذارق (أخو هرقل) : ١٣٢ .

تميمة بنت حرثان (أم عبد الله بن حذافة

السهمي) : ٢٢٩ .

ث -

ثابت بن أرقم : ٣٢٥ .

ثابت بن قيس : ٣٣٣ .

ثابت بن وقش : ٣١٥ .

ج -

- جايان (قائد الفرس في معركة أليس) : ٣٤٠ .
 جابر بن عبدالله : ٨٢٥٤ .
 جبلة بن الأيهم : ٢٦٠ .
 جرجة (قائد الروم) : ١٠٢ .
 جرير بن عبدالله البجلي : ١٤٨ .
 جعفر بن أبي طالب : ١٤٥ ، ١٢٥ ، ٣٥ : ١٤٥ ، ١٢٥ ، ٣٥ .
 ٣٣٥ ، ٣٢٤ ، ٣٠٤ ، ٢٢٩ .
 جلاس بن سويد بن الصامت : ٣٠٧ .
 جيفر بن الجلتدي : ١٢٩ .

ح -

- الحارث بن عبد كلال الحميري : ٨٩ .
 الحارث بن هشام المخزومي : ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ : ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ .
 ٢٩٣ .
 حارثة بن شراحيل الكلبي : ٣٤ .
 حاطب بن أبي بلتعة : ٢٠٤ .
 حبيب بن مسلمة الفهري : ٣٣٩ ، ٣٣٨ .
 الحثات بن يزيد المجاشعي : ٨١٧٦ .
 حذافة بن عبدالله بن قيس السهمي (والد عبدالله بن حذافة) : ٢٣٠ .
 حذيفة بن محسن : ٨٩ .
 حذيفة بن اليمان : ٣١٧ ، ٣١٥ .
 حرقوص بن زهير السلمي (أبو الخويصرة) : ٢٩٦ ، ٢٢٤ .
 حسان بن ثابت الأنصاري : ٢٢١ ، ٢١٤ : ٢٢١ ، ٢١٤ .
 ٣١٧ ، ٢٢٧ .
 الحسن بن علي بن أبي طالب : ١٨٦ ، ٣٦ : ١٨٦ ، ٣٦ .
 ٢٢٥ .
 حسنة (أم شرحبيل بن حسنة) : ١١٣ .
 حصيل بن جابر (اليمان والد حذيفة) : ٣١٥ .
 حفصة بنت أمية بن حرب : ١٠٩ .

- حفصة بنت عمر بن الخطاب (أم المؤمنين) : ٢٢٩ .
 الحكم بن أبي العاص بن أمية : ٣٠٢ .
 حكيم بن حزام : ٣٤ .
 حمزة بن عبد المطلب : ٢٨٨ ، ١٧٥ ، ٣٤ : ٢٨٨ ، ١٧٥ ، ٣٤ .
 ٢٨٩ .
 الحيسر أنيس بن رافع الأوسي : ٢٥٣ .

خ -

- خارجة بن حذافة العلوي : ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ : ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ .
 ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٨ : ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٨ .
 ٢٥٦ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ .
 خالد بن سعيد بن العاص : ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩١ : ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩١ .
 ٨١٩٩ .
 خالد بن الوليد : ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٣ ، ٢٩ : ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٤٣ ، ٢٩ .
 ٧٨ ، ٧٧ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢ : ٧٨ ، ٧٧ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢ .
 ٩٤ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٨٠ ، ٧٩ : ٩٤ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٨٠ ، ٧٩ .
 ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١٠٦ ، ١٠٣ : ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١٠٦ ، ١٠٣ .
 ٣٢٥ ، ١٧٠ ، ٤٨ : ٣٢٥ ، ١٧٠ ، ٤٨ .
 ١٢٧ ، ١٢٦ : ١٢٧ ، ١٢٦ .
 ٣٤٠ ، ٣٣٤ .
 خبيب بن عدي : ٣١٦ .
 خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين) : ١٩٨ ، ٣٤ : ١٩٨ ، ٣٤ .
 ٢٨٤ ، ٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٢٧ : ٢٨٤ ، ٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٢٧ .
 خسرو الثاني : ١٥ .
 خنيس بن حذافة السهمي : ٢٢٩ .
 الخطاب بن نفيل بن عبد العزى (والد عمر بن الخطاب) : ٣٢٨ .
 خويلد بن أسد بن عبد العزى (جد الزبير بن العوام) : ٢٢٧ ، ١٩٨ : ٢٢٧ ، ١٩٨ .

د -

- داود عليه السلام : ٦٩ .
 ذو الكفين (صنم) : ٣٢٦ .

— ذ —

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي : ٨٢٥٤

— ر —

رافع بن خديج : ٣٧

رافع بن مالك : ٨٢٥٤

رافع بن وديعة : ٣٠٧

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم : ٨٣٧

رستم (قائد الفرس في القادسية) : ٣٤٦

رعميس الثاني : ٢١

— ز —

الزبير بن العوام : ١٩٧٠١٩٥٠١٤٨٠١٣٩

٢٠٣٠٢٠٢٠١٤٢٠٠٠١٩٩٠١٩٨

٢٠٩٠٢٠٨٠٢٠٧٠٢٠٦٠٢٠٥٠٢٠٤

٢١٥٠٢١٤٠٢١٣٠٢١٢٠٢١١٠٢١٠

٢٢١٠٢٢٠٠٢١٩٠٢١٨٠٢١٧٠٢١٦

٢٢٧٠٢٢٦٠٢٢٥٠٢٢٤٠٢٢٣٠٢٢٢

٣٣٠٠٣٠٢٠٢٥٠٢٣٧٠٢٢٨

زرة بن النمان : ٣١٨

زياد بن أبي سفيان (ابن أبيه) : ١٨٥٠١٥٢

زيد بن أرقم : ٢٩١

زيد بن ثابت الانصاري : ٢١٤٠١٨٨٠١٧٦

زيد بن حارثة الكلبي : ٣٥٠٣٤٠٣٣٠٢٦

٣٢٥٠٣٢٤٠٤٤٠٤٣٠٣٩٠٣٧

زيد بن الخطاب : ٣٣٣

زيد بن الدثنة : ٣١٦

الزيلي (الإمام) : ٣٤٨

— س —

السائب بن العوام (أخو الزبير بن العوام) :

١٩٨

سالم مولى أبي حذيفة : ١٦٠٠٨٥٥

سخيلة بنت هاشم بن حذافة بن جمح الحمصي

القرشي : ٢٤١

سراقة بن مالك بن جشم : ٢٨٤

السرغسي (الامام) : ٣٤٨

سعد بن أبي وقاص : ١٩٢٠٨٦٠٦٦٠٤٤٠٣٩

٢١٤٠٢١٣٠٢١١٠٨ ٢٠٢٠١٩٩

٣٣٥٠٣٣٠٠٣١٤٠٣١١٠٣٠٢٠٢٢٤

٣٤٧٠٣٣٧٠٣٣٦

سعد بن الربيع : ٣٠٦

سعد بن عبادة : ٢٩٥

سعد بن معاذ : ٣١٩٠٣١٠٠٨٥٥

سعدى (أم زيد بن حارثة الكلبي) : ٣٣

سعيد بن المسيب : ١٧٤٤٨٩٩

سفيان بن مجيب الأزدي : ١٠٩٠١٠٨٠٩٧

١٧٨٠١١٠

سفيان بن معمر الأنصاري : ١١٣

سلامة بن أسلم الأشعري الأنصاري : ٢١٠

سلمان بن ربيعة الباهلي : ٣٣٨

سلمة بن الأكوع الأسلمي : ٣٨

سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري : ٢٠١

سلمى بنت حرملة (أم عمرو بن العاص الملقبة

بالنابغة) : ١٥٦٠١٤٧٠١٢٤

سلمى بنت خصفة (زوج سعد بن أبي وقاص) :

٣٣٥

سمرة بنت جندب الفزاري : ٣٧

السمط بن عمرو الكندي : ٦٤

سهيل بن عدي : ٦٦

سهيل بن عمرو : ٢٩٣٠٢٩٢٠١٠٠٠٩٢

سواد بن غزية : ٣١١

سواع (من آله العرب في الجاهلية) : ١٢٨

— ش —

شرحيل بن حسنة الكندي : ٦٢٠٦١٠٨٦٠
١١٥٠١١٤٠١١٣٠١١١٠١٠٣٠٨٩
١٣٤٠١٣٣٠١١٩٠١١٨٠١١٧٠١١٦
١٧١٠١٧٠
الشعبي (عامر بن شراحيل بن عبد ذي كيار) :
١٥٢
شبية بن ربيعة : ٢٨٨٠٢٨٢
شبية بن عثمان بن أبي طلحة : ٢٩٤
شبرويه : ١٤

— ص —

صفرونيوس : ١٥
صفوان بن أمية : ٢٩٣٠٢٤٥٠٢٤٤٠٢٤٣
٣١٦
صفية بنت عبد المطلب بن هاشم : ١٩٨٠١٩٧
٣١٧٠٢٢٢٠٢١٦

— ض —

الضحاك بن سفيان الكلبي : ٣٢٦
الضحاك بن قيس : ١٨٨
ضرار بن الأزور : ٩١

— ط —

الطفيل بن عمرو الدوسي : ٣٢٦
طلحة بن عبيد الله : ٨٢٠١٠١٩٩٠١٤٨
٢١٤٠٢١٣٠٢١٢٠٢١٢٠٢١١٠٢٠٧
٢٢٤٠٨٢١٩٠٢١٥

— ع —

عائشة بنت أبي بكر الصديق (أم المؤمنين) : ٣٥
٢٠٣٠١٩٨٠١٤٨٠٦٩٠٦٨٠٣٨٠٣٦
٢٩١٠٢٢٥٠٢٢٤٠٢٢٠٢١٦٠٢١٤
٣٠٨٠٢٩٩٠٢٩٧
عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (زوج الزبير
ابن العوام) : ٢١٨

عاتكة بنت قرظة (زوج معاوية بن أبي سفيان) :
١٨٠

العاص بن وائل : ١٥٦٠١٤٨٠١٢٤٠١٢٣
١٥٩

عاصم بن عمرو التميمي : ٣٣٧٠٣٣٦
عامر بن فهيرة : ٣٠٨

عبادة بن الصامت الخزرجي : ١٤٢٠١٣٩

٢٣٧٠٨ ٢٢٦٠٢٠٨٠١٩٥٠١٧٨

٢٥٨٠٢٥٧٠٢٥٦٠٢٥٥٠٢٥٤٠٢٥٣

٢٦٣٠٢٦٢٠٢٦١٠٢٦٠٠٢٥٩

العباس بن عبادة الخزرجي : ٢٥٤

العباس بن عبد المطلب : ٣٧٠٣٢٧٠٢٩٤٠٨
٣٢٨

عبد بن الجلتني : ١٢٩

عبد الله بن أبي بن سلول : ٢٩١٠٢٥٥
٣٢١٠٣١٩

عبد الله بن جدهان : ١٥٦٠١٢٤

عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة بن الجراح)
٥٥

عبد الله بن حذافة السهمي : ١٩٥٠١٤١٠١٤٠
٢٣٤٠٢٣٣٠٢٣٢٠٢٣١٠٢٣٠٠٢٢٩

٢٣٥

عبد الله بن رواحة : ٣٢٥٠٣٢٤٠٣٥

عبد الله بن الزبير بن العوام : ٢٠٩٠١٩٨

٢٢٤٠٢٢١٠٢٢٠٠٢١٦٠٢١٥٠٢١٢

عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري : ١٤٣

١٨٠٠١٥٧٠١٤٧

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : ١٥١٠١٥٠

٨ ٢١٩ ٢١٦٠١٩٠٠١٨٦٠١٥٧

٢٩٧

عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول : ٢٩١

٣٢٢٠٣٢١

عبد الله بن عبد الله بن عتيان : ٦٧

عبد الله بن عبد المطلب (والد النبي صلى الله عليه وسلم) : ٣٣ .

عبد الله بن عتيك : ٣٢٠ .

عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٥١٠٤٤٤٣٧
٣٠٦٠٢١٤٠٢١١٠١٨٦

عبد الله بن عمرو بن العاص : ١٤٨٠٥٦٩٠٦٨
١٥٧٠١٤٩

عبد الله بن قيس الحارثي : ٣٣٩ .

عبد الله بن مسعود : ٢٨٠٠٢٠٧٠٢٠٠٠٥٧٤

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : ٣١٢ .

عبد الرحمن بن الحكم : ١٨٥ .

عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي : ٣٣٩ .

عبد الرحمن بن العوام (أخو الزبير بن العوام) :
١٩٨

عبد الرحمن بن عوف : ٢١١٠٢٠٧٠١٩٩
٣١١٠٣٠٦٠٥ ٢٥٣٠٢٢١٠٢١٢

٣٣٠ .

عبد الرزاق أحمد السهوري : ٥٣٤٤ .

عبد الملك بن مروان : ١٨٩ .

عبدة بن الحارث بن عبد المطلب : ٢٨٨٠٨٦ .

عبدة بن سعيد بن العاص بن أمية : ٢٠٢ .

عتبة بن أبي سفيان : ٥٩٩ .

عتبة بن أسيد بن جارية (أبو بصير) : ٣٢٢
٣٢٣

عتبة بن ربيعة : ٢٨٨٠٢٨٢ .

عثمان بن أبي طلحة : ٢٩٤٠١٢٦ .

عثمان بن عفان : ٦٩٠٤٦٠٤٤٤٣٠٢٧
١٥١٠١٤٩٠١٤٨٠١٤٧٠١٠٨٠٥٩٩

١٧٥٠١٧٢٠١٧١٠ ٥١٥٨٠١٥٧
١٨٦٠١٨٣٠١٨١٠١٨٠٠١٧٨٠١٧٧

٢١٣٠٢١٢٠٢١١٠١٩٩٠١٩٢٠١٩١
٢٣٤٠٢٢٤٠٢٢٣٠٢٢١٠٢١٦٠٢١٤

٣٣٩٠٣٣٠٠٣٠٢٠٢٧٤٠٢٦٠٠٢٤٧

عثمان بن مظعون : ٣٠٥ .

عرفجة بن هرم الباري : ٨٩ .

عروة بن مسعود الثقفي : ٣٢٢ .

الغزي (من أئمة العرب في الجاهلية) : ٣٠٢٠٩٢٠

عفان (والد عثمان بن عفان) : ١٤٨ .

عقبة بن عامر الجهني : ٢٤٩٠١٩٥٠١٤١
٢٥٢٠٢٥١٠٢٥٠

عقبة بن نافع الفهري : ١٨١٠١٤٣٠١٤٢

عقيل بن أبي طالب : ١٩٢ .

عكاشة بن محسن الأسدي : ٣٢٥ .

عكرمة بن أبي جهل المخزومي : ٨٦٠٨٥٠٨٣
٩٤٠٩٣٠٩٢٠٩١٠٩٠٠٨٩٠٨٨٠٨٧

١١٤٠٩٥

عكرمة بن بكر بن وائل : ٢٥٤٠٥٤

علقمة بن حكيم الفراسي : ١٣٥٠١٣٤ .

علي بن أبي طالب : ١٤٨٠٤٥٠٤٣٠٣٩٠٥٣٧
١٦٦٠١٦١٠١٥٢٠١٥١٠١٥٠٠١٤٩

١٩١٠١٩٠٠١٨٩٠١٨٦٠١٨١٠١٧٢

٢٠٧٠٢٠٦٠٢٠٤٠٥ ٢٠٢٠١٩٢

٢١٤٠٢١٣٠٢١٢٠٢١١٠٢١٠

٢٢٤٠٢١٨٠٢١٧٠٢١٦٠٢١٥

٢٨٣٠٢٥٦٠٢٣٨٠٢٢٦٠٢٢٥

٣٣٢٠٢٨٩٠٢٨٨

عمار بن ياسر : ٣٠٢٠٢١٦٠٤٤

عمر بن الخطاب : ٤٠٠٣٩٠٥٣٧٠٣٣٠٢٧
٦٠٠٥٨٠٥٧٠٥٦٠٤٤٤٣٠٤٢٠٤١

٧٤٠٧٣٠٧٢٠٧١٠٧٠٠٦٩٠٦٧٠٦٥

١٠٣٠٥ ١٠٠٠٧٩٠٧٨٠٧٧٠٧٦

١٣٥٠١٣٤٠١٣٢٠١٢٨٠١٢٤٠١٠٤

١٤٨٠١٤٧٠١٤٦٠١٤٢٠١٤١٠١٣٦

٥ ١٥٨٠١٥٧٠١٥٦٠١٥٤٠١٥٣

١٧٧٠١٧٥٠١٧٢٠١٧١٠١٦٩٠١٦٠

١٨٦٠١٨٥٠١٨٤٠١٨٣٠١٨٢٠١٧٨

العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) :
١٩٨ .

عوف بن الحارث : ٢٥٤ ، ٢٢٨ .

عويم بن ساعدة الأوسي : ٥٥٤ .

عياض بن غنم : ٦٧ ، ٦١ .

عيسى بن مريم (المسيح عليه الصلاة والسلام) :
٢٧١ ، ١٥ .

— ف —

فاخته بنت قرظة (زوج معاوية بن أبي سفيان) :
١٧٨ .

فاطمة بنت عمرو بن بجرة العلوية : ٢٣٦ .

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم : ٣٦ ، ٢٨٠ ،
٢٩٧ .

الفاكهة بن المخيرة : ١٢٤ ، ١٥٦ .

فجيتيوس : ٢٣ .

فضالة بن عمير بن الملوح الليثي : ٢٩٤ .

الفضل بن العباس بن عبد المطلب : ٣٧ .

فيليب المقتوني : ٢١ .

— ق —

قبيصة بن جابر : ١٨٤ .

قرة بن هيرة : ١٣٠ .

قسطنطين الكبير : ١٢ .

قسطنطين بن هرقل : ١٤٣ ، ١٨٠ .

قصي بن كلاب : ١٩٨ .

القطامي : ٢٦٨ .

قلعة بن عامر : ٢٥٤ .

القمقاع بن عمرو التميمي : ٦٦ ، ٦٧ ، ٩١ ، ٢١٥ ،
٢٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

قيس بن سعد بن عبادة : ٥٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ .

— ك —

كسرى (ملك الفرس في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم) : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ،

٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،

٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ،

٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،

٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

عمر بن عبد العزيز : ١٨٩ .

عمرو بن بكر : ٢٣٦ .

عمرو بن جرموز التميمي : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

عمرو بن حمزة اللوسي : ٣٢٦ .

عمرو بن العاص : ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٨٩ ،

٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ،

٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

عمرو بن عكرمة بن أبي جهل المخزومي : ٩٢ ،
٩٣ .

عمرو بن قيس : ٣٠٧ .

عمرو بن عتبة السلمي : ١٩٩ .

عمير بن أبي وقاص : ٣١١ .

عمير بن سعد : ٣٠٧ .

عمير بن الحمام : ٣١١ .

عمير بن وهب الجمحي : ١٤٠ ، ١٩٥ ، ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ .

٢١٨٠٢١٦٠٢١٥٠٢١٣٠٢١٢٠٢١١
 ٢٢٧٠٢٢٦٠٢٢٣٠٢٢٢٠٢٢١٠٢٢٠
 ٢٣٣٠٢٣٢٠٢٣١٠٢٣٠٠٢٢٩٠٢٢٨
 ٢٤٤٠٢٤٣٠٢٤٢٠٢٣٩٠٢٣٦٠٢٣٤
 ٢٥١٠٢٥٠٠٢٤٩٠٢٤٨٠٢٤٦٠٢٤٥
 ٢٥٨٠٢٥٦٠٢٥٥٠٢٥٤٠٢٥٣٠٢٥٢
 ٢٧٣٠٢٧٢٠٢٧١٠٢٦٢٠٢٦٠٠٢٥٩
 ٢٨١٠٢٨٠٠٢٧٩٠٢٧٨٠٢٧٧٠٢٧٥
 ٢٨٧٠٢٨٦٠٢٨٥٠٢٨٤٠٢٨٣٠٢٨٢
 ٢٩٣٠٢٩٢٠٢٩١٠٢٩٠٠٢٨٩٠٢٨٨
 ٢٩٩٠٢٩٨٠٢٩٧٠٢٩٦٠٢٩٥٠٢٩٤
 ٣٠٥٠٣٠٤٠٣٠٣٠٣٠٢٠٣٠١٠٣٠٠
 ٣١١٠٣١٠٠٣٠٩٠٣٠٨٠٣٠٧٠٣٠٦
 ٣١٧٠٣١٦٠٣١٥٠٣١٤٠٣١٣٠٣١٢
 ٣٢٤٠٣٢٣٠٣٢٢٠٣٢١٠٣١٩٠٣١٨
 ٣٣١٠٣٣٠٠٣٢٨٠٣٢٧٠٣٢٦٠٣٢٥
 ٣٣٧٠٣٣٦٠٣٣٥٠٣٣٤٠٣٣٣٠٣٣٢
 . ٣٥١٠٣٤٨٠٣٤٧٠٣٣٩٠٣٣٨

محمد بن عمرو بن العاص : ١٤٨٠١٤٧ .
 محمد بن مسلمة الأنصاري : ٢١٤٠٥٥٠٤٤ .
 محمد ناصر الدين الألباني : ١٢٧ هـ .
 مرثد بن أبي مرثد الفنوي : ٢٠٢ هـ .
 مرد انشاء : ١٤ .
 مروان بن الحكم : ١٩٢٠١٤٨ هـ .
 مريم (أم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام) :
 . ١٤٥ .
 مسروق العكي : ١٣٥٠١٣٤ .
 مسلمة بن مخلد : ٢٢٦٠٢١٤٠٢٠٨٠١٣٩ .
 المسور بن مخرمة : ١٨٨ .
 مسلمة بن عبد الملك : ٣٣٩ .
 مسلمة الكذاب : ١١٩٠١١٥٠١١٤٠٩٤٠٨٩ .
 . ٣٣٤٠٣٣٣٠١٣١٠١٣٠ .
 معاذ بن جبل : ٢٥٦٠١٠٤٠٧٨٠٧٤ .

كعب بن الاشرف : ٣٢٠ .

كعب بن شراحيل الكلبي : ٣٤ .

كعب بن مالك : ٢١٤٠٢٠١ هـ .

ل -

اللات (من آلهة العرب في الجاهلية) : ٥٩٢ ،

. ٣٢٦٠٢٠٥ .

م -

مالك بن تيهان الأوسي : ٢٥٤ هـ .

مالك بن عامر العبدي : ٣٣٧ .

مالك بن عوف النضري : ١٦٩ .

المثنى بن حارثة الشيباني : ٣٣٤ .

محمد بن أبي بكر الصديق : ١٥٢ .

محمد بن الزبير بن العوام : ٢٠٩ .

محمد بن طلحة بن عبيد الله : ٢١٦ .

محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) : ١٣٧ ،

٣٥٠٣٤٠٣٣٠٢٧٠٢٦٠٢٥٠٢٤٠٢٣

٤٣٠٤٢٠٤١٠٤٠٠٣٩٠٣٨٠٣٧٠٣٦

٥١٠٥٠٠٤٩٠٤٨٠٤٧٠٤٦٠٤٥٠٤٤

٦٩٠٦٨٠٦٢٠٥٨٠٥٧٠٥٦٠٥٥٠٥٤

٨٠٠٧٩٠٧٧٠٧٦٠٧٥٠٧٤٠٧٣

٩١٠٨٩٠٨٨٠٨٧٠٨٦٠٨٥٠٨١

١٠٨٠١٠٤٠١٠٠٠٩٩٠٩٣٠٩٢

١١٩٠١١٨٠١١٧٠١١٤٠١١٣٠١٠٩

١٢٨٠١٢٧٠١٢٦٠١٢٥٠١٢٤٠١٢٣

١٣٤٠١٣٣٠١٣٢٠١٣١٠١٣٠٠١٢٩

١٥٣٠١٥٢٠١٥٠٠١٤٨٠١٤٧٠١٤٦

١٦٢٠١٦٠٠١٥٨٠١٥٧٠١٥٦٠١٥٥

١٧٤٠١٧٠٠١٦٩٠١٦٦٠١٦٥٠١٦٣

١٨٦٠١٨٢٠١٨١٠١٧٧٠١٧٦٠١٧٥

١٩٢٠١٩١٠٠١٨٩٠١٨٨٠١٨٧

٢٠٢٠٢٠١٠٢٠٠٠١٩٩٠١٩٨٠١٩٧

٢١٠٠٢٠٩٠٢٠٦٠٢٠٥٠٢٠٤٠٢٠٣

معاذ بن الحارث الخزرجي : ٢٥٤ هـ .

معاذ بن الحارث بن رفاعه الأنصاري (ابن عفره)
٢٨٨ .

معاذ بن عمرو بن الجهم : ٣١٢ .

معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٨٩٩ ، ٤٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٦ ، ١٣٤ ، ١٣١ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧١ ، ١٦١ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ٣٣٩ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٠ ، ٣٣٨ ، ١٩٤

معوذ بن الحارث بن رفاعه الأنصاري (ابن

عفره) : ٣١٢ ، ٢٨٨ .

المغيرة بن شعبة الثقفي : ٣٢٦ ، ٣٢٢ ، ١٥٢ ، ٣٤٦

المقداد بن الأسود الكندي : ٢٠٢ ، ١٣٩ ، ٣١٠ ، ٢٥٦ ، ٢٣٧ ، ٢٢١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٤١ ، ١٣٩ ، ٢٥٠ ، ١٦ ، ١٤١ ، ١٣٩ ، ٢٥٠ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٠٩

المنذر بن ساوى : ١٣٠ .

المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح

الأنصاري الخزرجي : ٢٠١ .

منويل : ١٤٣ .

المهاجر بن أمية المخزومي : ٩٠ ، ٨٩ ، ٣٣٨ .

الموردان (قائد الروم في قاليقلا) : ٣٣٨ .

موسى (عليه السلام) : ٣١٠ ، ٢٧١ .

— ن —

النابغة (أم عمرو بن العاص) . انظر سلمى بنت

حرمة .

ناصر الدين الجهمي الظاهري السعدي : ٥٧٤ .

النجاشي (صاحب الحبشة) : ١٢٦ ، ١٢٥ .

٣٠٤ ، ٢٨٠ ، ٢٢٧ ، ٢٠٠ ، ١٤٥

نسيبة بنت كعب المازنية (أم عمار) : ٣٣٨ .

النعمان بن بشير : ٢١٤ ، ٥٦٣ ، ٣٤٨ .

النعمان بن زرع : ٣٤٨ .

النعمان بن مقرن المزني : ٣٣٨ .

نعم بن مقرن المزني : ٣٣٨ .

نوفل بن خويلد بن أسد : ٢٠٢ .

— ه —

هالة بنت وهب بن عبد مناف : ١٩٨ .

هرقل : ٢٤٠ ، ١٧٠ ، ١٦٠ ، ١٥٠ ، ١٤٠ ، ١٣٠ ، ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ١٣٢ ، ١١٥ ، ١٠٢ ، ٥٩ ، ٢٥ ، ٣٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢

هشام بن العاص (أخو عمرو بن العاص) : ١٥٨

هند بنت عتبة بن ربيعة (أم معاوية بن أبي سفيان)

١٧٥ .

— و —

وردان (مولى عمرو بن العاص) : ١٤٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٤١ ، ٢٢٨ .

الوليد بن عتبة بن ربيعة : ٢٢٨ .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ٦٧ .

الوليد بن المغيرة : ٣٠٥ .

وهب بن عيمر بن وهب الجمحي : ٢٤٣ هـ .

— ي —

يزيد بن أبي سفيان : ٩٩ ، ٩٧ ، ٧٩ ، ٦٢ ، ٦١ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٦٥ ، ١١٦ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ٢٥٦ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٧٨

يزيد بن ثعلبة الخزرجي : ٢٥٤ .

يعقوب بن راديس البراذعي : ١٩٠ ، ١٦٠ .

يعلى بن العوام (أخو الزبير بن العوام) : ١٩٨ .

يوسف (عليه السلام) : ٢٩٣ .

الأماكن

— أ —

- أبل : ٤٣٠٤٢ .
 أجداية : ١٤٢ .
 أجنادين : ١٣٥٠١٣٤٠١١٦ ، ٥٩٣ .
 أحد : ٨٦٠٧٧٠٥٥٠٤٨٠٤٥٠٣٦٠٣٥
 ٥٢٠١٠١٩٨٠١٧٥٠١٦٤٠١٢٥
 ٢٤٦٠٢٤٦٠٢٤٥٠٢٢٧٠٢٠٤٠٢٠٣
 ٣١٤٠٣١٢٠٢٩٤٠٢٨٩٠٢٥٥٢٤٩٠
 ٣٣٢٠٣١٥ .
 الأحيدب (جبل) : ٥٦٥ .
 إخميم : ٢٣٧٠١٤٠ .
 الأردن : ٨١٠٥٧٤٠٧٣٠٥٦٠٠٥٥٩
 ٠١٣٣٠١١٩٠١١٧٠٥١١٦٠١١٥٠١١٣
 ٠١٧٢٠١٧١٠١٧٠٠٥١٦٥٠١٣٤
 ١٧٣ .
 إرمينية : ٥٣٣٨٠١٣ .
 أرواد (جزيرة) : ١٩٣ .
 الأزبكية : ٢٣٧ .
 الاسكندرية : ١٤٥٠١٤٣٠١٤٢٠١٤١٠١٩
 ٠٢٣٧٠٢٣٢٠٢٢٠٥١٩٣٠٥١٩١
 ٠٢٥٩٠٢٥٨٠٢٥٣٠٢٤٦
 أسوان : ١٤٣ .
 آسيا الصغرى : ١٣ .
 الأشمونين : ١٣٧٠١٤٠ .
 أسبهان : ٢١٢ .
- إفريقية : ١٩٣٠١٨١٠١٤٢٠١٩ .
 أم دنين : ٢٣٧ .
 الأنبار : ٥٣٤٠ .
 الأندلس : ١٨٢ .
 أنطاكية : ٢٠٨٠٦٥٠٦٤٠١٣ .
 أنطرسوس : ٢٥٦٠٢٥٣ .
 أليس : ٣٤٠ .
 إيران : ٥٣٣٨ .
 إيطاليا : ٣٤٤ .
 أيلة : ١٣١٠٥٥٤٠٥١١ .
 إيلياء (القدس) : ٦٦٠٦٥٠١٥٠١٤٠١٣
 ٠١٦٩٠١٤٩٠١٣٦٠١٣٥٠١٣٤٠٧٣
 ٢٦١ .

— ب —

- بئر معونة : ٥٢٠١ .
 باب الأبواب : ٥٣٣٨ .
 باب قوما : ١٣٣ .
 بابليون : ٢٠٩٠١٩٧٠١٦٢٠١٤٠٠١٣٩
 ٠٢٥٨٠٢٤٦٠٢٣٧٠٢٢٨٠٢٢٧
 البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) : ٥١١
 ٠٥١٣٩٠٥١٠٨٠٥٠٥٤٠٢٥٠١٣
 ١٧٨٠٥١٤٢ .
 البحر الأحمر : ١٤٧٠٥٧٠٢١ .
 بحر الأدرياتيك : ٥١٢ .
 البحر الميت : ٢٦ .

— ٥ —

- الدائن : ١٦٥ .
دار النبوة : ٢٨٢ .
الداروم : ٨١٣٦٤٧٤٤٣٣٩ .
دجلة : ٣٣٧٤٣٣٦٤٨٦٦٤٨١٢ .
دقهلة : ٢٤٦٤٢٤١٤٠ .
الدلتا : ٢٣٧ .
دلوك : ٦٥ .
دمشق : ٦٢٤٦١٤٦٠٤٥٩٤٥٤٣٩٤١٣
١٠١٤٨١٠٠٤٨٩١٤٧٩٤٧٨٤٧٣
٨١١٦٤١٠٧٤١٠٦٤١٠٥٤١٠٤٤١٠٣
١٧٠٤٨١٦٩٤٨١٣٤٤١٣٣٤١١٧
٨٢٥٣٤١٨٨٤١٨٧٤١٧٧
دمياط : ٢٤٦٤٢٤١٤٠ .
دميرة : ٢٤٦٤٢٤١٤٠ .
دومة الجندل : ١٥٠ .

— ٥ —

- ذات السلاسل : ١٥٥٤١٤٦٤١٣١٤١٢٧
١٦٢٤١٥٩
ذات عرق : ٨٩١ .
ذو الخليفة : ٣٢٣ .
ذو طوى : ٢٠٥ .
ذو القصة : ٥٦ .
ذو المروة : ٣٢٣ .

— ٥ —

- الرجيع (ماء لذيل بناحية الحجاز) : ٣١٥ .
رعبان : ٦٥ .
رفح : ١٣٦٤٨٥٤ .
الرقعة : ٦٦ .
الرملة : ٢٦١٤٨١٣٥٤١٣٤٤٨١١٦٤٧٣ .

٣٠٤٤٣٠٣٤٢٢٩٤٢٢٧٤٢٠٠٤١٤٥

- الحجاز : ٢١٧٤٨١٣١٤٨٩١٤٨٨٤٨٧٢
٣٤٠٤٣١٦٤٨٢٨١٤٢٢٦
الحجر : ٢٤٤٤٢٤٣٤٨١١٥ .
الحديث (حصن) : ٦٥ .
الحديبية : ٣٢٢٤٢٩٢٤١٧٦٤١٦٤٤٣٥ .
حران : ٦٧ .
حصن المرأة : ٨١٨١٤١٨٠ .
حضر موت : ٩٥٤٩٤٤٩٠٤٨٩ .
حلب : ٨٦٥٤٦٤٤٨٦٣ .
حاة : ٨٦٣٤٦٢ .
حمص : ٦٧٤٦٦٤٦٣٤٦٢٤٦٠٤٥٨٤١٣
٢٥٦٤٨٢٥٣٤١٧٠٤١٦٦٤٧٨٤٧٣
٢٦٠ .
حنين : ١٧٤٤١٦٩٤٩٩٤٤٨٤٣٧٤٣٥
٢٩٧٤٢٩٥٤٢٩٤٤٢٤٥٤٢٠٥٤١٧٦
حوران : ٨١٣٣٤٨١١٦٤١٦ .
الحيرة : ٣٤٧ .

— خ —

- خريتا : ١٩١ .
الخز : ٨٣٣٨ .
خلاط : ٨٣٣٨ .
خليج أمير المؤمنين : ١٤٧ .
الخليج العربي : ٨٣٥٥٤٣٤٣٤٨٩١ .
خليج عمان : ٨٨٩ .
الهندق : ٢٠٣٤١٩٨٤٨٦٤٤٥٤٣٧٤٣٥
٢٨٩٤٢٥٥٤٢٠٤
الخندمة : ٨٧ .
خوزستان (الأهواز) : ٣٨٨ .
الخوج : ٢٠٤ .
خيبر : ٣٠٠٤٢٣١٤٢٢٩٤٢٠٩٤٢٠٤
٣٢٠ .

طيبة : ٢٢٨ .

- ظ -

الظاهرة : ٢٨٦ .

- ع -

العاصي (نهر) : ٥٦٢ .

عجلون : ٥٧٤ .

الغراق : ٥١٣٤٠١١٥٠٧٧٠٥٩٠١٩٠١٨

٢٧٠٠١٩٢٠١٩٠٠١٦١٠١٥٠٠١٤٩

٥٣٥٥٠٣٤٧٠٣٤٢٠٣٤٠

عربة : ١٦٥٠١٠٥٠١٠٢ .

عرقة (جبل عرفات) : ٣٦ .

عرقة : ١٩٣٠١٧٧٠١٧٤٠١٠٦٠١٠٣٠٦٢

٢٥٣

المریش : ١٣٩ .

عسقلان : ١٩٣٠١٧٨٠١٧٤٠٥١٣٦٠٥١٣٥

العصبة : ٢٠١ .

العقبة (قرب مكة) : ٢٥٣٠٥٢٠١٠٥٧٤

٣١٠٠٢٨٢٠٢٥٩٠٢٥٤

العقبة (في الأردن) : ٥١٦٥٠٥١٠٢ .

عقرباء : ١١٤ .

العقيق : ٢١١ .

عكا : ١٧٨٠٥١٣٦ .

عكاظ : ١٥٦٠١٢٤٠٣٤

عمان (في الأردن) : ٥١٠٣٠٥٣٩٠١٦

عمان (في الخليج) : ٩٥٠٩٤٠٩١٠٩٠٠٨٩

١٤٦٠١٣١٠١٣٠٠١٢٩

عواس : ١٣٥٠١٠٥٠٧٤٠٧٣

عمورية : ١٧١ .

الميص : ٣٢٣ .

عين التمر : ١١٥ .

عين شمس : ٢٣٥٠٢٣٢٠٢٢٩٠١٤٠

- غ -

غزة : ٥١٧٨٠٥١٦٥٠١٣٥٠٥٣٩

الغمر (غمر مرزوق) : ٣٢٥ .

الغور (في الأردن) : ٥١١٥ .

- ف -

فارس : ٣٤٧ .

فحل : ١١٦٠١٠٣٠٧٩٠٧٣٠٦١٠٦٠

١٧٠٠١٣٣٠١١٧

الفرات : ٦٦٠٦٥٠٥٥٤٠٥١١

الفرما : ٥٢٤١٠٥١٤٠٠١٣٩

فسخ : ٣٠٩ .

الفسطاط : ١٤٧٠٥١٤٣٠١٤١٠١٤٠٠١٣٩

٢٢٨٠٥٢٣٧٠٢٣٢٠٥٢٢٩٠٥١٩٧

٢٥٠٠٢٤٦٠٥٢٤١

فلسطين : ٥٦٠٠٥٥٤٠٤٣٠٣٩٠١٣٠٥١١

٥١٠٣٠٥١٠٢٠٥١٠٥٧٣٠٦٨٠٦٥

١٣١٠١٢٣٠١١٦٠١٠٦٠١٠٥٠١٠٤

١٤٦٠٥١٣٦٠٥١٣٥٠٥١٣٤٠١٣٢

١٧٠٠٥١٦٥٠١٦٣٠١٥٩٠١٤٨

٢٦٠٠٥٢٥٦٠١٧٨

فيد : ٣٢٥ .

الفيوم : ٢٣٧٠١٤٠

- ق -

القادسية : ٣٤٦٠٣٤٥٠٣٤٠٠٣٣٤

القاع : ٢٥٤

قالقلا : ٣٣٨

القاهرة : ٥٣٥٥٠٥١٩٧

قباء : ٥٢٠١

قبرس : ١٩٣٠١٨٠٠١٧٨٠١٧٤٠١٧١

٢٥٩

النوبة : ١٦٢،١٤٣،١٩ :
النيل : ٢٢٩،٢٠٠،١٤٧، ١٤٠،١٩ :
٥٢٤١،٥٢٣٧ :
نينوى : ١٤ :

— ه —

الهند : ١٨٢،٥١٢٩ :

— و —

وادي السباع : ٢٥٣ :
وادي القرى : ١٠١، ١٠٠، ٤٥٠، ٣٩ :
١٢٧، ١١٥ :
واقصة : ٢٥٣ :
الواقصة : ١٣٣ :
الولايات المتحدة الأمريكية : ٣٤٤ :

— ي —

ياغا : ١٣٥ :
يبني : ١٣٥ :
يذيل (جبل) : ٢٢٣ :
اليرموك : ٨٠، ٧٧، ٧٤، ٧٠، ٦٠، ٥٩ :
٨١٠٠، ٨٩٩، ٩٥٠، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١ :
١٣٣، ١١٦، ١١٥، ١٠٥، ١٠٢ :
١٧٠، ١٦٢، ١٦٠، ١٣٥، ١٣٤ :
٣٣٤، ٢٢٧، ٢٠٧، ١٧٧، ١٧٤ :
اليمامة : ١١٩، ١١٥، ١١٤، ٩٤، ٨٩، ٤٣ :
٣٣٣، ٣٣٢، ٥٢٠، ١١٩٨ :
اليمن : ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٧٦، ٧٤، ٥٧، ١٩ :
٢١٨، ١٢٩، ١٢٥، ١١٣، ٩٤، ٩٠ :
٣٤٠، ٣١٠، ٢٨١، ٢٧٠، ٢٤٥ :
ينبع : ٥٧، ١٢٨ :
يوقا : ٦٤ :

٣٥٥، ٢٦٣ :

المعركة : ٥٩ :
معركة حمص (معركة النعمان) : ٦٣ :
معركة مصرين : ٦٤ :
معل تونين (دير) : ٧٣ :
المغرب : ١٤٣ :
المنيفة : ٧٢ :
المقطم : ٢٥٠، ١٥٣ :

مكة : ٨٩١، ٨٧٤، ٨٥٠، ٥٧، ٥٥، ٣٦، ٣٤ :
١١٣، ١٠٥، ١٠٠، ٩٩، ٩٣ :
١٩١، ١٧٤، ١٣٢، ١٢٦، ١٢٤ :
٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٨ :
٢٤٢، ٢٢٦، ٢١٧، ٢١٥، ٢١٤ :
٢٨٢، ٢٥٣، ٢٤٨، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣ :
٣٠٤، ٣٠٣، ٣٠٢، ٢٩٣، ٢٨٤، ٢٨٣ :
٣٢٢، ٣١٦، ٣٠٩، ٣٠٦، ٣٠٥ :
٣٣١، ٣٢٦، ٣٢٣ :

ملطية : ١٨٠، ٦٥ :
منبج : ٦٥، ١٥ :
منى : ٢٣١، ١٧٦ :
النبا : ٢٤١ :
مهرة : ٩٥، ٩٤، ٩٠، ٨٩ :
موتة : ٤٣، ٣٧، ٣٥، ٢٦ :

— ن —

نابلس : ١٣٥ :
نجد : ٣٤٠، ٢٨٩، ٢٢٣، ٢٩١، ٢٨٩ :
نجران : ٦٨، ٥٨، ٥٧ :
نصيبين : ٦٧ :
النفطة : ٢٠٤ :
نقيوس : ١٤٣ :
نهاوند : ٣٣٨ :
النهر وان : ٢٣٨ :

القبائل والملل والنحل

- أ -

الأحباش : ٢١ .

الآراميون : ١٨ .

الأرمن : ١٧ .

الأزد : ١٢٩ .

أسد (بنو) : ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٦، ١٢٤ .

إسرائيل (بنو) : ٣٠١، ٥٥٤، ٣٦، ٥١١ .

الآشوريون : ١٤ .

الأعراب : ٢٩١، ٢٦٩ .

الأقباط : ١٩، ١٦ .

الأموريون : ١١ .

أمية (بنو) : ١٢٤ .

الأنباط : ١٨، ١٢ .

الأوس : ٢٩١، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٦٢، ٥٢٥٦ .

٣٢٠، ٣١٩ .

- ب -

باهلة : ١٦٥، ١٦٤ .

البربر : ١٨١، ٢٠٦، ١٩ .

البطالسة : ١٩ .

بلقين : ١٢٨ .

بلى : ١٥٩، ١٢٨ .

بكر : ٢٦٩، ٥٦٦ .

- ت -

التتر : ٥١٢ .

الترك : ٣٣٨ .

تغلب : ٣٤٨ .

تميم (بنو) : ٣٢٦، ٢١٨ .

تنوخ : ٦٧ .

تميم (بنو) : ١٢٤ .

- ث -

ثعلبة (بنو) : ٢٨٩ .

ثقيف : ٣٣٢، ٣٢٦، ٢٨٢، ٢٨١، ٥٢٠٥ .

- ج -

جذام : ١٢٧ .

الجراجمة : ١٨ .

جمح (بنو) : ٣٠٥، ٢٤١، ١٢٤ .

جهينة : ٣٢٦ .

- ح -

حارثة (بنو) : ٣٧ .

حمير : ٩٠ .

حنيفة (بنو) : ١١٤، ٩٤، ٨٩ .

- خ -

خزاعة : ٢٩٠ .

الخرزج : ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٦٢، ٥٢٥٦، ٢٥٤ .

٣٢١، ٣٢٠، ٣١٩، ٢٩١ .

- ذ -

ذبيان : ٢٠٦ .

- ر -

ربيعة : ٢٢٥، ٦٧ .

الروم : ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٤، ١٣، ١٢، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠
٣٥، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠
٤، ٣، ٢، ١، ٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠
٤٦، ٥٤، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠
٨٩، ٩٥، ٩١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠
١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠
١١٩، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠
١٣٩، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠
١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠
١٧٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠
٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠
٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠
٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠

- ز -

الزنوج : ٢١ .

زهرة (بنو) : ٣٣٠، ١١٣ .

- س -

الساسانيون : ١٤ .

السامريون : ١٨ .

السرمان : ١٨ .

سليم (بنو) : ١٧١ .

سهم (بنو) : ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥ .

- ض -

الضباب : ٢٦٨ .

ضبة : ٢٦٨ .

- ع -

عامر (بنو) : ٣٢٣، ٣٢٢، ١٣٠ .

عبد الأشهل (بنو) : ٢٩٢، ٢٥٣، ٥٢٠، ١ .

عبد الدار (بنو) : ١٢٤ .

عيس : ٢٠٦ .

علي (بنو) : ٣٢٧، ٣١١، ١٢٤ .

عذرة (بنو) : ١٢٨ .

عضل (بنو) : ٣١٥ .

العرب : ٤٤٧، ٤٤١، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠

١٤٢، ١٣٩، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠

١٨٣، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠

٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠

٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠

٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠

٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠

٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠

٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠

٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠

عفراء (بنو) : ٢٢٨ .

عزة (بنو) : ١٥٦ .

- غ -

الغسانة : ٣٤٧، ٣٤٠، ٢٧٠، ٢٦٠، ١٨٠، ١٢٠ .

غطفان : ٢٨٩، ٢٠٦، ٨٧، ٨٦ .

غفار : ٣٣٠، ٣٢٦ .

- ف -

الفراغة : ٢١٠، ١٨ .

الفرس : ٤١٨، ٤١٧، ٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤١٢، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٨، ٤٠٧، ٤٠٦، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٠٢، ٤٠١، ٤٠٠

٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠

٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠

فزارة : ٣٣٩، ٢٠٦ .

الفندال : ٢٠ .

فهر (بنو) : ٥٥٤ .

ق -

القارة : ٣١٥ .

القيط : ١٥٧، ١٤١ .

قريش : ٩٢، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٧٧، ٥٥٩، ٥٥٠

١٢٤، ١٢٣، ١١٨، ١٠٥، ١٠٠، ٩٩

١٧٤، ١٥٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٢٦، ١٢٥

٢٠٢، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٢، ١٩٠، ١٨٤

٢٣٩، ٢٣٦، ٢١٣، ٢٠٥، ٢٠٤

٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١

٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٥٣، ٢٤٨

٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١

٣١٨، ٣١٦، ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠٣، ٢٩٤

٣٤٦، ٣٣٢، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١

قريظة : ٣١٧، ٢٩٩، ٢٩٠، ٢٢٧، ٢٠٤، ٨٦

٣١٩، ٣١٨

قضاع : ١٢٧، ١١٤، ٨٨٩، ٥٥٩، ٤٣٣، ٤٢٢

٢٤٩، ١٦٠، ١٣١

قيناغ : ٣١٩، ٥٢٥٦، ٢٥٥

قيس : ٣٢٦ .

القين (بنو) : ٢٣ .

ك -

الكلدانيون : ١١ .

كلاب (بنو) : ٣٢٦، ١٣٢

كلب (بنو) : ٢٢٦ .

كنانة (بنو) : ٢٩١، ٢٠٦ .

كنة : ٩٥، ٩٤، ٩٠، ٨٨٩

م -

محارب (بنو) : ٨٢٨٩ .

مخزوم (بنو) : ٣٠٢، ١٢٤، ٣٦ .

مزينة : ٣٢٦ .

المصطلق (بنو) : ٢٩٠ .

مضر : ٢٢٥، ٥٦٦ .

ممن (بنو) : ٣٥ .

المطلب (بنو) : ٢٨٠ .

الملكيون : ١٩، ١٨، ١٦ .

المناذرة : ٣٤٠، ٢٧٠ .

الموارنة : ١٨ .

المورتانيون : ٢٠ .

ن -

النجار (بنو) : ٣٠٧، ١٧٦ .

النخع : ٣٣٤، ٩٠ .

النساطرة : ٢٤، ١٨ .

النصارى : ٣٣٢، ٢٣٣، ٢٠٦، ١٩، ١٨

٣٤٨

النضير (بنو) : ٢٩٩، ٢٨٧، ٢٠٦ .

النوميديون : ٢٠ .

ه -

هاشم (بنو) : ٢٨٨، ٢٨٠، ٢٥٥، ١٢٤ .

هذيل (بنو) : ٣١٦، ٣١٥، ١٢٩ .

هوازن : ٢٩٦، ٢٤٥، ١٦٩، ١٣٢، ٩٣، ٨٨

٢٩٧

الهون بن غزيمة بن مدركة : ٣١٥ .

الهيكسوس (الرعاة) : ١٨ .

و -

الوثنيون : ٢٤ .

ي -

اليماقية (الملكانيون) : ٢٤، ١٩، ١٨، ١٦، ١٥

اليهود : ٢٠٦، ١١٠، ٨٧، ٨٦، ٢٤، ١٨

٣٠٧، ٢٩٨، ٢٩٠، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥

٣٣٢، ٣١٧، ٣٠٨

اليونانيون : ٢١، ١٩، ١٨

الأعلام

الذين وردت لهم ترجمة مختصرة في الهوامش

التسلسل	الصفحة	الأعلام
١	١٣٤	أبو أيوب المالكى .
٢	٩٩	أبو سفيان بن حرب الأموي .
٣	١٥٥	أبو مرثد الفتوي .
٤	٢٥٣	إلياس بن معاذ الأنصاري .
٥	٩٩-١٠٠	بلا ل بن رباح الحبشي .
٦	٦٠	بشير بن كعب الحميري .
٧	٢٥٣	الحيسر أنيس بن رافع الأوسي .
٨	٢٥٦	خارجة بن حذافة العلوي .
٩	٢٠١	سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري الأشهلي .
١٠	١٠٠	سهيل بن عمرو القرشي العامري .
١١	٦٨-٦٩	عبدالله بن عمرو بن العاص .
١٢	٨٦	عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن مناف .
١٣	١٣٤	علقمة بن حكيم الفراسي .
١٤	١٣٠	قرة بن هبيرة .
١٥	١٣٤	مسروق العكي .
١٦	٧٤	معاذ بن جبل الأنصاري .
١٧	٢٠١	المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري الخزرجي .
١٨	٨٩	المهاجر بن أمية القرشي المخزومي .

القادة في هذا الكتاب

الصفحات	القادة	التسلسل
من الى		
١٧٣ ١٦٩	أبو الأعور السلمي	١
١٦٨ ١٦٤	أبو أمامة الباهلي	٢
٨١ ٥٤	أبو عبيدة بن الجراح ^٢ القهري	٣
٥١ ٣٣	أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي	٤
٢٤٠ ٢٣٦	خارجة بن حذافة المدوي	٥
٢٢٨ ١٩٧	الزبير بن العوام الأسدي القرشي	٦
١١٠ ١٠٨	سفيان بن مجيب الأزدي	٧
١١٩ ١١٣	شرحبيل بن حسنة الكندي	٨
٢٦٣ ٢٥٣	عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري	٩
٢٣٥ ٢٢٩	عبد الله بن حذافة السهمي	١٠
٢٥٢ ٢٤٩	عقبة بن عامر الجهني	١١
٩٥ ٨٥	عكرمة بن أبي جهل المخزومي	١٢
١٦٣ ١٢٣	عمرو بن العاص السهمي	١٣
٢٤٨ ٢٤١	عمير بن وهب الحمصي	١٤
١٩٤ ١٧٤	معاوية بن أبي سفيان الأموي	١٥
١٠٧ ٩٩	يزيد بن أبي سفيان الأموي	١٦

سير القادة في كتب قادة الفتح الإسلامي

الصفحات	المصدر	القائد	التمثيل
من	الى	فروحاته	
١٧٣	١٦٩	قادة فتح الشام ومصر	١ أبو الأحرور السلمي
١٦٨	١٦٤	قادة فتح الشام ومصر	٢ أبو أمامة الباهلي
١٦٠	١٥٥	قادة فتح بلاد فارس	٣ أبو سبرة بن أبي رهم العامري
٨١	٥٤	قادة فتح الشام ومصر	٤ أبو عبيدة بن الجراح النهدي
٢٢٠	٢١٢	قادة فتح العراق والجزيرة	٥ أبو عبيد بن مسعود الثقفي
١٩١	١٧٨	قادة فتح بلاد فارس	٦ أبو موسى الأشعري
٢٤٦	٢١٧	قادة فتح بلاد فارس	٧ الأحنف بن قيس التميمي
٥١	٣٣	قادة فتح الشام ومصر	٨ أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي
١٣٤	١٣٠	قادة فتح بلاد فارس	٩ البراء بن عازب الأنصاري
٢٠٨	٢٠٥	قادة فتح بلاد فارس	١٠ بكير بن عبد الله اللثمي
٣٣٩	٣٢٤	قادة فتح العراق والجزيرة	١١ جرير بن عبد الله البجلي
١٥٤	١٥٢	قادة فتح بلاد فارس	١٢ جزي بن معاوية التميمي
٣٧٤	٣٧١	قادة فتح العراق والجزيرة	١٣ اطارث بن يزيد العامري
١١٧	١٠٨	قادة فتح بلاد فارس	١٤ حذيفة بن اليمان المسي
١٥١	١٤٧	قادة فتح بلاد فارس	١٥ حرقوص بن زهير التميمي

١٤١	١٣٧	قادة فتح بلاد فارس	فاتح منادر ونهر تيرى بالأهواز	سرملة بن مريطة التميمي	١٦
٢٧٢	٢٧٠	قادة فتح بلاد فارس	فاتح جزيرة بركاران وتوج	الحكم بن أبي العاصم الثقفي	١٧
٢٩٧	٢٩٣	قادة فتح بلاد فارس	فاتح مكران	الحكم بن صبر الغلابي	١٨
٢٤٠	٢٣٦	قادة فتح الشام ومصر	فاتح الصعيد	خارجة بن حمالة المدوي	١٩
٢٧٥	٢٧١	قادة فتح العراق والجزيرة	نائب سعد بن أبي وقاص في القادسية وفاتح مدينة ساباط	خالد بن عرفقة الذري	٢٠
٢١١	٤٧	قادة فتح العراق والجزيرة	سيف الله وقائد معركة اليرموك	خالد بن الوليد المخزومي	٢١
٣٥٤	٣٥٠	قادة فتح العراق والجزيرة	فاتح الموصل	ربيعة بن الأكلب المزي	٢٢
١٧٢	١٦٤	قادة فتح بلاد فارس	فاتح يبرود ومنادر من الأهواز	الربيع بن زياد الحارثي	٢٣
٢٢٨	١٩٧	قادة فتح الشام ومصر	فاتح حصن بابليرن بمصر	الزبير بن العوام الأسدي	٢٤
١٦٣	١٦١	قادة فتح بلاد فارس	فاتح جنديسابور	زاد بن عبد الله الفتح	٢٥
٢٨٨	٢٧٦	قادة فتح العراق والجزيرة	فاتح ما بين القادسية والمدائن	زهرة بن الحوية التميمي	٢٦
١٢٢	١١٨	قادة فتح بلاد فارس	فاتح مهران قلنق والصبيرة	السائب بن الأفرع الثقفي	٢٧
٢٧٦	٢٧٣	قادة فتح بلاد فارس	فاتح فساد دار الجرد	سارية بن زعيم الكندي	٢٨
٢١٣	٢٠٩	قادة فتح بلاد فارس	فاتح باب الأبواب	سراقة ذو النور بن عمرو	٢٩
٢٦٨	٢٢١	قادة فتح العراق والجزيرة	فاتح العراق والجزيرة	سعد بن أبي وقاص الزهري	٣٠
١١٠	١٠٨	قادة فتح الشام ومصر	فاتح طرابلس	سفيان بن يحيى الأزدي	٣١
١٧٧	١٧٣	قادة فتح بلاد فارس	فاتح جبال الأكراد في الأهواز	سلة بن قيس الأشجعي	٣٢
١٤٦	١٤٢	قادة فتح بلاد فارس	فاتح منادر ونهر تيرى	سلى بن القين التميمي	٣٣
٤٤١	٤٣٦	قادة فتح العراق والجزيرة	فاتح الرقة والرها وولاية كرمسان	سهيل بن علي الخزرجي	٣٤
٢٠١	١٩٥	قادة فتح بلاد فارس	فاتح قومس وبسطام ونهر جان وجبل جيلان	سويد بن مقرن المزي	٣٥
١١٩	١١٣	قادة فتح الشام ومصر	فاتح الأردن	شر سبيل بن حسنة الكلبي	٣٦

الصفحات	المصدر	توضحاته	القاتله	التسلسل
٨٩	قناة فتح بلاد فارس	فنايح ماسيانان	ضرار بن الخطاب القهري	٣٧
٢٨٩	قناة فتح بلاد فارس	فنايح سيجستان	عاصم بن عمرو التميمي	٣٨
٢٥٣	قناة فتح الشام ومصر	فنايح مدينة أنطرسوس والاسكندرية	عبادة بن الصامت الخزرجي	٣٩
٢٢٥	قناة فتح الشام ومصر	فنايح عين شمس بمصر	عبادة بن حنيفة السهمي	٤٠
٤٤٨	قناة فتح العراق والجزيرة	فنايح نصيبين والرها وأصيبان	عبادة بن عبيدة بن جنيان	٤١
٣٤٣	قناة فتح العراق والجزيرة	فنايح محود دجلة من المداين حتى الموصل شمالا	عبادة بن المنعم العبدي	٤٢
٣٨٦	قناة فتح العراق والجزيرة	فنايح جنوب العراق والأهواز	عتبة بن غزوارة المسارقي	٤٣
٤١٥	قناة فتح العراق والجزيرة	فنايح شمال العراق وأذربيجان	عتبة بن فرقة السلمي	٤٤
٢٦٩	قناة فتح بلاد فارس	فنايح أرمينية الرابية وجزيرة بركاوان وبلاد فارس وأول من هاجم السند	حنان بن أبي العاصم الثقفي	٤٥
٣٦٢	قناة فتح العراق والجزيرة	أول قائد ركب البحر وأول من انخطط الموصل وأسكنها العرب ومصرها	مرومية بن هرثة الباريقي	٤٦
٣٥٥	قناة فتح الشام ومصر	فنايح أسفل أرض مصر	عقبة بن عاصم الجهمي	٤٧
٢٥٢	قناة فتح الشام ومصر	القتاتند الشهيد	عكرمة بن أبي جهل المنزوي	٤٨
٩٥	قناة فتح بلاد فارس	فنايح البحرين وجزيرة دارين وأول من هاجم فارس	الملاء بن الحنفري	٤٩
٢٥٤	قناة فتح بلاد فارس	فنايح العراق وفارس والشام ومصر وليبيا	عمر بن الخطاب	٥٠
٢٢٩	قناة فتح بلاد فارس	فنايح محود القرات من الرمادي حتى ملتقى الخابور بالفرات	عمر بن مالك الزهري	٥١
٣٧٠	قناة فتح العراق والجزيرة	فنايح فلسطين ومصر وليبيا	عمرو بن العاص السهمي	٥٢
١٦٣	قناة فتح الشام ومصر			

٤٧٥	٤٦٩	قصادة فتح العراق والجزيرة	فاتح مدينة رأس عين في الجزيرة	عمير بن سعد الأحمدي	٥٣
			فاتح تيبس وديباط وتوتة ودميرة وشلا	عمير بن وهب الجسعي	٥٤
٢٤٨	٢٤١	قصادة فتح الشام ومصر	و دقهلة وينا و بوسيد		
٤٣٥	٤٢٥	قصادة فتح العراق والجزيرة	فناصح الجزيرة	حياض بن غنم النهدي	٥٥
٣٢٣	٣٠١	قصادة فتح العراق والجزيرة	فاتح خائقين وحلوان وهمدان	القمصان بن عمرو التميمي	٥٦
			القائد الذي جرت الحرب على مهاجمة الامير الطورية	المنق بن حارثة الشيباني	٥٧
٤٤	٢٥	قصادة فتح العراق والجزيرة	الغارسية ومهد لفتح العراق		
٣٦١	٢٥٥	قصادة فتح بلاد فارس	فاتح لواء أرشير خرو وسابور	جاشع بن سمود السلمي	٥٨
١٩٤	١٧٤	قصادة فتح الشام ومصر	فاتح عرقة وقيسارية وعسقلان وقبرس	معاوية بن أبي سفيان الأموي	٥٩
٤١١	٣٨٧	قصادة فتح العراق والجزيرة	فاتح ميسان ودمعيسان وأبرقباد	المغيرة بن شعبة الثقفي	٦٠
١٠٧	٩٧	قصادة فتح بلاد فارس	فاتح رام هرمز وشهيد معركة فتح الفتح	النعمان بن مقرن الزرقي	٦١
١٢٩	١٢٣	قصادة فتح بلاد فارس	فاتح منقلي همدان والري	نسيم بن مقرن الزرقي	٦٢
٣٠٠	٢٩١	قصادة فتح العراق والجزيرة	فاتح ديدالي من المدائن الى جلولاه	هاشم بن عتبة بن أبي قحاص الزهري	٦٣
٤٦٨	٤٤٩	قصادة فتح العراق والجزيرة	فاتح منطقة عرب الجزيرة وفاتح أذربيجان	الريد بن عتبة بن أبي معيط الأموي	٦٤
١٠٧	٩٩	قصادة فتح الشام ومصر	فاتح ليسان الأحم	يزيد بن أبي سفيان الأموي	٦٥

الخَرَائِطُ

الصفحة	الخريطة	التسلسل
٣١	فتح الشام وفلسطين	١
٥٢ - ٥٣	سورية	٢
١٣٧	من المريش الى تنيس	٣
١٣٨	الفتح الاسلامي لمصر	٤
١٤٤	فتح ليبيا	٥
١٧٩	معركة بحرية في أيام الفتح الاسلامي	٦
٣٢٩	وحدة العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٧

المَوْضُوعَات

الصفحة

- افتتاح الكتاب ٥
- الإهداء ٧
- الروم في أرض الشام ومصر وليبيا ٩ - ٢٧
- المقدمة ١١ ، مجمل تاريخ الشام ١١ ، الروم في القرن السابع ١٢ ،
 هرقل بعد انتصاره على الفرس ١٥ ، الحالة الإجتماعية في أرض الشام
 ومصر وليبيا ١٧ ، كيف كان جيش الروم قبيل الفتح الإسلامي ٢٠ ،
 مجمل علل الفناء في الروم ٢٣ ، الدعوة الإسلامية وأثرها في الفتح ٢٤ ،
 نقطة الرسول القائد التمهيدية للفتح ٢٥ ، خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم
 يكملون أهدافه في الفتح ٢٧ .
- القادة العامون ٢٩ - ٨٢
- أسامة بن زيد الكلبي ٣٣ - ٥١
- عائلته ٣٣ ، مع النبي ٣٦ ، جهاده ٣٩ ، الانسان ٤٣ ،
 القائد ٤٦ ، أسامة في التاريخ ٥٠ .
- أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري ٥٤ - ٨١
- مع النبي ٥٤ ، جهاده : ١- إلى أرض الشام ٥٨ ، ٢- في
 اليرموك ٥٩ ، ٣- بعد اليرموك ٦٠ ، ٤- في دمشق ٦١ ،
 ٥- بعد دمشق ٦١ ، ٦- إكمال فتح سورية ٦٢ ، ٧- الدفاع
 عن حصن ٦٦ ، الانسان ٦٨ ، القائد ٧٧ ، أبو عبيدة في
 التاريخ ٨٠ .

قادة فتح سورية

عكرمة بن أبي جهل المخزومي

نسبه ٨٥ ، في الجاهلية ٨٥ ، جهاده ٨٩ ، ١ - في حروب أهل الردة ٨٥ ، ٢ - في أرض الشام ٩٠ ، الإنسان ٩٢ ، القائد ٩٤ ، عكرمة في التاريخ ٩٥ .

قادة فتح لبنان الأشم

يزيد بن أبي سفيان الأموي

إسلامه ٩٩ ، جهاده ١٠٠ ، الإنسان ١٠٤ ، القائد ١٠٥ ، يزيد في التاريخ ١٠٧ .

سفيان بن مجيب الأزدي

إسلامه ١٠٨ ، جهاده ١٠٨ ، الإنسان ١٠٩ ، القائد ١٠٩ ، سفيان في التاريخ ١١٠ .

قادة فتح الأردن

شرحبيل بن حسنة الكندي

نسبه ١١٣ ، إسلامه ١١٣ ، جهاده : ١ - في حرب أهل الردة ١١٤ ، ٢ - في أرض الشام ١١٥ ، ٣ - القائد ١١٦ ، الإنسان ١١٧ ، القائد ١١٨ ، شرحبيل في التاريخ ١١٩ .

قادة فتح فلسطين

عمرو بن العاص السهمي

أهله ١٢٣ ، في الجاهلية ١٢٥ ، مع النبي : ١ - إسلامه ١٢٦ ، ٢ - في ذات السلاسل ١٢٧ ، ٣ - في مدم سواع ١٢٨ ، ٤ - في عمان ١٢٩ ، جهاده : ١ - في حروب الردة ١٣٠ ، ٢ - في أرض الشام ١٣١ ، ٣ - في مصر ١٣٦ ، ٤ - في ليبيا ١٤٢ ، ٥ - في النوبة ١٤٣ ، ٦ - انتفاض الروم في الإسكندرية ١٤٣ ، الإنسان ١٤٥ ، القائد ١٥٨ ، عمرو في التاريخ ١٦٣ .

١٦٨-١٦٤

أبو أمامة الباهلي

إسلامه ١٦٤ ، جهاده ١٦٥ ، الإنسان ١٦٥ ، القائد ١٦٥ ، أبو
أمامة في التاريخ ١٦٨ .

١٧٣-١٦٩

أبو الأعور السلمي

إسلامه ١٦٥ ، جهاده ١٧٠ ، الإنسان ١٧١ ، القائد ١٧٢ ، أبو
الأعور في التاريخ ١٧٣ .

١٩٤-١٧٤

معاوية بن أبي سفيان الأموي

أسرته ١٧٤ ، إسلامه ١٧٦ ، جهاده : ١- في الشام ١٧٧ ، ٢-
فتح قبرس ١٧٨ ، ٣- غزوة ذات الصواري ١٨٠ ، ٤- في أرض
الشام ١٨٠ ، ٥- شرقاً وغرباً ١٨١ ، الإنسان ١٨٢ ، القائد ١٨٩ ،
معاوية في التاريخ ١٩٣ .

٢٦٣-١٩٥

قادة فتح مصر

٢٢٨-١٩٧

الزبير بن العوام القرشي الأسدي

نبيه وآياته الأولى ١٩٧ ، مع النبي ١٩٩ ، جهاده ٢٠٦ ، الإنسان
٢١٠ ، القائد ٢٢٦ ، الزبير في التاريخ ٢٢٨ .

٢٣٥-٢٢٩

عبد الله بن حذافة السهمي

مع النبي ٢٢٩ ، جهاده ٢٣١ ، الإنسان ٢٣٢ ، القائد ٢٣٤ ،
عبد الله في التاريخ ٢٣٤ .

٢٤٠-٢٣٦

خارجة بن حذافة العدوي

مع النبي ٢٣٦ ، جهاده ٢٣٧ ، الإنسان ٢٣٨ ، القائد ٢٣٩ ،
خارجة في التاريخ ٢٤٠ .

٢٤٨-٢٤١

عمير بن وهب الجمحي

في الجاهلية ٢٤١ ، إسلامه ٢٤٣ ، جهاده ٢٤٦ ، الإنسان ٢٤٧ ،
القائد ٢٤٧ ، عمير في التاريخ ٢٤٨ .

٢٥٢-٢٤٩

عقبة بن عامر الجهني

الصحابي ٢٤٩ ، المجاهد ٢٥٠ ، الانسان ٢٥٠ ، القائد ٢٥١ ،
عقبة في التاريخ ٢٥٢ .

٢٦٣-٢٥٣

عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي

مع النبي ٢٥٣ ، جهاده ٢٥٦ ، الانسان ٢٥٩ ، القائد ٢٦١ ،
عبادة في التاريخ ٢٦٢ .

الخاتمة

٣٥٥-٢٦٥

أثر الاسلام في العرب

١- وصف العربي ٢٩٧ ، المواد الأولية الممتازة والمواد الأولية الرديئة
في العرب ٢٧٠ .

٢- تعاليم الاسلام ٢٧٠ ، العقائد في الاسلام ٢٧٠ ، الأعمال في الاسلام
٢٧١ ، التسلك بالخلق الكريم في الاسلام ٢٧٢ ، أثر الاسلام في العرب
٢٧٢ .

٣- أثر تعاليم الاسلام على العرب ٢٧٤ ، رفع مستوى العرب العقلي ٢٧٤ ،
تغيير قيمة الأشياء والأخلاق ٢٧٥ ، صهر نفسية العربي المسلم ٢٧٦ ،
أثر الاسلام على العربي في تصرفه فرداً وضمن المجموع ٢٧٦ .

٤- كيف فهم العرب الأولون الإسلام ٢٧٧ ، الرسول صلى الله عليه وسلم
قلوة حسنة لمن آمن برسالة ٢٧٧ ، ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم
من قريش قبل الهجرة الى المدينة ٢٧٨ .

٥- النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ٢٨٥ ، بناء المسجد
٢٨٥ ، عقد المعاهدة بين المسلمين واليهود ٢٨٥ ، اليهود والمنافقون
ينصبون العداوة للدعوة ٢٨٥ .

٦- الصراع بين المسلمين والمشركين ٢٨٧ ، في غزوة بدر ٢٨٧ ، في
غزوة أحد ٢٨٩ ، في غزوة ذات الرقاع ٢٨٩ ، في غزوة الخندق ٢٨٩
في غزوة بني المصطلق ٢٩٠ ، محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم
٢٩١ ، في غزوة الحديبية ٢٩٢ ، في غزوة الفتح ٢٩٣ ، في غزوة

حنين ٢٩٤ ، هل أبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من المال ؟
 ٢٩٧ ، كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم ٢٩٧ ، موت النبي
 صلى الله عليه وسلم ٣٠٠ ، ما تحمله النبي صلى الله عليه وسلم بعد
 بعثته الى الصحابة بالرفيق الأعلى ٣٠٠ ، كان صلى الله عليه وسلم تجسداً
 حياً لتعاليم الاسلام ٣٠١ .

٧- تعذيب المسلمين في مكة ٣٠٢ ، الهجرة الى الحبشة ٣٠٣ ، تعذيب أبي
 بكر الصديق ٣٠٥ .

٨- الهجرة الى المدينة المنورة ٣٠٦ ، الرسول صلى الله عليه وسلم يؤاخي
 بين المهاجرين والانصار ٣٠٦ ، كفاح المنافقين ٣٠٧ ، مقاطعة
 اليهود ٣٠٧ ، مرضية المهاجرين في المدينة ٣٠٨ .

٩- بدء الصراع بين المسلمين وأعدائهم ٣٠٩ ، في مسيرة الاقتراب الى بدر
 ٣١٠ ، في بدر ٣١١ .

١٠- في أحد ٣١٢ ، بعد أحد ٣١٥ .

١١- في غزوة الخندق ٣١٧ ، في غزوة بني قريظة ٣١٨ .

١٢- أثر الاسلام في الأوس والخزرج ٣٢٠ ، في غزوة المريسيع ٣٢١ ،
 في الحديبية ٣٢٢ ، أبو بصير وأصحابه ٣٢٢ ، في غزوة مؤتة ٣٢٤ .

١٣- المسلمون يقودون السرايا لمقاتلة قبائلهم ٣٢٥ ، الاسلام يقضي على الروح
 القبلية ٣٢٦ ، في غزوة الفتح ٣٢٧ .

١٤- الجهاد بالأرواح والمال ٣٢٨ ، ما بذله المسلمون في سبيل عقيدتهم ٣٢٨ .

١٤- موقف أبي بكر الصديق من المرتدين ٣٣١ ، في معركة اليمامة ٣٣٢ ،
 في معركة اليرموك ٣٣٤ ، في معركة الجسر ٣٣٤ ، في القادسية ٣٣٤ ، في
 معركة المدائن ٣٣٦ ، في معركة نهاوند ٣٣٨ ، في معركة بلنجر ٣٣٨ ،
 في معركة قاليقلا ٣٣٨ ، عبدالله بن قيس الحارثي قائد البحر ٣٣٩ ،
 صاحب النقب ٣٣٩ .

١٥- انتصار العرب على الروم والفرس بايمانهم ٣٤٠ .

١٦- عبرة التاريخ الاسلامي للعرب في حاضرتهم ومستقبلهم ٣٤٣ ،
 لمصلحة من تبقى السلود والخلود بين بلاد العرب ٣٤٣ ، الوحدة
 العربية هدف حتمي للعرب ٣٤٣ ، السبيل الى تحقيق الوحدة العربية

٣٤٤ ، كيف يجري تطبيق الوحدة العربية ٣٤٤ ، الاسلام هو الذي يشيع الانسجام الفكري بين العرب ٣٤٥ ، العرب بلا اسلام لا شيء ، والعرب بالاسلام كل شيء ٣٤٥ .

١٧ - الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن العرب ٣٤٥ ، الاحاديث النبوية التي وردت في فضل العرب ٣٤٦ ، أقوال أئمة المسلمين في العرب ٣٤٦ .

١٨ - عناصر القوة في الاسلام ٣٤٩ ، عناصر القوة في الاسلام كانت العامل الأساسي في نجاح العرب ٣٤٩ ، حقيقة الاسلام ٣٥٠ .

١٩ - الوحدة العربية هي الخطوة العملية الأولى للوحدة الاسلامية ٣٥٢ ، غاية الوحدة العربية السياسية ٣٥٢ ، لا وحدة للعرب بدون أن يشيع الانسجام الفكري بين أبناء العرب ٣٥٣ ، القوة الدافعة التي يعطيها الاسلام للعرب ٣٥٣ .

٢٠ - الوحدة العربية تحت لواء الاسلام ٣٥٤ .

المصادر والمراجع

الصفحة	
٣٥٩-	المصادر
٣٦٤-	المراجع
٣٦٧-٣٦٩	تصويبات
٣٧١-٤٠٧	الفهارس
٣٧٣-	الأعلام
٣٨٢-	الأماكن
٣٨٩-	القبائل والملل والنحل
٣٩٢-	الأعلام الذين وردت لهم ترجمة مختصرة في الهوامش
٣٩٣-	القادة في هذا الكتاب
٣٩٤-	سير القادة في كتب قادة الفتح الإسلامي الصادرة
٣٩٨-	الخرائط
٣٩٩-	الموضوعات
٤٠٦-	آثار المؤلف

آثار المؤلف

الكتب العسكرية :

١ - القضايا الإدارية في الميدان - مطبعة الجيش العراقي - بغداد - ١٩٥٢

٢ - التدريب الفردي ليلاً - مطبعة شفيق - بغداد - ١٩٥٤

كتب التاريخ الاسلامي الصادرة :

٣ - الرسول القائد الطبعة الأولى - بغداد - ١٩٥٨

الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٦٢

الطبعة الثالثة - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤

٤ - قادة فتح العراق والجزيرة - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤

٥ - المهلب بن أبي صفرة الأزدي - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٤

٦ - الفاروق القائد - الطبعة الأولى - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥

الطبعة الثانية - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦

٧ - الأحنف بن قيس التميمي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٦٥

٨ - قتيبة بن مسلم الباهلي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٦٥

٩ - عقبة بن نافع الفهري - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥

١٠ - أبو موسى الأشعري - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥

١١ - أبو عبيدة بن الجراح - مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق - ١٩٦٥

١٢ - قادة فتح بلاد فارس - دار الفتح - بيروت - ١٩٦٥

١٣ - قادة فتح الشام ومصر - دار الفتح - بيروت - ١٩٦٥

١٤ - مقالات وبحوث في :

أ . مجلة المجمع العلمي العراقي

ب . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

ج . مجلة الرسالة المصرية

د . المجلات العسكرية العراقية

هـ . مجلة « المسلمون » .

و . مجلة الحج في الحجاز

ز . مجلة التمدن الاسلامي في دمشق

ح . مجلة الوعي الاسلامي في الكويت

ط . مجلة التربية الإسلامية في بغداد
ي . مجلة الوعي في كراتشي - الباكستان .

كتب تاريخ الحروب :

- ١٥ - المشير فون رونشتد (اسرار الحرب العالمية الثانية) - ترجمة - الطبعة الأولى بغداد ١٩٦٠
الطبعة الثانية - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥

كتب التاريخ الاسلامي التي تستصدر قريباً :

- ١٦ - قادة فتح المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) .
١٧ - قادة فتح المشرق الإسلامي (من الصين شرقاً الى سيبيريا شمالاً الى المحيط جنوباً)
١٨ - قادة فتح الأندلس والبحار .
١٩ - قادة فتح أوروبا .
٢٠ - الصديق القائد .
٢١ - الإمام القائد .
٢٢ - القادة الراشدون .
٢٣ - الفتح الاسلامي .
٢٤ - الحرب والسلام في الاسلام .
٢٥ - قادة النبي .
٢٦ - سفراء النبي .
٢٧ - شهداء الاسلام في عهد النبي .
٢٨ - شهداء الفتح الإسلامي .
٢٩ - كرامة العلماء .

كتب لغوية تصدر تباعاً :

- ٣٠ - المصطلحات العسكرية في الأدب الجاهلي .
٣١ - المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم .
٣٢ - المصطلحات العسكرية في الحديث الشريف .
٣٣ - المصطلحات العسكرية في مصادر التاريخ الاسلامي .
٣٤ - المصطلحات العسكرية في الأدب العربي بعد الاسلام .
٣٥ - المصطلحات الحضارية في القرآن الكريم .

كتب الدعوة التي تصدر تباعاً :

- ٣٦ - عدالة السماء .
٣٧ - من نور الاسلام .
٣٨ - طريق النصر في معركة الشار .

قريباً

الكتاب الرابع

قائلاً فتح المغرب العربي
ليبيّا - تونس - الجزائر - المغرب

يصدر عن دار الفتح - بيروت

عنوان المؤلف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الأعظمية - بغداد

دار الفتح

للطباعة والنشر

بيروت - ص ب ٤٢٩٥

بناية المازارية أ - ٤ جديد

الطابق الرابع رقم ٣

تليفون : ٢٥٣٠٩٧